# مجلس إحياء المعارف النعمانية
# - حيدر آباد - الهند
# الانتهاء برحيل المؤسسين

تأسس مجلس إحياء المعارف النعمانية سنة ١٩٤٨م في بيت الشيخ أبي بكر الهاشمي – عليه رحمة الله – كبير المحققين بدائرة المعارف العثمانية سابقا، وصاحب فكرة إنشاء المجلس الشيخ المقرئ محمود شاه القادري الحنفي بن مبارك شاه القادري الحنفي، المعروف بأبي الوفاء الأفغاني - عليه رحمة الله – المتوفى في رجب ١٣٩٥هـ إلى جانب مجموعة من علماء المذهب الحنفي الذي كان أغلبهم يدرس بالجامعة النظامية بمنطقة جلال كوش بمدينة حيدر أباد.

وقد كان عمل المجلس منحصرا في إحياء وتحقيق التراث النعماني؛ أي الحنفي سواء كان ذلك في الفقه أو الأصول أو العقيدة أو غيرها من العلوم الإسلامية، وقد أنجز المجلس بالفعل مجموعة من الأعمال فأصدر عددًا من الكتب المهمة منها:

- مختصر الطحاوي في فقه الحنفية: الطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحنفي، أبو جعفر، (ت: ٣٢١هـ).
- اختلاف أبي حَنيفة وابن أبي ليلى: أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري – (ت: ١٨٢هـ).
- مناقب الامام أبى حنيفة: الذهبي: ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان.
- مناقب أبي يوسف: الذهبي: ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان.
- الآثار: أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري – (ت:١٨٢هـ).

افتتاحية العدد

- الرد على سير الأوزاعي: أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري.

- أصول السرخسي: ابن سهل السرخسي: محمد بن أحمد بن سهل الحنفي شمس الأئمة، أبو بكر ( ت: ٤٨٢هـ ).

كما قام المجلس بتأسيس مكتبة متنوعة من الكتب والمخطوطات يرجع إليها في أعماله العلمية، وقد ضمت هذه المكتبة ما يزيد عن ٥٠٠٠ كتاب منها مجموعة نادرة، و١٠١ مخطوط؛ منها ٤٣ مخطوطا أصليا و٥٨ مخطوطا مصورا تم الحصول عليها من عدة دول أهمها: تركيا، وكان الدكتور محمد حميد الله - رحمه الله - العالم الهندي المقيم بباريس هو من يقوم بعملية تصوير المخطوطات لصالح المجلس، ولذلك كانت تلك المخطوطات نفيسة من الناحية العلمية.

وبعد وفاة الشيخ أبي الوفاء الأفغاني رئيس اللجنة عين تلميذه الشيخ أبو بكر الهاشمي رئيسا لها بعدما كان نائبا لرئيسها - الذي كنا نزوره في بيته دائما كلما دخلنا مدينة حيدر آباد، وكنا نجلس إليه نلتقط من لسانه أسماء المكتبات بالهند، ومواقع المخطوطات، وأشهر العائلات العلمية التي لا تزال تحتفظ بذخائر التراث الإسلامي حتى يومنا هذا -.

وقد تعرض مقر المجلس الذي يقع بجوار بيت الشيخ أبي بكر الهاشمي في حي جلال كوجة بمنطقة حسيني علم للانهيار بسبب الأمطار والسيول التي ضربت مدينة حيدر آباد في سنة ١٩٧٣م؛ أي قبل سنتين من وفاة الشيخ أبي الوفاء الأفغاني، كما هدمت البيت الذي كان يسكن فيه الشيخ أبو الوفاء، وهو جزء من بيت عائلة الشيخ أبي بكر الهاشمي.

وقد تم بحمد الله تصوير جميع المخطوطات دون استثناء حتى النسخ النادرة والفريدة التي يمتلكها المجلس، وحتى المخطوطات التي كانت توجد بالمكتبة الخاصة بعائلة الشيخ أبو بكر رحمه الله رحمة واسعة.

**مدير التحرير**

**د. عز الدين بن زغيبة**

# بيانُ الخلل العروضيّ في كتاب (مسالك الأبصار) للعُمَرِيِّ

## (الجزء ١٦)

**د. عباس هاني الجرَّاخ**
العراق

**يُعدُّ كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لِشهاب الدين أحمد بن فضل الله العُمري (ت ٧٤٩هـ) من الكتب الموسوعيَّة المهمَّة، وقد عَرَفَهُ القدماءُ فنقلوا منه وأكثروا، ورجع إليه الباحثونَ المُحدَثُون في إفادتهم من نصوصه الجغرافية والتاريخية والاجتماعية الأخرَى، كما نهلَ منهُ المحقّقون وهم يقومون بِصُنْعِ الدواوين والمجموعات الشعرية.**

**وقد كلَّفَ المجمعُ الثقافيُّ بدبي عددًا من المحققين المعروفين بإخراج هذا الكتاب إلى النور، وقام المحققونَ بِعملهم خيرَ قيام، مِنْ نَسْخِهِ ومعارضته بالمظان المختلفة، ومحاولة تقديمه كما أراده مؤلفه، مع تخريج نصوصه الشعرية والنثرية وتوثيقها، ثم إثبات المصادر والمراجع، وَصدر مُنجّمًا في عدّة أجزاء.**

وبيـن يدي السّـفر السّـادس عشـر، بتحقيق د. محمـد إبراهيم حور، الصـادر عام ٢٠٠٣م، ووقـع فـي ٤٣١ صحيفة، وقد ضـمَّ ٦٩ ترجمة لشـعراء الجانب الشرقي المتوفِّين والأحياء زمن المؤلف، وهم من شعراء العصر العباسي وعصر الدول والإمارات، وقد انتهَى من تحقيقه في أيلول ٢٠٠١م، على ما ورد في نهاية مقدِّمتهِ.

والمحقّقُ عَرَفتهُ يَومَ حَقّقَ: (شرح نقائض جرير والفرزدق) بالاشتراك مع د. وليد محمود خالص، المطبوع في دبي عن المجمع الثقافي نفسه، في ثلاثة أجزاء، وله أيضًا تحقيق (ديوان صفي الدين الحلي) الصادر في بيروت ٢٠٠٠م، الذي رجع إليه في ترجمته هنا، لذا فهو – لا بُدَّ من أنَّهُ يمتلكَ خزينًا معرفيًا وخبرة في التحقيق.

وجاء اهتمامي بهذا الجزء خاصَّةً؛ لأنَّه ضمَّ عددًا من شعراء القرن السابع الهجري ممَّن نَهضتُ بِجَمعِ شِعرهم وتحقيقه، مثل: محيي الدين ابن زبلاق الموصليّ، وابن الصفَّار الماردينيّ،

وعليّ بن البطريق الحلّي، ويوسف بن لؤلؤ الذهبيّ، وجوبان القوّاس، وقد نشرتُ دواوينهم في بيروت والإسكندرية وبابل ونُبي، أو من الذين استدركتُ على دواوينهم، مثل: التلعفريّ، ومجير الدين ابن تميم، والشاب الظريف، وغيرهم، وقد لفتَ نظري ورود أوهام كثيرة في قراءة المخطوطة الوحيدة التي رجع إليها المحقق، على الرّغم من أنّه كان باستطاعته تجاوزها وإبقاء الكتاب نقيًّا منها، لو بذل مزيدًا من الجهد في قراءتها، أو لو رَجَعَ إلى مصادر تراجم الشعراء أو دواوينهم، وهي مشهورة مبذولة، وبعضها بين يديه! مع عدم اهتمامه بنسبة كثير من القصائد المتدافعة الى شعراء آخرين، وإهمال الاقتباسات الواضحة من القرآن الكريم، فضلاً عن التضمينات، وهذا دليل على ضعف محفوظهِ من الشعر العربي وعدم تتبّعه له، وهي أبياتٌ وأشطارٌ مشهورة لامرئ القيس، وعنترة بن شداد، ومجنون ليلى، وبشار بن بُرد، وأبي العلاء المعرّي، والمتنبي، وأبي تمام...، وغيرهم!

وقد بحثنا هذه القضايا في مقال آخر بتفصيلٍ وافٍ.

على أنني وددتُ أن أبحثَ – هنا – في قضيّة خطيرة، وهي الأغلاط العروضية التي تفشّت في الكتاب فشوّهتهُ، سواءٌ في خطأ تحديد المحقّق لاسمِ البحرِ العَرُوضيّ، أو إهمال إثباته أصلًا، أو القراءة غير الصحيحة التي جرّتهُ إلى كسرٍ كثيرٍ من الأبيات، أو الوَهْم في إيراد التدوير على شطري البيت الواحد، أو عدم تدويره!

وهذا بيانٌ بها:

## أولاً – أخطاء في إثبات الأوزان:

من الغريب أن نجد المحقق يخطئُ في تثبيت أسماء كثير من البحور، وفي أدناه أكثر من ثلاثين بحرًا، أخطأَ في تحديدها وإيرادها على وجهها الصّحيحِ، نَسُوقُها على النحو الآتي:

١- ص ١٤، ورد بيتان على أنّهُمَا من مجزوء الرجز، أولهما:

**تبرّم بالعذار وظن أني**
**أقاطعهُ وأخرج من يديهِ**

والصواب: الوافر.

٢- ص ١٦، بيت واحد، حدّده من (الطويل)، وهو:

**مولًى تزايدَ في تواضعه عِظماً**
**كذاكَ البدرِ في الأفقِ**

والصواب: الكامل، وصواب رسمه وضبطه:

**مولًى تزايدَ في تَوَاضُعِهِ**
**عِظمًا، كذاكَ البَدرُ فِي الأُفُقِ**

٣- ص ١٧، ورد بيتٌ على أنه من (الكامل):

**لِنكتالَ من مالِ العزيزِ بصاعهِ**
**فَميلوا بنا نحو العراق رِكابكم**

والصواب: الطويل.

مع ملاحظة أنّ الصحيح هو إثبات البيت معكوسًا! هكذا:

**فَميلوا بنا نحو العراق رِكابكم**
**لِنكتالَ من مالِ العزيزِ بصاعهِ**

٤- ص ١٨، وردت قصيدة على أنها من (الطويل)، مطلعها:

لاقـى طـريـقَ الـنـسـكِ شـاسـعـةً

فـاسـتـصـحـبَ الـلـذّاتِ وانـحـرفـا

والصحيح: الكامل الأحذ.

٥- ص ١٩، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من الطويل، أولهما:

سـكـنَ الـمـجـرّة واسـتـهـلّ نـداً

وكـذا الـغـمـامُ إذا عـلا وَكـفـا

والصواب: الكامل.

٦- ص ٣٠، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من المنسرح، أولهما:

أقـول للعينِ فـي يـوم الـوداع وقد

فاضتْ بقانٍ على الخدَّينِ مستبَقِ

والصحيح: البسيط.

٧- ص ٣٤، وردت ثلاثة أبيات على أنَّها من الكامل، أولها:

يـا هـاجري أبـداً فـي يقظتي فـإذا

هـوَّمـتْ وكّـلَ بـي طيفاً يـؤرِّقُـنـي

والصواب: البسيط.

٨- ص ٣٥، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من الكامل، أولهما:

يـغـالـطـنـي فـيـكـم هــوايَ فـأنثني

إلـيكم عـلـى إنـكـار مـا قـد بـدا ليا

والصواب: الطويل.

٩- ص ٤٠، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من البسيط، أولهما:

زهَّــدنــي فــي الـعـقـل أنــي أرى

عــنــايــةَ الأيــامِ بـالـجـهـلِ

والصواب: السريع.

١٠- ص ٤٥، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من الطويل، أولهما:

ومـهـفـهـفٍ كـتـب الـجـمـالُ بـخـدِّهِ

سـطـراً يـحـيِّـرُ نـاظـرَ الـمـتـأمِّـلِ

والصواب: الكامل.

١١- ص ٤٥- ٤٦، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من الطويل، أولهما:

مـتـفـرّديـن تـرنَّـمـا فـي مـجـلـسٍ

فـنـفـاهـمـا لأذاهـمـا الأقـــوامُ

والصواب: الكامل.

١٢- ص ٥١، وردت أربعة أبيات في المروحة عل أنَّها من الوافر، أولها:

وقــابــضــةٍ بـعــنــانِ الـنـسـيـمِ

تُـصـرِّفُـهُ كـيـف شــاءتْ هـبـوبـا

والصواب: المتقارب.

١٣- ص ٥٢، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من الطويل، أولهما:

ومـدامـة كـدم الـذبـيـح سـخـا بـهـا

لـلـشـربِ مـن لـهـواتـه الإبـريـقُ

والصواب: الكامل.

١٤- ص٥٧ وردتْ أبيات على أنَّها من مجزوء البسيط، أَوَّلُها:

وبـــارد الـظـلـم شـتـيـت الـثـغـر

واهـي الـمـواعـيـد مـعـاً والـخـصـرِ

والصواب: الرجز.

١٥- ص ٧٤، وردت أربعة أبيات، على أنَّها من المنسرح، أولها:

أيـن تـريـد درّس الـربـع الـبلا
هـو الـحمـى فـاحبس عليه الإبـلا

والصحيح: الرجز.

١٦- ص ١٠٨، بيت واحد ذكر أنـه من البسيط:

أبـيتُ وأسـرابُ الـنَـجـومِ كـأنُّها
قـفـولٌ تـهـدى إثـرهـنَّ قـفـولُ

والصواب: الطويل.

١٧- ص ١٢٦، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من البسيط أولـهما:

نـفـشـتْ أنـامـلـهـا وأنـبـت خـدُّهُ
وردأ يـزيـد مـلاحـةً عـن عـهـدهِ

والصواب: الكامل.

١٨- ص ١٣٩، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من (الكامل)، أوَّلهمَا:

تَـعَـلَـقـتُـهُ أُمِـيَّ حُـسْـنٍ، فـمَـا لـه
أتَـى بِـكِـتَـابٍ ضِمْنَهُ سورة النملِ؟

والصواب: الطويل.

١٩- ص ١٤٧، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من (السريع)، أولهما:

يـقـولـون فـي أرض مـصـر الـغِـنَـى
ولـيـس لأقـوالـهـم مـسـتـنـدْ

والصواب: المتقارب.

٢٠- ص ١٤٩، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من (الخفيف)، أوَّلهما:

يا شيب كيف وما انقضى زمن الصبا
عـجّـلـت مـنّـي الـلِّـمـة الـسـوداءَ

الصواب: الكامل.

٢١- ص ١٥٨:

يـا ابـن رسـول الـلـه لـم أدرِ ذا الـ
أمـرِ الـذي جـئـت بـه مـا هـوَهْ
عـهـدي بـالـلـؤلـؤ فـي بـحـرهِ
وأنـتَ بـحـرٌ حـلَّ فـي لـؤلـؤهْ

وذكر أنهما من (المنسرح)، والصّواب: السريع.

٢٢- ص ١٧٨، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من (السريع)، أولهما:

إنْ تـمـادى الـغـيـثُ شـهـرًا هكذا
جـاء بـالـطـوفـان والـبـحـر المحيطْ

والصواب: الرمل.

٢٣- ص ٢٧٧، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من الوافر، أولهما:

كـأنَّ الـغُـصـونَ مِـن الـيـاسـمـيـ
ـن وأزهـاره حـيـن يـعلوه طيبٌ

والصواب: المتقارب.

مع ملاحظة أن تكون (الياسمين) كلها في الصدر.

٢٤- ص ٣٣٤- ٣٣٥، وردت قصيدة على أنَّها من (السريع)، أولها:

وعـــدتَ جـمـيـلاً وأخـلـفـتـهُ

وذلـــك بـــالـــحـــرّ لا يَـجـمـلُ

والصواب: المتقارب.

٢٥- ص ٣٥١: نتفة لصفي الدين الحلّيّ، ذكر أنها من (الكامل)، أوَّلها:

إنّ البخيريّ مذ فارقتموه غَدَا

يسفي الرمادَ على كانونه الحربِ

والصواب: البسيط.

٢٦- ص ٣٥٤: نتفة أخرى لصفي الدين الحلِّيّ، ذكر أنَّهَا مِنَ (الكامل) أيضًا، أوّلها:

ولـم أر كـالمحبوبِ ليلة وصلهِ

وقـد راضـهُ لـومـي لـه وعتابيا

والصواب: الطويل.

٢٧- ص ٣٦٥: وردت خمسة أبيات، مطلعها:

قد ارتـدى ذيـلَ الصّباحِ الأكهبِ

والصُّبحُ مثلُ الماءِ تحتَ الطُّحلبِ

وذكر المحقِّقُ أنها مِنَ الكامل.

قلتُ:

أ- الصَّواب: الرجز.

ب- يُفضَّلُ أَنْ يكتب كلّ شطر أسفل الآخر، فتُصبحُ عشرة أبياتٍ (أشطر).

٢٨- ص ٣٦٧: أربعة أبيات حدَّدَها من الطويل، مطلعها:

لـئن سـلّ الـزمـانُ لـنـا مـنـاصلْ

فَصُنـعُ الـودّ عندي غيرُ ناصلْ

والصواب: الوافر.

٢٩- ص ٣٩٤- ٣٩٥، ورد بيتان عَلى أَنَّهُمَا من الرمل، هما:

أعـجـبُ مـا فـي الـلـهـو جَـرْيٌ

مـن أدمـع الـراووق لـمّـا انسكبتْ

لـم تـزل البطة في قهقهةٍ ممْ

مـا بيننا تضحك حتى انقلبتْ

أقول:

أ. الصحيح: مسدس الرجز.

ب. (جَرْيٌ) في صدر الأول ضبطتْ خطأ، وصحيحهُ: جرَى.

ت. (ممْ) في صدر الثاني زائدة.

وفضلًا عن هذا كلِّهِ فهناك أوهامٌ في تحديد البحر نفسِهِ من حيثُ وَصفِهِ تامًا أو مجزوءًا، ففي ص ٢٩ ورد بيتان من الرمل، والصواب مجزوء الرمل، وفي نهاية ص ٣٣ وردت ثلاثة أبيات نونية من الكامل، والصحيح من مجزوء الكامل المرفَّل، وفي ص ٤٢١ ورد بيتان من الرجز، والصحيح أنَّهما من مجزوئهِ...

### ثانيًا – الخطأ في إيراد الأبيات:

حفل الكتابُ المُحقَّقُ بكثيرٍ من الأبيات التي جاءَتْ معدولةً عن أصلها وعلى غير حقيقتها، وهذا يعودُ إلى أمرين، هما سوء قراءة المخطوطة، والنقص في الأبيات، أو الخطأ في ضبط الكلمات:

أ / سوء قراءة المخطوطة:

١- ص ٦٠:

يا نابذاً بين الظّباءِ قلبَهُ

ذريّةً لكلُّ سهمٍ عاثرِ

قلتُ: (ذريّة) لا معنى لها هنا، والصواب (دريئة).

٢- ص ٦٦:

أفنى الهوى أدمعي نزْفًا ولم يرني

سِوى دمِي فهو بالتّوديعِ يذرفُهُ

الصواب: ولم يرَ لِي

٣- ص ٦٦:

دار بِقوس صَحّت النفوس بها

والحب حيث الشّقاء والعللُ

وذكر المحقق في الهامش: " قوس: مدينة بمصر".

أقول: الصواب: "دارُ نُقُوْسٍ"، لِذا فتعليقُ المُحقّقِ لا شيء!

٤- ص ٦٧:

فتضحكُ أنواءُ السَّحابِ إذا بكتْ

عليهِ غزارٌ موثقًا وشقائقًا

الصواب: عليهِ غرارٌ مُونِقًا.

٥- ص ٦٨:

قد وقفنا من بعدكم نسألُ الـ

ـبانَ ضلالاً عنكم ويشكو الرَّبدا

وعلّق المحقّقُ: " الرَّبدُ: الإقامة ".

قلتُ: وهذا وهمٌ جرّه إليه الخطأ في قراءة البيت، والصواب: " ونشكو الرّندا ".

٦- ص ٧٣:

لا تعجبوا إنْ عافَ مشربهُ الذي

أجفانهُ سمجت بأحمر مربد

الصواب: مزبدِ

٧- ص ١٢٥:

وهل أقام الحيّ من بعدنا

مخيّماً بالجزع أم قوّضا

الصواب: أم قُوّضا؟

٨- ص ١٢٨:

تهدي الشُّفاء له وأنتَ نعيمهُ

وتزيده مرضاً وأنت طبيبه

الصواب: تُهدي الشّقاء.

٩- ص١٣٠:

لو لم تكن بدراً لما

أهدى لك الثور الجمل

الصواب: "الحمل " ـ بالحاء المهملة. وورد خطأ أيضًا في الصفحة السابقة، مع أنّ في (الثور) و(الحمل) تورية واضحة.

١٠- ص ١٣٨:

أما والذي أرسى كثيرًا وحلمه

لقد طاش حلمي يوم زُمّتْ ركائبُهُ

الصواب: " أرسى ثُبيرًا "، و: ثبير؛ اسم جبل مشهور.

١١- ص١٤٨:

تحيرّتُ لما قال نشوان عطفهُ

فقلت وقد أزرى بما يثبت الخط

الصواب:

تحيرَّتُ لما مال نشوان عطفهُ

فقلت وقد أزرى بما يُنبتُ الخَط

وتُصحّح قافية البيت التالي إلى: إسفنطُ

١٢- ص ١٧١:

حلا نبات الشعر يا عاذلي

لما يدلُّ في خَدِّه الأحمرِ

الصواب: لمَّا بدا في خَدِّهِ الأَحمَرِ.

١٣- ص ١٧٦:

يد تلاقت يراعات بها وفتى

أنّى تُجارى وحازتْ ذلك القصبا

الصواب: ( وقِنى ).

١٤- ص ١٧٦

كيف يحمونها وقد

جاءها كلّ سائح

الصواب: سابح

١٥- ص ١٨١:

مولاي أشكو غرفةً في ناجدٍ

كالنار تلفح بالهجير اللافحِ

الصواب: ناجر.

١٦- ص ١٨٥:

وتنظر من ستر الزجاج كِأنها

سنا البرقِ يبدو من دقيق غيوم

الصواب: رقيق.

١٧- ص ١٨٦:

دببتُ ليلاً عليه بعد هجعته

شُكراً فقلْ في دبيبِ النورِ في الظلمِ

الصواب: سكرًا

١٨- ص ١٨٧:

صابونُهُ في راحتي منعمٌ

أصبحت السحب له حسّدا

الصواب:

صابونَةٌ في راحتي منعمٌ

قد أَضحَت السحبُ لهَا حسَّدا

وينظر: مطالع البدور ٣٨٤/٢.

١٩- ص ٢١٧:

سقى الله وادي النيّرين فإنني

قطعتُ به يوماً لذيذاً من العمرِ

الصواب: " النيربين "، مع العلم أنَّ الكلمةَ وردت صحيحة في: فوات الوفيات ٦١/٤، وقد أشار إليها المحقق في هامشه، لكنه لم يأخذ بها.

٢٠- ص ٢٢٣:

جعلتم فيض روحي نصب أعينكم

ظلمًا، ولم تقنعوا أنْ تأخذوا نفسي

الصواب: جعلتم قَبْضَ...

٢١- ص٢٢٨:

لو كان لي سعد وحقّك لم تَزل

أبدًا تعنيني بهذا الموضع

الصواب: " تغنّيني ".

٢٢- ص ٢٢٩ :

لا ذنب للنيران إنْ هي أخمدتْ
زمنًا فضَنّ العرق فيه بنبضهِ

الصواب: " زمنًا يَضُنُّ".

٢٣- ص٢٢٩ -٢٣٠ :

يكد إذا عاينت ضحضاح ما بها
يلوح بها بالصفو حوتٌ وضفدعُ

ولو كان.... أنّ في ضلوعه
من الغمد يلقاها لما كان يطلعُ

إذا كان هذا في قنا اللحظ والظبى
صنيعي فقل لي ما بضعفك أصنعُ

قلتُ: صواب صدور الأبيات:

- يكد إذا عاينت ضحضاح ماءها
- ولو كان يدري أنه في طلوعه
- إذا كانَ هذا في قنا الخطّ والظبا

٢٤- ص٢٣٠:

ونهرٍ كلّما هبّت عليه النّـ
ـسمُ في الذّهابِ وفي الرّجوعِ

يُـؤثّـرُ فيه تجعيدًا خفيفاً
كوطءِ الصافناتِ على الدروعِ

الصواب: " تؤثر ".

٢٥- ص٢٤٧:

رتق الحمى حدّث بأخبار لوعة
لها من فؤادي بالجفون تواترُ

والصواب: أ بَرقَ الحمى

٢٦- ص ٢٥٤ :

ربَّ فِي الْحَرْب نلْت مطلبكَ الأ
أقصَى، وَمَا بِي من قدرَةٍ لولاكا

والصدر لا يستقيم معناهُ مع البيتين الذين يسبقانه في مصادره، وهذا ما أدّى إلى تحريفه، وخطأ في التدوير، والصواب:

بي فِي الْحَرْب نلْت مطلبكَ الأقـ
ـصَى، وَمَا بِي من قدرَةٍ لولاكا

٢٧- ص ٢٥٦ :

أرني المنافسَ في الدنيا ليجمعه
حِرصاً وللرزقِ حُكْمٌ يُبطلُ السَّببا

كلاعبِ النّردِ يُفنى في تَصرُّفِهِ
جُهْدًا ويمنعهُ المقدارُ ما طَلَبا

والصواب: (أرَى).

٢٨- ص ٢٥٨ :

يؤنس بالنرجس مَنْ يجتني
فإنْ لوى أطعمه بالأقاحي

الصواب: يونِّس....أطعَمَهُ

٢٩- ص٢٩٢ :

يسعى بها ملك بالنصر مقترف
بالناس مدرّع بالجود متّصف

الصواب: مقترن

٣٠- ص٢٤٩:

شكيَّة يا وزير العصر أرْفقها
ما كان باملي هذا من ولاك علي

لــم يــبــق فــي الأرض مــخــتــار

إلاّ فتى مِــن بقايا وقـعـةِ الجمل

وهذان البيتان مضطربان، والصواب:

شكيَّة يــا وزيــر العصر أرْفعها

ما كـان يرضَى بها من ولاك علي

لم يبق في الأرض مختار يرافقه

إلاّ فتى مِن بقايا وقـعـةِ الجملِ

٣١-ص ٣١٢:

وحــائــك صـــار خـطـيـبـاً ومـذ

صــار خـطـيـبـاً قـد بـدا منصرما

وصواب العجز: صار خطيباً مَذْقَهُ قد صرَّما

٣٢- ص ٣٩٦:

قـــــد تــحــلّــيـــتُ بِــــدُرٍّ

فـــــتــحــيــيــت إلـــيــــنـــا

الصواب: فتحبَّبتَ

٣٣- ص ٤١٦:

أحــاط بـالـخـال فـوق الـخـدِّ عـذاره

لـمّـا تـكـوَّنَ فـي نــورٍ ونـيــرانِ

مَـكـان عـابـدِ نــارٍ فــوق وجنـتـهِ

وقـد غـدا راهـبـاً فـي دَيـر شـعـرانِ

أقـول: الصدر مكسور لوجود (عـذاره)، والصواب بعد تصحيح أخطاء البيتين:

أحــاط بالخال فـوق الـخـدِّ عارضُه

لـمّـا تـكـوَّرَ فـي نــورٍ ونـيــرانِ

فَـكــانَ عــابـدَ نـــارٍ فـــوق وجنتهِ

وقــد غــدا راهـبـاً فـي دَيــر شعرانِ

وهما لعلاء الدين الطنبغا الجاولي في: كشف الحال في وصف الخال ٢٩٩.

٣٤- ص ٤٢٢:

يــا مــن يـبـاهـي بـبـغـدادٍ ودجلتها

مـصـرٌ مُـقـدَّمَـةٌ والـسَّـرحُ للنيلِ

والصواب: (والشّرح)، وهي الرواية الواردة في الديوان المناسبة للمعنَى، وقد أشار إليها المحققُ لكنه لم يأخذ بها.

وهناكَ أمثلة أخرى في سوء القراءة صددنا عن ذِكرها؛ لأنَّها لا تؤثِّر في البناء العروضي، وإنْ تغيَّر المعنَى.

**ب/ النقص في الأشطار:**

منها:

١- ص ١٥:

فـقـلـتُ دعــنـــي، أحـــقّ عضـو

مــنِّــي يــلـبـسُ الــســوادَ عيني

والعجز مضطرب الوزن، والصواب:

منِّـــي بِلُبْسِ السَّـــوادِ عيني

٢- ص ٥٦:

ألـم تساموا عذلي، دعوني والبكا

أُلامُ عـلـى فـيـض الـدمـوعِ ألامُ

وصواب العجز:

إلَامَ على فيض الدموعِ أُلامُ؟

٣- ص ٥٧:

فــي خــدِّه مـــاء الـشـبـاب يـجـري

قـــافـــيــــةً مــــن شـــعــــري

والشطر الثاني ناقصٌ كما هو واضحٌ، ولم ينبّه المحقق على هذا، وضبط (قافية) بالنّصب وَهْمًا، والصواب:

كَأنَّــهُ قافيــةٌ مِن شِـعرِي

٤- ص ٦٦، تتمة قصيدة من البسيط:

وما خلت أنَّ الهوى يقضي عليَّ به

والحبُّ كالحَيْن للإنسان مجلوبُ

لم أخلْ أنَّ سرَّ الوجد يفضحُهُ

من الحمائِمِ تغريدٌ وتطريبُ

والصواب: حذف الواو من بداية البيت الأول وإضافته الى بداية صدر الثاني.

٥- ص ٦٧:

قسماً بالقدود وهنَّ رماحٌ

ولحاظُ العيون وهنَّ سهامُ

والبيت مكسور، لوجود (هنَّ)، والصواب (هي)، فيكون البيت:

قسماً بالقدود وَهْـيَ رِمَـاحٌ

ولحاظُ العيون وَهْـيَ سِهَـامُ

٦- ص ٦٩:

هو الحمى مغانيه مغانيه

فاحبسْ وعان بليلى ما تعانيهِ

والصواب: هو الحمى ومغانيه مغانيه

٧- ص ٧٠:

ما ضرّ ذاك، الظلم لو اتقى

ظلمي وعاف تألُّمي ذاك اللمى

والصدر مكسور، والصواب: ما ضرّ ذاك الظلم منه لو اتّقى.

٨- ص ٦٩:

فما يُبريَ المشتاقَ إلاّ تعلَّةٌ

وينقصُ داء المحبِّ إلاَّ مزيدهُ

والصواب: فما يُبرئُ المشتاقُ

٩- ص ٧٢:

دعني فما اخُضرّ العقيق

إلا وصرّح نبتهُ بزفيري

أقول: صدر البيت ينقص كلمة، لعلها (بمهجتي)، والفعل ( صرّح ) خطأ، والصحيح: صوّح، فيكون:

دَعني فَمَا اخْضَرَّ العَقِيقُ بِمُهجَتِي

إلاَّ وَصَوَّحَ نَبتُهُ بِزَفِيرِي

٦- ص ١٠٢ :

وسألتِ عن قلبي وأنت سلبتِهِ

سواكَ العارفِ المتجاهلِ

قلت: العجز مختلّ وناقص لسقوط الكلمة الأولى منه، وأوّل كلمة فيه هنا محرّفة، وصوابهُ:

منّي سُؤالَ العارفِ المتجاهِلِ

٧- ص ١١٥ :

أكنتَ مريضًا؟ قال: لا، وإنما

يخبرني عبدُ الرحيم بسرِّهِ

قلتُ: (لا) في الصدر خطأ، وصوابها: (كلاَّ)، مع العلم أنَّ المحققَ أشار الى الصواب في الهامش نقلاً عن ديوان ابن عنين لكنه لم يأخذ به!

٨- ص ١١٨:

**صـعـراء إن قـامـت فـهـي مـائـلـةٌ**

**وإن مشتْ فهي كالميزان معتدلهْ**

والصدر مختلٌّ لسقوط (هي) منه، فيكونُ صوابُهُ:

**صعراءٌ إنْ هِيَ قامت فهي مائِلةٌ**

٩- ص ١٢٩:

**ولا تـمـنـعـاه أنْ يـمـرّ مـسـلّـمـاً**

**على معهدٍ قضَّى به من العيش صالحا**

أقول: (من) في العجز زائدة، وبها ينكسر الوزن، فالصواب حذفها.

١٠- ص١٤١:

**قـبـضْـتُ والـتـفـتُّ أريـدُ**

**أُخْـتَـهَـا فـاحـتَـمَـتْ بِـالـدُّجَـى**

وعلق المحقق: " كذا، وفيه وهم ".

أقول: صواب البيت:

**قَـبـضْـتْ غـزالـتـهُ، والـتـفَـتُّ**

**أُريـد أُخْـتَـهَـا فـاحـتَـمَـتْ بِـالـدُّجَـى**

١١- ص ١٥٩:

**ويـوم قـرٍّ بـدا غـيـمـهُ**

**يـلـفُّ قـرصَ الـشّـمـسِ فـي بُـردهِ**

والعجز ناقص على البحر (السريع)، ويصحُّ بإضافة (قد)، فيصيرُ:

**ويـوم قـرٍّ قـد بـدا غَيمُهُ**

١٢- ص ١٤٧، ورد بيتُ التّلّعفريّ ناقص التفعيلة في عجزه:

**تناقضت حالتاه فهو يوم وغىً**

**غـرٌّ وفـي الآراء مـحـتـنـكُ**

وصواب العجز: " في الفتك غرٌّ وفي الآراءِ محتنكُ ".

١٣- ص ١٦١:

**فالعضب أبتر والمثقف ذابل وكلّ حنية مرنانُ**

أقول: هكذا ورد البيت على هيئة نثر، وهو ناقص، وصوابه:

**فـالـعـضـب أبـتـر والـمـثـقَّـفُ ذابـلٌ**

**حُـرُقًـا، وكـلُّ حـنـيَّـةٍ مـرنـانُ**

١٤- ص ١٧٢:

**أحـمـامـة الـوادي بـشـرقـيّ الغضا**

**فغُصُونُهُ في راحتيكِ وجمرهُ في أضلعي**

أقول: هذا البيت في أصله بيتان، هما:

**أ حَـمَـامَـةَ الـوَادِي بِشَرقيّ الغَضَا**

**إنْ كنتِ مُسعدة الكئيبِ فَرَجِّعِي**

**فَلَقَد تَقَاسَمنَا الغَضَا، فَغُصُونُهُ**

**فِي رَاحَتَيكِ، وَجَمْرُهُ فِي أَضْلُعِي**

وهما في: تذكرة النبيه ١ / ٧١، منازل الأحباب ٢٨١، شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي، بتحقيقنا، مجلة (المورد)، ع ٢، ٢٠٠٥م: ٧٩.(ط ٢، بيروت، ٢٠١٦م، ص ١٧٦).

١٥- ص١٧٣ :

**ولا تـعـذلـونـي فـي هـوى شـادنٍ**

**هَـوَيْـتُ طـرفًـا مـنـه سـحَّـارا**

الصواب: حذف الواو من أوّله ليستقيم الوزن على السريع.

١٦- ص ١٨٤:

وشــادنٍ ذي عــذارٍ كـنتُ أعشقُهُ

فـصـارَ يُـحـلـقُ لـما طـغَى الشَّعَرُ

والعجز ناقص، ويكونُ تامًا عند زيادة (أن)، فيكونُ:

فصارَ يُحلقُ لَمَّا أنْ طغَى الشَّعَرُ

١٦- ص ٢٢٧:

قـضـى الـلــه لــي بـهـا مَــرَّةً

يـا لـيتـهـا كـانـت هـيَ الـقـاضـيـة

وصدرُ البيتِ مختلٌ، وكلمةُ القافيةِ حقُّها أنْ تنتهي بالهاءِ لا التّاء، فيكُونُ صَوابهُ:

قـضـى لــي الـلــهُ بـهـا مَــرَّةً

يـا ليتها كـانـت هـيَ الـقـاضِـيَـهْ

١٧- ص ٢٣٦:

وبـكـلِّ أنـبـوبٍ سـكـوب قـيـنـةٌ

فدموعهاتجري جواً والنار في أحشائها

قلتُ: البيت من الكامل، ولكنْ وردتْ في العجز تفعيلة إضافية متمثّلةٌ في (فدموعها)، ولم يذكر المحققُ هذا.

١٨- ص ٢٤٧:

شَمِتَ الحسود لأني ضنيت وما درى

أنّـــي بـأثـواب الـضـنـا أتـشـرفُ

والصدر مكسور، والصواب: شمتَ الحسود لأنْ ضَنِيْتُ

١٩- ص ٢٥٢:

لــو نـسـيـمـات بـنـشـر الـحـمـى

تـأتـي مـع الـصُّـبـح لـمـاتَ الـكـئـيـب

الصواب: " لولا..".

٢٠- ص ٢٨٥:

إنَّ هــذا الـفـتَـى فـتًـى سـبـانـي

حـسـنُ نـقـش الـعـذار فـي وجـنـتـيهِ

والصدر ناقصٌ، ويصحّ بإضافة (قد)، فيكونُ:

إنَّ هذا الفتَى فتًى قد سباني

١- ص ٢٨٥، نفسها:

ومــتـــى يـــنـجــو ضـعـيـفٌ

وهـــو بـــالـــخـــيـلِ يـطـلـبْ

والعجز مكسور على مجزوء الرمل، والصّواب: سيُطلبْ.

٢١- ص ٣٦٣، بيتان للمؤلّف من الخفيف وردا على هذا النحو:

عما جرى لي من دموع عيني كأنهنَّ اللآلي

خـفـفـت وطـأة الـغـرام ولـكـن

عرفت في الجفون طيف الخيالِ

وعلّق المحققُ: " كذا ".

أقول: إنّ شكّ المحقّق يخصّ صدر البيت الأول، لسقوط كلمة منه، لكنّ البيت الثاني غير مفهوم أيضًا لِتصحيفٍ وَقَعَ في (غرقت)، والمحقّقُ لم يُتعب نفسه حتّى في مراجعة مظان ترجمة المؤلّف ابن فضل الله العمريّ، وهذا عجيب منه، فالبيتان في: الوافي بالوفيات ٢٦٧/٨

- حيثُ ترجمته - وهو من مصادرهِ!

وصوابُ البيتين:

**لا تسَلْ بعدَ بَيْنِهِمْ ما جرى لي**

**مِنْ دُموعٍ كأنَّهنَّ اللآلِي**

**خففت وطأة الغرام ولكنْ**

**غرقَت في الجفون طيفَ الخيالِ**

٢٢- ص ٤٠٤:

**يسمع ألحان تتلى**

**وترى الناسَ سُكارى**

أقول: الصدر مكسور الوزن، وصوابه:

يسمع الألحان تُتلى

٢٣-ص ٤٠٩:

**طربنا لتغريد الحمائم فوقه**

**فنقَّطَ وجهَ الأرض من جملة أنصافِهِ**

والعجز فيه خلل بوجود كلمة (جملة)، والصواب: "من بعض"، وهو ما ورد في: كوكب الروضة ٦٥٢، ولم يرجع المحقق إلى هذا المصدر، أو إلى أي مصدر لتخريج أشعاره، أو ترجمته!

٢٤- ص ٤١٦، وردت ثلاثة أبيات، جاء الأوَّل:

**قد خُطَّ في خدِّهِ من زغبٍ**

**فقال لي عاذلي هل عنه سلوانُ**

وهو مكسورُ الصَّدرِ لسقوط كلمة: (سطران)، فيكون:

**قد خُطَّ في خدِّهِ سطرانِ من زغبٍ**

**ج/ الخطأ في الضَّبط:**

١- ص ١٩٨:

**لله درُّ لواعجٌ أودعتني**

**يوم الغوير ضحىً وأنت مودّعي**

والصواب: لواعجٍ.

٢- ص ٢٠٧:

**تقول وقد وَصفتُ لها مشيبي**

**بزهرٍ في دُجى شعري منيرِ**

**بودّي لو يغيِّبها غمامٌ**

**ويؤمر بالمقام فلا يسيرِ**

أقول: صواب القافيتين: (ينيرُ) و (يسيرُ) بالرفع.

٣- ص ٢٣٦: وردت قصيدة جاء في بعضها:

**وكأنَّ بركةَ مائِها ماويَّةٌ**

**تحكي النجومَ الزّهْرَ فِي جريانها**

**أمواه آنية تخالف لونها**

**فتشبّهتْ كلّ بلون إنائها**

**تبدو لعينك في القباب بِدورها**

**وتضيء في إرجائها وسوائها**

أقول:

أ. القصيدة همزية، ولكن القافية (جريانها) نونية، ولم يشرِ المُحققُ إلى هذا، ولعلها: "جوزائها"

ب. "تُخالِفُ لونَها" خطأ، والصواب: "تَخَالَفَ لونُها".

ج. "بِدورها" خطأ، والصواب: "بُدُروها".

٤- ص ٤١٧:

كـأنَّ عـارضَـهُ فـي الـخـدِّ حين نما

خـفـيُّ غيمٍ بـدا فـي جـانـبِ الشَّفقِ

أو عنبرُ الخالِ فوقَ الخدِّ مُحترِقٌ

دُخَـانُـهُ قد عـلا فـي خـدِّهِ الـشَّـرَقُ

ويُلاحظُ الإقواء في البيت الثاني، فالقافيةُ مرفوعةٌ، وقبلها مكسور، ولم ينبّه المحقق على هذا الأمر، والحقيقة أنه لا يُوجد إقواء، بل خطأ في الضَّبطِ جرَّهُ إليه عدم فهمه لمعنَى البيتِ الثاني، فلا يوجد (شَـرَق) في الخدِّ، وهو لا يوصفُ أصلاً بهذا، بل فيه إشراق، فيقول إنَّ دخان العنبر قد علا في خدِّهِ المشرق.

لِذا تكون الكلمة الصحيحة هي: (الشَّرِق).

### ثالثًا: عدم ذِكر أسماء البحور:

تَرَكَ المحققُ الكريم تحديدَ البُحورَ في مَوَاضِع مُعيَّنةٍ من الكتاب، من دون مسوِّغٍ، وها نحنُ نثبتها هنا، وهي:

١ - ص ٣٢:

عـتـبـي نـفــاقٌ لا تـحـفـلـنَّ بـه

قَــولٌ بـلا نـيَّـةٍ ولا عـمـلِ

يُشبـهُ تعييسَ شـاربِ الـخمـر لا

لـكـرهـهـا بـل لـفـارطِ الـجـذلِ

وهما من: المنسرح.

٢ - ص ١٨١، ورد بيتان على قافية الحاء المكسورة، أوَّلهما:

مــولاي أشـكـو غـرفـة فـي نـاجـر

كـالـنَّـار تـلـفـحُ بـالـهـجيرِ الـلافـحِ

أقول: هما من الكامل.

٣- ص ١٣٦، وردت قطعة لم يذكر المحقق وزنها، وهو (الخفيف)، مطلعها:

طـاف بـدر الـدجى بشمسِ النَّهار

فــي ريـــاضٍ أنـيـقـة الـنُّــوَّارِ

٤- ص ١٥٥، ورد بيتان، هما من الوافر، أولهما:

ويــا لـيـل الـذَّوابــة مــا كـفـانـي

تـطـاول حــالـك الـلـيـل الـبـهـيـمِ

٥- ص ٢٥٢، وردت قطعة، لم يفصح عن اسم البحر، وهو الطويل، مطلعها:

نـصـون الـحـميّـا بـالـقـنـانـي وإنـمـا

نصون القناني بالحميَّا ولا ندري

وفي الصفحة نفسها وردت قطعة، هي من الكامل، مطلعها:

لـك بـين حـزنـي والـسـرور مـقـامُ

فـلـذاك أعــذر فـي الـهـوى وأُلامُ

وفي الصفحة نفسها وردت مقطعة أخرى، هي من السريع المذيّل، مطلعها:

أدِرْ علينا كـأس ذِكـر الـحبيبْ

فـانـه يُـسـكـرُ سـكـراً عـجيبْ

### رابعًا: الخطأ في الفصل بين الشطرين في الأبيات المدوّرة:

جانبَ المحقّقُ الصّواب وجانفهُ في إيراد

الأبيات المدوَّرة على الشطرين، زيادةً أو نقصًا، على النحو الآتي:

١- ص ١٦:

قـصـدت ربـعـي فـتـعـالـى بـه قد

ري فـدتـك الـنـفـسُ مـن قـاصـدِ

والصواب أن تكون ( قدري ) كُلّهَا فِي العجز.

٦- ص ١٧:

نـاولـنـي تـفـاحـةً أشـبـهـتْ لو

نـي وطـيـبُ الـريـح مـن فـيـهِ

والصحيح أن تكون ( لوني ) كلها في العجز.

٧- ص ٢٠:

ليت شعري مـاذا استطلتَ مـن الـ

وصـلِ، ومـا كـان غيرَ يـوم وليلهْ

والتدوير جانبه الصّواب على الخفيف، والصَّحيحُ:

ليت شعري ماذا استطلتَ مِنَ الوَصـ

ـلِ، ومـا كـان غـيـرَ يـوم وليلهْ

٤ - ص ٦١:

لـمَّـا تـبـلَّـج فَـجـرُ فـوْدي

وانـجـلـى لـيـلُ الـعـذارِ

والصَّوابُ أنْ يُنقل الدال والياء من (فودي) إلى العجز.

٥- ص ٦٥:

عـرِّجْ وقِـفْ وقـفـةً لـوت الإزا

ربـه فما عليك بـهِ إثـمٌ ولا حُـوبُ

والصواب أنْ يكون البيت سليمً هكذا:

عـرِّجْ وقِـفْ وقفةً لـوث الإزارَ بهِ

فَـمَـا عـلـيـكَ بِـهِ إثـمٌ ولا حُـوبُ

٦ - ص ٦٦:

تـوسـع فـتـكًـا فـلـيـس نـدري الـ

جـراحـات بها أم عيونها الـنُّجُلُ

الصواب: أن تكون (الجرا) في نهاية الصّدر.

٧ - ص ٦٧:

أيـن ورق الـجـزع مـن لـي أن

أرى عُجمهُ أو أن أشاهد عَرَبَهْ

والصواب: أن تلحق ( أرى) في الصدر.

٨- ص ٦٧:

لأُطـيـلـنَّ وقـفـة الـحـزن فـي الـ

أطـلال حـتـى يـرثـي لـي الـلـوّامُ

والصواب أن ينتهي الصدر بـ (الأَط).

٩ - ص ٧٠:

ياردفه،افتضح الكثيب،وعطفهُ عُرف الـ

قـضـيـب بـمـا اسـتـعـارا منكما

والصواب أن يكون:

يا ردفـه، افتضح الكثيب، وعطفهُ

عرف القضيب بما استعارا منكما

١٠ - ص٧٢:

ما وقفة الحـادي على يبرين وهـ

و الـخـلـيُّ مـن الـظـبـاء الـعـينِ

والصواب أن تكون ( وهو ) كلها في العجز.

١١- ص ٧٣:

لم ينج ربّ صنيعة بتدرّع منهم

ولا بالشدّ ربّ حصان

والصواب: أن تكون ( منهم ) في العجز.

١٢- ص ٧٥:

تنبهي يا عذبات الرندِ كم

ذا الكرى هبَّ نسيم نجدِ

الصحيح أنْ تكون ( كم ) في أول العجز.

١٣- ص١٢٥:

ما أهتدي بعدكم رقداً الى جف

ني ولا أهتدي السلوَّ لبالي

والصواب أن تكون ( جفني ) كلها في العجز.

١٤- ١٧٥:

ظنَّ أنْ يحفظوا الفر

اتَ ببيضِ الصفائحِ

والصواب أنْ تكون ( ت ) فقط في العجز.

١٥- ص ٢٤٢:

إلى ملكٍ من بني الخيزرا

ن كان القيامُ لديهِ قعودُ

فظنّ أنّه الفعل الناقص (كان) وما بعده اسمه المرفوع!

والصواب في رسم البيت وضبطه ووزنه:

إلى ملكٍ من بني الخيزران

كأنَّ القيامَ لديهِ قعودُ

١٦- ٢٧٣:

يا ملكاً جود راحتيهِ لم

يحوجِ السائل السؤالا

والصواب أنْ تكون ( لم ) في العجز.

١٧- ص ٢٧٨: ثلاثة أبيات على قافية الواو، جاء الأول:

ولمَّا لاح في الأزرق

من مزروره المزري

والصواب: أن يكون حرف ( ق) في العجز.

١٨- ص ٢٨١:

يا سائلي من أين تأكُلُ

هاكَ حالي عن يقينْ

الصواب في رسم البيت:

يا سائلي من أين تأ

كلُ؟ هاكَ حالي عن يقينْ

١٩- ص ٢٨٦:

وذي دلالٍ أهيفٍ كَمْ

سَرَّحُوا مِن الحمام نوبةً في ردِّهِ

لأنها تعرفه مِن طول ما غنّت

على مائس غصن قدِّهِ

والصواب أن تكون: (سرَّحوا) في صدر البيت الأوّل، و(غنت) في عجز الأخير، فيكونان:

وذي دلالٍ أهيفٍ كمْ سَرَّحُوا

مِن الحمام نوبةً في ردِّهِ

لأنها تعرفه مِن طول ما

غَنَّتْ على مائس غصن قدِّهِ

وتُنظر أوَّلًا، رقم ٢٣، والفقرة ثانيًا، رقم ٢٦.

ولقد كانَ مِنَ المُناسب أنْ يَضَعَ المُحَقِّقُ حرف (م) بين الأشطر المدوَّرة في الكتاب إذا لمْ يفصلْ بينَ الكلمات التي تتطلَّب تدويرًا، وقد فعل هذا مرةً واحدةً في الصحيفة ٢٧، لكنه لم يكررها.

وأورد المُحقِّقُ كلَّ شطرين من الرَّجَزِ في بيتٍ واحدٍ، ويُفضَّلُ أنْ يُطبعَ كُلُّ شطرٍ بمفرده؛ لأنه بيتٌ مستقلٌّ عند أئمَّةِ العَرُوضِ.

١- ص ٥٩:

**وليلة شربت فيها بالرقاد السّهرا**

**قضّيتها يزاحم العشاء منها السّحرا**

**لو كُحِّل الصّبحُ بها من قِصَرٍ ما شعرا**

**باريتها نواظراً مكحولةً وطررا**

**فبتُّ أستجلي بها وهي سِرارٌ قمَرا**

قلتُ:

الصَّوابُ أنَّها خمسةُ أبيات، أُثبتُهَا هنا مع تصحيح ما وقع فيها من خطأٍ:

**ولـيـلـة شـربـتُ فـي**

**ـهـا بـالـرقـاد الـسّـهـرا**

**قَـضَّـيـتُـهـا يـزاحـم الـ**

**ـعـشـاء مـنـهـا الـسّـحـرا**

**لـو كُـحِّـل الـصّـبـحُ بـهـا**

**مـن قِـصَـرٍ مـا شـعـرا**

**بـاريـتـهـا نـواظـرًا**

**مـكـحـولـةً وطُـررًا**

**فَـبِـتُّ أسـتـجـلـي بِـهـا**

**وهـي سِـرارٌ قـمـرَا**

٢- ص ٢٣٨، ورد بيتان من مجزوء الرجز، هكذا:

**يا هرماً كأنَّه نصل يراه من لمخْ**

**وصغيره من شاهد الوضع اتَّضحْ**

**فلو تهيّا سهمه وركّب السَّهْم وضحْ**

**رمى به عفريت بلقيس على قوسِ قزحْ**

أقول: الصحيح أنَّهُمَا أربعة أبيات، تُكتب هكذا:

**يَـا هَـرَمًـا كَـأنَّـهُ**

**نَـصـلٌ يَـراهُ مَـنْ لَـمَـخْ**

**(......) صـغـيـره**

**مَـنْ شـاهـدَ الـوضـع اتَّـضـحْ**

**فـلـو تـهـيَّـا سَـهْـمـهُ**

**وركِّـب الـسّـهـمُ وضَـحْ**

**رَمَـى بِـهِ عِـفـرِيْـتَ بِلـ**

**ـقـيـسَ عـلـى قـوسِ قُـزَحْ**

٣- ٢٨١:

**يا من يلوم كريماً يهشّ للتعظيم**

**ما يقبل النفخ إلاَّ ظرفٌ صحيحُ الأديمِ**

أقول: الصواب أنهما بيتان من (المجتث):

**يَا مَنْ يَلُومُ كَرِيمًايَهشُّ للتعظيمِ**

**ما يقبلُ النَّفخَ إلاَّظَرفٌ صَحيحُ الأدِيمِ**

وكذلك في الصفحات ٢٨، و ٣٤٤ – ٣٤٥.

أما باقي الأخطاء فقد رجّحنا أنها من آثار الطباعة.

وبعد، فقد انتهينا إلى تبيان ظاهرة تفشّي الأغلاط العروضيّة بأنواعها بصورةٍ مؤلمة في الجزء السادس عشر من (مسالك الأبصار)، وكان بإمكان د. محمد إبراهيم حُوَّر أنْ يتجنّب الوقوع في تلك الأغلاط التي شوّهتْ عَمَلَهُ لو تأنّى في قراءة الأبيات ولم يتعجّل بإخراج الكتاب، وقد كانت هذه التصحيحات التي قُمنا بها ضرورية لِقرّاء الكتاب، ولمُحققِهِ، ولدار النشر، معًا، وهذا ما هدفنا إليه في هذه الصفحات.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

## المصـــادر والمراجع


- أعيان العصر وأعوان النصر: خليل بن أيبك الصَّفَديّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. علي أبو زيد وآخرين، مركز جمعة الماجد، دمشق، ١٩٩٨م.
- تذكرة النبيه في أخبار المنصور وبنيه: الحسن بن عمر ابن حبيب (ت ٧٧٩هـ)، تحقيق محمد محمد أمين، دار الكتب المصرية،١٩٧٦م.
- تشنيف السمع بانسكاب الدمع: الصَّفَديّ، تحقيق د. محمد علي داود، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٧-١٩٦٨ م.
- حلبة الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات: الحسن بن محمد النواجيّ (ت ٨٥٩ هـ)، المكتبة العلامية، مصر، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.
- ديــوان ابن الظهير الاربلي (ت ٦٧٧هــ)، دراسة وتحقيق د. عبد الـرازق حويزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥ م.
- ديــوان ابن المعلّم ( ت ٥٩٢هــ)، مصوّرة معهد المخطوطات العربية، رقم ١٦٣٤/أدب.
- ديوان أبي الطيب المتنبيّ، تحقيق د. عبد الوهاب عزام، القاهرة، ١٩٤٨م.
- ديوان الحاجري، حقّقَهُ وقدّم لَهُ محمد سويد، المكتبة الإسلاميّة، المنامة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- ديوان سيف الدين المشد (ت ٦٥٦هـ): دراسة وتحقيق وتذييل عباس هاني الجراخ - جامعة بابل - كلية التربية، ٢٠٠٠م.
- ديوان الشاب الظريف، محمد بن عفيف الدين (ت ٦٨٨ هـ)، حققه وأعد تكملته وفسّرَ ألفاظه شاكر هـادي شكر، مكتبة النهضة العربية، عالم، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.
- ديوان الصبابة: ابن أبي حجلة التلمساني (ت ٧٧٦هـ)، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ديـوان عمارة اليمني، تحقيق عبد الرحمن يحيى الإرياني وأحمد عبد الرحمن المعلمي، دمشق، ٢٠٠٠م.
- ديـوان مجير ابن تميم (ت ٦٨٤هــ): حققه هلال ناجي و د. ناظم رشيد، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- شـذرات الذهب في أخبار من ذهـب: عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هــ)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
- ديـوان يوسف بن لؤلؤ الذهبي (ت٦٨٠هــ)، جمع وتحقيق ودراسة د. عباس هاني الجراخ، دار صادر، بيروت، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- صرف العين: الصَّفَديّ، دراسة وتحقيق د. محمد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٥م.
- عقود الجمان ؛ تذييل وفيات الأعيان: محمد بن بهادر الزركشيّ (ت ٧٩٤هـ)، مخطوط مكتبة الفاتح بتركيا، رقم ٤٤٣٥.
- عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود،


بيانُ الخللِ العروضيِّ في كتاب (مسالك الأبصار) للعُمَريِّ (الجزء ١٦)

ج ٢٠-٢١، بغداد،١٩٨٠-١٩٨٤م. ج ٢٢، تحقيق نبيلة عبد المنعم، بغداد، ١٩٩١م.

- الغيث المسجم في شرح لامية العجم: خليل بن أيبك الصَّفَدِيّ (ت ٧٦٤هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت،١٩٧٥م.
- فوات الوفيات والذيل عليها: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٧٤م.
- في نقد التحقيق: عباس هاني الجراخ، ط ١ ؛ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،٢٠٠٢م، ط ٢، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٦م.
- كشف الحال في وصف الخال: الصَّفَدِيّ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن عمر العقيل، الدار العربية للموسوعات، ط ١، بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- المرقصات والمطربات: ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ)، دار الفضيلة، بتحقيق إبراهيم محمد حسن الجمل و د. عبد الحميد هنداوي، القاهرة،٢٠٠٠م.
- مطالع البدور في منازل السرور: علاء الدين الغزولي (ت ٨١٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: جمال الدين يوسف ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، تحقيق د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.
- موفق الدين القاسم بن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) حياته وشعره: جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراخ، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٦ م.
- الهول العجب في القول بالموجب: خليل بن أيبك الصَّفَدِيّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. محمد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،١٩٦٤م.
- منازل الأحباب ومنازه الألباب: شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبيّ (ت ٧٢٥هـ)، حققه وقدَّم له د. محمد الديباجي، دار صادر، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الوافي بالوفيات: خليل بن أيبك الصَّفَدِيّ (ت ٧٦٤هـ)، اعتناء محمد يوسف نجم، فرانز شتاينر، فيسبادن، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- يوسف بن زبلاق الموصليّ حياتُهُ وشِعرهُ، جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجرّاخ، مجلة الذخائِر، ٢٠٠٤م.



# الأحياء الخاصة في النسيج الحضري العتيق لمدينة مراكش

## حارة الجذامى وحي الملاح التاريخيين أنموذجا

لوبنى زبير
مراكش

الأحياء الخاصة في النسيج الحضري العتيق لمدينة مراكش حارة الجذامى وحي الملاح التاريخيين أنموذجا

**تمهيد:**

**يتمحور موضوع مقالنا هذاحول دراسة حيين متميزين داخل المشهد الحضري لمدينة مراكش، هما حارة الجذامى الخاصة بفئة المصابين بالأمراض الجلدية المعدية، يعود تاريخ نشأتها (الحارة الأولى خارج باب أغمات) إلى القرن ٦هـ/١٢م على أقرب تقدير، وتاريخ انتهاء دورها الوظيفي إلى نهاية النصف الأول من القرن العشرين (الحارة الثانية خارج باب دكالة). وحي الملاح الخاص بالطائفة اليهودية التي كانت تقطن بالمدينة خلال القرن السادس عشر زمن حكم الدولة السعدية. وقد تعرض الحيين خلال سيرورتهما التاريخية إلى تغيير ساكنتهما،إلا أنهما مازالا محتفظان بجزء مهم من مورفلوجيتهماوآثارهما المعمارية الأصيلة.**

### حارة الجذامى

يندرج وجود مجال سكني موجه لإيواء المصابين بداء الجذام في بعض الحواضر المغربية ضمن مشروع صحي/اجتماعي يمكن التأصيل له منذ الدولة المرابطية، ويمكن اعتباره أيضا مؤشرا على وجود تقاليد لها صلة بالحماية والوقاية من الأمراض المعدية خاصة. ومن المستبعد أن يكون تعيين موقع من محيط المدينة، بهذه المواصفات الجغرافية والوظيفية وليد أفعال تلقائية، بل المرجح أنه نتيجة اختيار كان للمخزن نصيب فيه.

يُصرح الباحث محمد حقي في متن دراسته عن "الموقف من المرض"[1]، أن عددا من النصوص تشير إلى عزل المرضى مما يعطي الانطباع بأن الأمر يتعلق بكافة أنواعهم، ولكن القراءة الدقيقة لهذه النصوص، ووجود نصوص صريحة تثبت أن عملية العزل تخص الجذامى فقط. وإن كان من الصعب معرفة مصدر تخصيص هذا المرض دون غيره بالعزل، فإن كون المريض يتعرض لتعفن شديد في جسده وتنبعث منه رائحة كريهة، يجعله أكثر أذية للناس ونقلا لعدوى المرض، وهذا ما يؤكده نص لابن الخطيب جاء فيه: "وذوي العاهات والزمانات والأمراض المعدية الذين أمر الشرع باجتنابهم وتسليم الصدقة إليهم على قيد

الرمح"[2]. مع العلم أن تعبير مرض الجذام لا يستعمل فقط لوصف هذا المرض، بل يستعمل أيضا لوصف البرص والبهق وأمراض جلدية أخرى[3].

لا نعرف بالتحديد متى بدأ عزل المصابين بالجذام وبالأمراض الجلدية المصنفة ضمنه في قرى وأرباض وأحياء خاصة، لكن، حسب الإشارات النصية في المصادر التاريخية، تعتبر قرطبة أولى حواضر الغرب الإسلامي التي توفرت على حارة للجذامى، تعود إلى القرن ٣هـ/٩م كانت تسمى "قرية المرضى"[4]. وبالمغرب ذكر البكري (٥هـ/١١م) أن بمدينة فاس حارة للجذامى عند باب الخوخة من عدوة الأندلس، تغير مكانها أكثر من مرة إلى أن استوطن المرضى بداية الدولة المرينية "الكهوف التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين"[5]، لكن أهل فاس تخوفوا من انتقال العدوى وطالبوا السلطان المريني أبو يعقوب المنصور بإبعادهم من مجرى النهر ومجرى الريح لتجنب بواعثهم الآتية عبر الماء وأبخرتهم الآتية عبر الجو، فأمر السلطان بنقلهم إلى كهوف باب الكوكب خارج باب الجيسة من عدوة القرويين عام ٦٥٨هـ/١٢٥٩م "ليكون سكناهم تحت مجرى الريح الغربية، فتحمل الرياح أبخرتهم ولا يصل إلى أهل المدينة منها شيء، وليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من البلد"[6]. وحسب حوالة أحباس تازة وُجدت بتازة أيضا حارة للجذامى عند باب الشريعة تعود إلى سنة ٩٤١هـ/١٥٣٦م[7].

وقد استمر وجود حارات الجذامى إلى فترات متأخرة من تاريخ المغرب المعاصر، ففي سنة ١٨٩٩م يقول الدكتور راينود (Raynaud) "على بعد ساعة زمنية من الجديدة ما زلنا نرى قرية من ٢٠٠ مصاب بالجذام. تسمى دوار المجداما"[8]، وهذه مشاهدات المستكشف الفرنسي إدمون دوتي (EdmondDoutté) عن قرية المصابين بهذا المرض بمنطقة دكالة قد أرفقها في كتابه بصورة التقطها لأحد المجذومين ممتطيا دابته متلحفا ومتلثما ومغطيا رأسه: "والتقينا في دكالة الكثير من الجذمى، فهم معزولون في قرية خاصة، هي قرية أولاد سبيطة (...)، وقد جرت العادة في كل أنحاء المغرب على تسمية المكان الذي يتجمع فيه الجذامى "حارة"، وهي تتألف من عشرات النوايل، قد أحيطت بسور من الحجارة لا يشدها طين. وأغلب الظن أن عددهم في هذا المكان من دكالة لا يزيد عن أربعين شخصا. فكلما لوحظ في القبيلة أن شخصا ما قد أصيب بالجذام، أو بمرض مشابه، إلا ويجبر على الذهاب للعيش في الحارة، فإذا امتنع من الذهاب اشتكي إلى القائد، فأكرهه عليه. والشائع عند الناس هنا أن أبناء الجذمى لا يلحقهم شيء من ذلك المرض إلا أن يكونوا ولدوا في الحارة، لكن المرض يلحقهم إذا ولدوا لأبوين أجذمين لم يسكنا الحارة. لكن هل جميع من يسكن الحارة هم فعلا من الجذامى؟ فلا يبعد أن يكون أمر الجذام يختلط على الناس بأمراض كثيرة. والواقع أنهم يرسلون إلى الحارة بكل من تلحقه مرض من الأمراض الجلدية ولو لم يكن بشديد القبح. والجذامى في دكالة كما في مراكش التي توجد لهم فيها حارة خاصة، يتنقبون ويضعون فوق رؤوسهم قبعة عريضة الحواشي، تسمى "ترازة".[9]

بعد هذا التقديم الموجز ننتقل إلى حارة الجذامى بمراكش، ونقول أنها مرت بمرحلتين يفصل بينها حدث نقل الحارة من موضعها الأول إلى موضع ثان، بالنسبة للموضع الأول للحارة فقد كان جنوب شرق المدينة العتيقة خارج باب أغمات وهو أول مكان ينعزل فيه المرضى المصابون بأمراض جلدية معدية ظهر حسب ما يمكن استقراؤه من النصوص المصدرية قبل القرن ٦هـ/١٢م عهد الدولة المرابطية واستمر إلى القرن ٩هـ/١٥م زمن حكم السعديين، ثم انتقلت الحارة إلى موضع ثان بالشمال الغربي للمدينة خارج باب دكالة في التاريخ السابق واستمر وجودها هناك إلى نهاية القرن ١٩م، ومكانها اليوم هو المسمى حي الحارة

حيث "العمارات" المقابلة للخارج من باب دكالة. وفيما يلي سنعرض لخصائص كل حارة على حدة:

### أ- حارة الجذامى خارج باب أغمات

يعترض البحث في تاريخ العامة والمهمشين في المجتمع المغربي غياب مادة تاريخية كفيلة برسم صورة كاملة عن حياتهم، وتبقى كتب التراجم هي المُعين الوحيد إذا استثنينا بعض الإشارات الطفيفة والمتفرقة في المصادر الإخبارية. وهو ما ينطبق على حارة الجذامى الأولى.

يجهل التاريخ الدقيق لنشأة الحارة، وترجع أقدم إشارة متداولة حولها إلى القرن ٦هـ/١٢م، وترتبط بترجمة الولي الصالح أبو عصفور سيدي يعلي بن وين. إذ جاء في كتاب "التشوف إلى رجال التصوف"، للتادلي: "أبو عصفور سيدي يعلي بن وين يوفن الأجذم، شيخ سيدي يوسف بن علي، [...] أصله من مكناسة نزل حارة الجذماء خارج حضرة مراكش وبها مات سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)"، تليها إشارة أخرى ارتبطت هي الأخرى بترجمة الولي أبو يعقوب يوسف بن علي الصنهاجي تلميذ الأول، وردت في كتاب "التشوف إلى رجال التصوف" أيضا:"ومنهم أبو يعقوب يوسف بن علي المبتلى كان بحارة الجذماء قبلي حضرة مراكش، وبها مات شهر رجب عام ثلاثة وتسعين وخمسمائة (٥٩٣هـ/١١٩٦م)، ودفن خارج باب أغمات عند رابطة الغار، [...] كان صابرا راضيا، سقط بعض جسده في بعض الأوقات، فصنع طعاما كثيرا للفقراء شكرا لله تعالى على ذلك"[١٠] يضيف ابن الموقت المراكشي "كان رضي الله عنه من مشاهير مشايخ حضرة مراكش"[١١].

نستقي من الترجمتين أولا فيما يفيد التأريخ لهذا الحي أنه كان موجودا قبل سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م تاريخ وفاة أحد قاطنيه المبتلين بمرض الجذام، وليس هناك- حسب علمنا- ما يفيد أن تاريخ نشأته قريب أو بعيد من هذا التاريخ، مع احتمال أن نشأته مرتبطة بتزايد استقطاب المدينة لأهل البوادي المحيطة بها وتزايد نسبة المصابين بالمرض. ثانيا فيما يخص قاطني الحارة، أن فئة الفقهاء والعلماء لم تكن تتأفف من الاستقرار به إذا تبثت إصابتها بالمرض وذلك إتباعا لمبدأ حفظ الصحة العامة.

لا نتوفر على معلومات عن التنظيم الاجتماعي للحي، موارده ومن يلجه، باستثناء إشارة غير مقصودة تفيد بناء الدُور وهي كالتالي: "وسمعت الحسن يوسف بن محمد الحزرجي يقول: صليت الجمعة بجامع القصر الجديد مع أبي العباس أحمد عبد العزيز الخراز، فلما سلم الإمام أصاب أبا العباس سنة فلما أفاق منها وقال لي: رأيت أبا يعقوب قد مات فأسرع بنا إلى داره بالحارة..."[١٢]، مع عدم نفي إقامة القاطنين بـ"نوالات" وخيام، ويذكر الحسين بولقطيب دون الإشارة إلى مصادره أن "دولة الموحدين عملت على إنشاء حارات خاصة بالجذمى، وقدمت لهم في الوقت ذاته الحماية اللازمة ضد أي نزعة عدائية كان يبديها سكان الحواضر التي تقع بها مثل هذه الحارات"[١٣].

وفيما عدا ذلك نجهل أمورا كثيرة تتصل بالحي يمكن أن نلتمسها في وصف دقيق للحسن الوزان عن تنظيم حارة الجذمى بمدينة فاس، هذا إذا سلمنا بوجود تشابه بين الحارتين، جاء في الوصف: "وهناك ربض آخر يسكنه المجذومون يحتوي على مائتي دار تقريبا، ولهم رئيسهم الديني الذي يجمع دخل الأملاك العديدة الموقوفة عليهم لوجه الله من طرف الأعيان وغيرهم من المحسنين. ويقدم إلى هؤلاء المرضى كل ما هو ضروري لهم بحيث لا يحتاجون إلى شيء، ويقوم رؤساؤهم بتخليص المدينة من كل مجذوم، ولهم السلطة لإخراج كل من رأوه مصابا بهذا الداء من فاس وإسكانه بهذا الربض. وإذا هلك مجذوم ولم يترك وارثا آل نصف تركته إلى جماعة الربض، والنصف الآخر للشخص الذي دل عليه. وإذا كان للهالك المجذوم أبناء اختصوا بتركة أبيهم. واعلم أن يعد من المجذومين البرصان الذين تظهر على

أجسامهم بقع بيض وغيرهم من ذوي الأمراض المزمنة"[14].

**ب ـ حارة الجذامى خارج باب دكالة**

يعتبر نص محمد الصغير الإفراني في مؤلفه "درة الحجال في مناقب سبعة رجال" فريدا في الموضوع، لذكره نقل حارة الجذامى من خارج باب أغمات إلى خارج باب دكالة وتاريخ ذلك عند ترجمته للولي أبو يعقوب يوسف بن علي:"كان مأوى الجذما هنالك (قبل حاضرة مراكش خارج باب أغمات) في ذلك الوقت، ولم يزالوا هنالك إلى دولة الأشراف السعديين فنقلوهم لغربي مراكش خارج باب دكالة تنكبوا بهم جانب الشرق لجانب المغرب لأمور اقتضت ذلك"[15]. قد تكون هذه الأمور هي نفسها التي دفعت سكان فاس إلى رفع طلب إلى السلطان لتغيير موضع استقرار الجذامى كما تمت الإشارة إلى ذلك سالفا، مع العلم أن المياه الداخلة إلى مراكش تأتيها من جهة الجنوب إلى الشمال حسب الميلان الطبوغرافي، وبالتالي فإن جزءًا مهما منها يدخل من جهة باب أغمات عبر الخطارات الموجهة لسقي العراصي ولإمداد سقايات المدينة وباقي المرافق العمومية والخاصة بالماء.

بعد هذه الإشارة لا نجد معلومات حول حارة الجذامى بباب دكالة، وسننتظر إلى نهاية القرن ١٩م وبداية القرن ٢٠م، لتقدم لنا أوصاف الرحالة والأطباء الأوربيين صورة عما كان عليه هذا الحي.

سجلت هذه الأوصاف تنوع أصول القاطنين بحارة الجذامى خلال القرن ١٩م، فالطبيب ليريد (Leared) يذكر أن الحارة كانت تضم الرجال أكثر من النساء، والأصحاء أكثر من المرضى، كما اشتملت على حي لليهود إضافة إلى تجار وفلاحين أتوا من سوس وحاحا وحتى من الصحراء منذ أزيد من ٣٠ سنة من زيارته سنة ١٨٧٥م، وكذلك أشار الطبيب رينو (Renaud) أن حي مراكش استقبل حوالي سنة ١٨٩٩م عددا من المرضى الذي كانوا يقيمون بـ"دوار المجادما" نواحي مدينة الجديدة بعد أن أمرهم السلطان بإفراغ الدوار، فهل كانت كل هذه الوفود الجديدة مصابة بمرض الجذام؟

حسب ذات المصادر، فالإجابةهي النفي، لأن نسبة مهمة من ساكنة الحارة كانوا سليمين صحيا ليس بهم مرض يستدعي إقامتهم بحارة خصصت لمرضى الجذام، فقد سجل الطبيب مارسي (Marcet) بأن أغلب سكان هذه الحارة على التقريب هم سليمون "بصعوبة نجد مصابين حقيقيين بالجذام، في حين أن رجلا عجوزا أظهر لنا يديه مصابة بالأنملة، الأثر الوحيد عن داء قديم. وزنجية عمرها ٢٥ سنة مصابة بمرض في مرحلة التطور أصابها في ركبتيها ويديها. وأشخاص مصابين بالأكزيما والصدفية، هذا كل ما تمكنا من معاينته"[16]. وعندما درس غيشار (Guichard) حارة مراكش لم يكن يقطنها إلا بضع عشرين مصابا وسط ساكنة سليمة[17]. وفي الثلاثينيات من القرن العشرين عندما أريد نقل مرضى الحارة إلى مركز استشفائي عصري، تم إحصاء عشرة أفراد بصعوبة كما ذكرت مديرة المختبر الجهوي بفاس الطبيبة فلاي (Flye)[18]، حتى أنه بعد سنوات قليلة (١٩٣٥) لم يعد الجذامى يمتلكون إلا منزلا واحدا صغيرا، فقد تحولت بقية المنازل شيئا فشيئا لوافدين جددحسب شهادة مدير مصلحة الصحة بمراكش[19].

احتفظت بعض هذه المشاهدات بأساليب العلاج المتاحة منها ما ذكره الدكتور ليريد (Leared) "لهؤلاء الآخرين (يقصد المرضى) علاج وحيد معمول به هو الاغتسال بسقاية سيدي بنور،ولي مدفون قرب المدخل الوحيد للحارة"[20]، وسيدي بنور هذا حسب ما جاء في ترجمته عند ابن المؤقت المراكشي هو: "الولي الصالح المعروف عند العامة بأبي النور، بنيت عليه قبة صغرى بالحارة خارج باب دكالة رحمه الله"[21].

تضمنت حارة الجذامى أو حارة مراكش كما

يتم نعتها في بعض هذه المصادر منازلا من الطوب وأكواخا من القش والطين، محاطة بسور نصف منهار. وعندما زار الدكتور ليريد هذه الحارة سنة ١٨٧٥، لاحظ أن بها مسجدا، وسجن، وسوق، وحي لليهود، وأن القاطنين بها يزاولون التجارة والفلاحة مما يدل على وجود أماكن للاتجار كالأسواق والدكاكين ومجالات للفلاحة قد تكون أراضي زراعية قريبة، إضافة إلى وجود ضريح الولي سيدي أبي النور والسقاية المتصلة به[٢٢]، ونعتقد أن المقبرة المسورة اليوم وسط الحي كانت مقبرة خاصة بأهل حي الجذامى. وكان أهلها المرضى يتعيشون على الصدقات التي يجمعونها، أو التي يمدهم بها المارة أو عائلاتهم ومن عوائد المساجد[٢٣].

يخضع الحي لنظام مضبوط من قواعده أن كل من علمت إصابته بمرض الجذام عليه أن ينتقل لسكنى الحارة دون مراعاة للطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، مثال ذلك ما ذكره الدكتور ليناريس (linares) أن "ابنا لأحد القواد أصيب بالمرض، فقبل الأمر بنوع من التفلسف وبنى مسكنا فخما، قصر حقيقي، بالحارة وسكنه بأمان"[٢٤]. ولا ندري هل كان هناك جهاز خاص بمراقبة الصحة العامة ونقل المصابين إلى الحي، لكن ما هو مؤكد حسب النصوص أن الوشاية والإبلاغ بأحد المصابين بالداء تكفي لإجباره على الانتقال إلى ربض المجذومين. ومن القواعد التي خضع لها سكان الحارة، عدم دخول المدينة، في حين كان بوسع أهل المدينة أن يمروا بالحارة دون تخوف، إضافة إلى وجوب ارتداء لباس موحد من الصوف يغطي كامل الجسد لدرجة يصعب معها تحديد جنسهم، ويضعوا لثاما وقبعة "ترازة". بهذا اللباس الخاص أمكنهم الخروج من الحارة والتجول بالأسواق لطلب الصدقة[٢٥].

ومن خلال تصميم مدينة مراكش يتضح أن حدود حارة الجذامى خارج باب دكالة كانت مرسومة بدقة، مما يدفع إلى القول بأن تخطيطها من عمل المخزن ولم تتشكل تلقائيا أو عبثا. ويبدو أنه بعد نقل حارة الجذامى من قرب باب أغمات تحول مجالها القديم إلى قرية صغيرة تحيط بضريح سيدي يوسف بن علي كما عاين ذلك المؤرخ الإفراني وذكره في كتابه "درة الحجال": "وكان قبره في قعر الغار (يشير إلى سيدي يوسف بن علي)، ينزل الناس إليه بمدراج في مكان مظلم، ولم يكن عليه من البناء إلا القليل، فلما كان عام أربعة وثلاثين ومائة وألف جاء سيل جارف فدخل الغار والمسجد وهدم بيوت القرية المستندة على الغار..."[٢٦]. ثم أصبح في فترة لاحقة مكان استقرار الوافدين على المدينة من أحوازها بسبب الجفاف والمجاعات المتكررة. أما حارة الجذامى خارج باب دكالة فيبدو من شهادات الأطباء السالفة أن مساكنها تحولت شيئا فشيئا من أصحابها المرضى إلى وافدين جدد قد يكونون أفرادا أو جماعات منتمية لقبيلة معينة كما تدل على ذلك أماكنية الحي مثل درب الشياظمة ودرب حاحة.

في الأخير نطرح السؤال الآتي: هل كانت هذه الحارات الواقعة خارج المدينة والموجهة لفئة محددة من مجتمعها حومات قائمة بذاتها تلبي حاجيات ساكنتها؟ يبدو أن الإجابة بنعم لها ما يدعمها، كتوفر الحارات على منازل ومساكن للاستقرار، وتوفرها على بعض المرافق الأساسية كالمسجد والسوق والسقاية (عدم توفر إشارة لهذه المرافق بحارة الجذامى خارج باب أغمات لا يعني عدم وجودها بالحارة)، استقطابها لأهل التصوف، ثم استقرار بشري لغير المرضى، إضافة إلى أن هذه الحارات كانت لها وظيفة استشفائية تؤديها.

ضريح سيدي أبي النور بمحاذاة الحارة خارج باب دكالة



أحد دروب حي الحارة في الوقت الراهن [درب الشياظمة]



## ٢. حي الملاح

يعد حي الملاح بمدينة مراكش من الأحياء التي اختصت بسكنى طائفة دينية محددة داخل المدينة، وقد شيد في العهد السعدي زمن السلطان عبد الله الغالب بالله (٩٤٦-٩٨١هـ/١٥٥٧-١٥٧٤م)، قصد تجميع يهود مدينة مراكش داخل حي واحد مسور، وقبل أن نعرض لتاريخ ودواعي بناء حي الملاح، وخطته وتطوره، نقدم لمحة عن تاريخ اليهود بالمدينة ووضعيتهم قبل البناء.

أشار الشريف الإدريسي في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" إلى أن: "اليهود لا تسكن مدينة مراكش عن أمر أميرها علي بن يوسف ولا تدخلها إلا نهارا وتنصرف عنها عشية وليس دخولهم في النهار إليها إلا لأمور له وخدم تختص به ومتى عثر على واحد منهم بات فيها استبيح ماله ودمه فكانوا ينافرون المبيت بها حياطة على أموالهم وأنفسهم"[٢٧]. دفعت وضعية اليهود هذه وقدومهم إلى مراكش من أغمات الباحثة إيميل غوتريك (Emily Gottreich) إلى القول إن يهود مراكش الأوائل أصولهم من مدينة أغمات والقرى القريبة للمدينة[٢٨].

بعد هذا التحريم، لا نعرف التاريخ ولا الفترة التي تم السماح فيها لليهود بالاستقرار بمدينة مراكش، لكن من المحتمل أن ذلك كان قبيل نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، المتزامنة مع الوفود الأولى ليهود الأندلس[٢٩]، فبعد الاضطهاد والطرد الذي مارسه الإسبان على هؤلاء، وفدت على حواضر شمال إفريقيا ومنها مراكش وفود من اليهود الميغُورَاشيم[٣٠] في هجرتين، تمت الأولى سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م، والثانية سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، وهو ما يؤكده غاستون دوفردان (Gaston dever-dun) انطلاقا من شهادة دييغو دي طوريس(Diego de torres) التالية: "اليهود بها - مراكش - هم أولئك الذين أخرجوا من إسبانيا"[٣١]. ساهم نزوح اليهود الجدد في ازدياد ساكنة اليهود بمراكش، فأصبحوا فئة مسيطرة فمنهم كان يختار شيخ اليهود ومنهم التجار الأكثر حيوية في المدينة[٣٢].

بعد هذا التاريخ، أورد مامول كاربخال (Mármol Carvajal) الذي كان مقيما بمراكش سنة ١٥٤٠م شهادة تفيد بان اليهود قبل هذا التاريخ كان لهم حي يضم أزيد من ثلاثة آلاف منزل[٣٣]. بعد ذلك بثلاث عشرة سنة إثر آخر زيارة لدييغو دي طوريس للمدينة ذكر أنه يوجد بالمدينة تجمعين لليهود حيث يسكن الآلاف[٣٤].

انطلاقا من شهادة دييغو دي طوريس الأخيرة ومن تحديده في موقع آخر من كتابه أن إحدى حارتي اليهود كان موقعها بحومة المواسين، يزعم دوفردان أن اسم المواسين كان يطلق على كل "درب للمشتغلين بصناعة الموسى"، وهي صناعة احترفها اليهود. ويحدد التجمع الثاني لليهود في حارة قد تكون قريبة من حومة أسوال التي حرفت إلى أسول اعتمادا على أخبار سمعها بنفسه، ليتساءل إن كان لاسم الحومة أسول علاقة بأصل اليهود المغاربة المسمون باسم أسولين؟[٣٥].

على صعيد المغرب، لم يكن أمر تجميع طائفة اليهود في حي خاص بهم بمراكش هو الأول من نوعه، بل الثاني، حيث أسس قبله في سنة ١٤٣٨م حي مشابه بمدينة فاس. وعلى الصعيد الدولي قبل تأسيس حي اليهود بمراكش بفترة يسيرة، قررت السلطات المحلية بروما في صيف سنة ١٥٥٥م إعادة تهيئة المدينة قصد إحداث حي أعدّ خصيصا لاستقرار يهود المدينة[٣٦]. ومن غير المستبعد أن تكون نسبة اليهود بالمدينة هي التي دفعت المخزن السعدي إلى بناء حي خاص بهم بعد بضع سنين من حي روما وقرن من ملاح فاس.

### أ- بناء الملاح:

تتفق المصادر أن بناء حي لليهود بمراكش كان بأمر من السلطان عبد الله الغالب السعدي، لكنها تختلف في ضبط تاريخ البناء، فيما سكتت مصادر أخرى عن ذلك. اعتمدت الباحثة إميلي غوتريكفي كتابها القيم عن ملاح مراكش لمحاولة ضبط تاريخ

تأسيسه على معطيات نصية مصدرية مباشرة وأخرى استقتها من الذاكرة الشعبية لليهود وثالثة استخلصتها من حدث بناء المركب الديني لحي المواسين.

بالنسبة للأولى استندت الباحثة على أخبار إسبانيين استقرا مدة بمدينة مراكش وغادروها قبيل بناء الملاح، يتعلق الأمر بلوي ديل مارمول كاربخال وديبغو دي طوريس، الأول أسير إسباني نقل إلى مراكش زمن حكم السلطان أحمد الأعرج السعدي، أمضى مدة ثمانية سنوات بمراكش منها سنة قضاها حرا حيث تعلم العربية وتجول بالمدينة وتعرف على عادات أهلها وظروف عيشهم، عاد إلى إسبانيا وبدأ حوالي سنة ١٥٧٠م في تأليف كتاب سماه "وصف عام لإفريقيا". أما الثاني فقد أتى في مهمة رسمية إلى مراكش سنة ١٥٢٦م، واستقر بها إلى حدود سنة ١٥٥٠م في نفس الفترة التي كان فيها مارمول بالمدينة، ثم رحل إلى تارودانت ليعود بعد ذلك إلى مراكش سنة ١٥٥٣م؛ حيث استقر بها سنة قبل أن يغادرها في اتجاه إسبانيا، وقد ألف كتابا هو عبارة عن سرد لتجاربه بأرض إفريقيا أهداه إلى الملك دون سبستيان، حمل الكتاب عنوان "تاريخ الشرفاء" "Histoire des chérifs" في الترجمة الفرنسية سنة ١٦٦٧م.

تكمن أهمية الكتابين بالنسبة لموضوع حي اليهود بمراكش في كون المؤلفين أقاما في المدينة فترة لم يشيد فيها حي اليهود بعد، لكن عند بداية كل واحد منها في تأليف كتابه، ١٥٥٤م بالنسبة لطوريس و١٥٧٠م بالنسبة لمارمول، كان الملاح قد رأى النور.

لم يكن الملاح موجودا عند إقامة مارمول بالمدينة إلى حدود سنة ١٥٤٠م لأنه أشار أن ساكنة المدينة من اليهود التي تعد بحوالي ثلاثة آلاف كانت تملك منازل بقلب المدينة[٣٧]. كذلك الحي لم يوجد بعد سنة ١٥٥٣، أثناء آخر زيارة لديبغو دي طوريس للمدينة، لأنه أشار إلى وجود تجمعين سكنيين متفرقين ليهود المدينة ونبه إلى أمر سلطاني يتعلق بإحداث "Judéria" مسورة بمنطقة داخل المدينة قريبة من باب فاس، مخصصة لاستقبال ألفي يهودي تعيش متفرقة بين المسلمين[٣٨]. نجد إشارة مشابهة لدى مارمول مضمونها أن سلطان الوقت وهو المولى الغالب أمر بنقل اليهود قرب باب أغمات لتفرقة اليهود عن المسلمين[٣٩].

من كل هذا استنتجت الباحثة أن الملاح شيد في الفترة الممتدة بين سنتي ١٥٥٣ و١٥٧٣، أي بين آخر زيارة لديبغو دي طوريس وتاريخ الانتهاء من تأليف كتاب وصف إفريقيا لمارمول كاربخال.

وبالنسبة للمعطى الثاني، فإن الذاكرة الشعبية لليهود تحتفظ بتاريخ ٥٣١٧ حسب التقويم العبري كتاريخ لتأسيس الحي، وهو تاريخ يقابل حسب التقويم الميلادي ١٥شتنبر ١٥٥٦م إلى ٤ شتنبر ١٥٥٧م[٤٠]. يطرح الركون إلى سنة ١٥٥٧م إشكالا خاصة أنه لا يرتبط بأي مصدر موثوق.

أما المعطى الثالث المستند على تاريخ بناء جامع حي المواسين وملحقاته، فينطلق من كون الحي المجاور لحي الصباغين كانت تقطن به ساكنة مهمة من اليهود تقارب تلك التي ذكرها مارمول وطوريس، ويؤكد وجود هذه الساكنة خبر ورد عند محمد الافراني في كتابه "نزهة الحادي" مفاده أن أهل الورع يجتنبون الصلاة في الجامع مدة بعد بنائه لأن مكانه كان مقبرة لليهود، كما أن أحبار اليهود يتحاشون المرور من حي المواسين خوفا من الدنس[٤١]. يحدد الإفراني تاريخ الشروع في بناء الجامع في سنة ٩٧٠هـ/١٥٦٢م، ومن المنطقي قبل بناء الجامع القيام تهيئة مجال البناء وبالتالي ترحيل اليهود القاطنين، مما يفرض وجود مكان مخصص لاستقبالهم، لهذا تقترح بعض المراجع العبرية اتخاذ الفترة الممتدة بين سنة١٥٥٧م (المستقاة من ذاكرة اليهود) وسنة ١٥٦٢م (سنة بداية أشغال بناء جامع حومة المواسين) وتقدم سنة ١٥٦٠م كتاريخ لبناء حي اليهود بمدينة مراكش[٤٢].

بعد كل هذا، يتضح من خلال تحليل إملي غوتريك لنص مصدري معاصر للأحداث ميلها

مقالات

لاتخاذ سنة ١٥٥٧م كتاريخ لبناء الحي اليهودي بمدينة مراكش[٤٣]، كما ينحاز غستون دوفردان إلى نفس التاريخ.

بني حي اليهود بالموضع القديم للإسطبلات الملكية قرب قصر السلطان[٤٤]، وهنا نورد الحكاية التي تحتفظ بها ذاكرة اليهود عن بناء حيهم بمراكش: "في سنة ١٥٥٧م قال ملك المغرب لوزيره الأكبر: جد لنا بمدينة مراكش مكانا مناسبا لبناء حي جديد لليهود، قال له الوزير: أيها السلطان، قرب جنان العافية غير بعيد عن القصر يوجد مكان مناسب للمشروع"، بعد ذلك انتقل اليهود إلى الحي الجديد والملك الذي كان ملزما أن يكون عادلا حرص على ألا يضيع اليهود في حقهم عند التبادل. الذين يريدون مبادلة منزلهم بآخر لهم ذلك، والذين يريدون أخذ مقابل مالي لهم ذلك. لكل واحد الحرية في تدبير أموره حسب مصالحه ورغبته.

في هذه الفترة كانت تعيش امرأة أرملة رفضت مغادرة منزلها القديم، وتطورت معارضتها إلى أن قدمت أمام الملك، فاعتذرت له بكونها لا تستطيع مغادرة البيت الذي عاشت فيه طيلة حياتها وعاش فيه أبواها وأجدادها. بعد هذا الاستعطاف أمر الملك أن تترك المرأة ببيتها وأن يعلم عند وفاتها. لما توفت المرأة وأخبر السلطان بذلك أمر أن يغلق باب بيتها وأن يترك على حاله، وهو المعروف إلى اليوم "بيت اليهودية" أو "برج اليهودية".

من هذه الرواية نستخلص أن:

حي اليهود الجديد بني قرب القصر الملكي بمحاذاة جنان العافية.

البناء لم يشمل فقط التسوير وإنما أيضا بناء المنازل والدور.

الانتقال إلى الحي الجديد كان إلزاميا على كل اليهود المستقرين بالمدينة.

### ب- تسمية الحي:

تمت الإشارة سالفا أن بناء حي خاص باليهود بمراكش يعتبر الثاني من نوعه بالمغرب بعد حي اليهود بفاس والذي حمل اسم "الملاح"، لهذا يعتبر بعض الباحثين أنه بعد ملاح فاس، أصبحت كل الأحياء المستحدثة الخاصة باليهود تحمل هذا الاسم. ومنهم كودفروي دُمُمبين (Gaudefroy Demombens) في دراسته عن الملاح، حيث نفى أي ارتباط للاسم بالتفسير الشائع حول تمليح اليهود لرؤوس الثوار قبل تعليقها على أسوار وأبواب المدينة، وأكد أن الملاح اسم موضع بعينه بفاس الجديد لعل اليهود استقروا به مطلع القرن ١٥م، ثم صار الاسم مشتركا وانتقل من فاس إلى غيرها من المدن[٤٥].

هذا مع العلم أن التسمية لم تطلق على حي اليهود المستحدث بمراكش مباشرة بعد تأسيسه واستقرار اليهود به، فأول مرة استعمل فيها الاسم لنعت حي اليهود كانت سنة ١٦٣٩م في مصدر عبري مغربي[٤٦]، ثم سنة ١٦٨٠م في مصدر مغربي[٤٧]، ثم سنة ١٧٦٠ في وصف القنصل الدنمركي جورج هوست (George Høst)[٤٨].

### ج- تصميم الحي وخطته وتطوره:

نجهل اسم المهندس الذي قام بوضع تصميم الحي لسكوت المصادر النصية عن ذكره، لكن الرواية الشفهية لليهود المحليين تحتفظ باسم مردخاي بن العطار، شيخ اليهود في تلك الفترة، كشخص شارك بشكل واسع في أعمال بناء الملاح بل كان موجها لها[٤٩]، وحول هذه الشخصية تحيط العديد من "الكرامات" ترتبط في مجملها بحماية الملاح وساكنته[٥٠].

يحيط بالملاح من كل جوانبه سور، وبالشمال الغربي يوجد بابه الكبير الوحيد كان يقف عنده مخزنيان يحرسان الحي، ينفتح الباب على القصبة التي تربط الحي بباقي المدينة. يحد الملاح من جهة الغرب سور القصبة الموحدي، ومن جهة الجنوب يحدد التصميم البرتغالي لسنة ١٥٨٥م وتصميم أدريان ماثام (Adrien Matham) الموقع الأول للسور الجنوبي ممتدا نحو الغرب انطلاقا

من الزاوية الجنوبية للقصبة إلى جنان العافية حيث المقبرة اليهودية. وتشير مواقع السور الغربي والجنوبي إلى أن الملاح السعدي كان يضم المجال المسمى بريمة. أما من جهة الشرق فالسور الذي يفصل حومة بريمة عن جنان العافية يعود للفترة السعدية والراجح أنه كان يستطيل إلى أن يتصل بالسور الشمالي من الملاح. إذ كان الملاح السعدي يمتد على مساحة الملاح القائم اليوم كلها إضافة إلى جميع مساحة حومة بريمة مشكلا مستطيل شاسع طوله ٧٠٠م وعرضه ٢٥٠م بمساحة تقدر بـ ١٧,٥هكتار، تمت توسعتها سنة ١٥٩٤م بإضافة مساحة تقدر بـ ٨هكتارات من جهة الجانب الشرقي رصدت لتكون مقبرة لليهود بعد أن استغلت مدة لزراعة الخضر التي كانت موجهة لاستهلاك سكان الحي[٥١].

هذه الشساعة تفسر وصف الأوربيين لملاح مراكش بالمدينة الصغيرة من أمثال "يمكن أن يكون على قدر مو Meaux في السعة" كما ذكر التاجر الفرنسي جون موكي (Jean Mocquet) بعد زيارته سنة ١٦٠٦م[٥٢]، ومن قبيل "المساحة العظيمة المسورة بأسوار عالية على قدر ماني Magny[٥٣] في السعة" كما وصفه طوما لوجندر (Thomas Le Gendre) الذي زار مراكش بين سنتي ١٦١٨م و١٦٢٥م[٥٤]. كما تفسر هذه الأوصاف تفضيل الأوربيين الإقامة بالملاح أثناء زيارتهم بالمدينة من أمثال الدون فرانسيسكو دا كوستا (Don Francisco da Costa)سفير الملك فليب الثاني (Philippe II) ومبعوث الملك هنري الرابع (Henri IV) وملشيور فايز دازفيدو (Melchior Vaez d'Azevedo) سفير أنطوان دي بوربون (Antoine de Bourbon).

قُسم الحي إلى حَيَّيْنِ صغيرين أشار إليهما الإخباري ابن دنان عند حديثه عن الحريق الذي وقع بهذا الجزء من المدينة[٥٥]، سمي الحي الأصغر بـ"المطامير"، نسبة إلى مطامير الحبوب القريبة منه، ضم ١٥ منزلا. وسمي الحي الأكبر بـ"الصالحة"، من المحتمل أنه كان جنوب حي اليهود قرب جنان العافية، التي كانت معروفة زمن المرابطين بجنان الصالحة، ضم ٢٠٠ منزل.من الوجهة الطبوغرافية، ما يثير الانتباه هو تنظيم الدروبالتي تشبه في مجملها الشبكة، لا يمكن تخمين دواعي هذا التشكيل لكن على ضوء الدراسات التي اهتمت بالتنظيم الحضري، فإن تنظيم دروب الملاح على هذا الشكل يضمن مراقبة وحماية أكبر للحي.

باستثناء مارمول كربخال[٥٦] لم تطلعنا النصوص التاريخية على العناصر المعمارية الأولى للحي لكن باعتباره "مدينة مغلقة" لطائفة اليهود فمن الضروري أن يتوفر على بيعة أو عدة بيع كما جاء في كتاب "إفريقيا" حيث تتم الممارسات الدينية والتعليمية معا، وعلى أسواق للمنتوجات الغذائية والمنتوجات التجارية والصناعية خاصة أنهم اشتهروا بالتجارة وبصنع الحلي الذهبية[٥٧]، وعلى سقايات موزعة على دروب الحي لتلبية حاجات الساكنة من الماء إضافة إلى منشآت أخرى ومرافق حيوية كالمقبرة التي أحدثت سنة ١٥٩٤م.

سيتغير هذا التقسيم كما ستتغير صورة الملاح عن تلك التي رسمتها أوصاف الرحالة الأوربيين في بداياته الأولى، لتشكله أوصاف رحالة بداية القرن العشرين في صورة "جهنم"[٥٨]، ينقل جوزي بنيش (José Benech) عن ملاح مراكش:"تعيش أسرة من عشرة أفراد على الأرض فيصبح هو الفراش الذي ينام فوقه كل أفراد الأسرة مختلطين اختلاطا يبعث على الأسف"[٥٩]. ويذكر دي بيريني (De Perigny) في كتابه "Marrakech et les ports du Sud"ما يأتي: "ونشاهد دورا تصلح لسكن عائلة مسلمة على درجة بسيطة من اليسر وقد اجتمع بداخلها ما بين أربعين وخمسين فردا"[٦٠]. ولا يختلف الوصف الذي قدمه الفرنسي أوجين أوبان (Eugène Aubin) عن ملاح مراكش في بداية القرن العشرين عن مضمون التقييد الإحصائي المخزني المنجز سنة ١٨٩١، إذ حصر أوجين أوبان مجموع سكان مراكش اليهود في

١٤،٠٠٠ نسمة، واعتبره أكبر ملاحات المغرب على الإطلاق، ثم ذكر بأن مجموع دوره هو ست مائة دار، يسكن حوالي مائة منها، عائلة واحدة في كل دار. بينما يتكدس في الخمسمائة الباقية ثمان عائلات وعشر، أي ما يقارب الستين ساكنا، وغالبا ما تعيش أسر تكون من عشرة أفراد في غرفة واحدة[٦١]. ولا يختلف أيضا عن المشهد الذي نقله الإخوة (Tharaud) "أي حالة اشمئزاز عندما ترميك الأقدار بالملاح، إنه أحد الأمكنة المخيفة بالعالم تجمع عشرين ألف يهودي في مكان جد ضيق لحياتهم"[٦٢].

هذا التحول راجع بدون شك إلى تطور ديموغرافية الحي، ففي الوقت الذي كانت تتزايد فيه الساكنة وتنمو من ٢٠٠٠ يهودي حسب دييكو دي طوريس إلى ٦٠٠٠ يهودي عند نهاية ستينيات القرن ١٩م حسب ميشيل لاسكيي (Michel Laskier)[٦٣] كانت حدود أسواره ثابتة لا تتغير.

تطلعنا ديباجة وثيقة لعميلة إحصاء فريدة تمت سنة ١٨٩٠م على أن يهود الملاح اشتكوا إلى السلطان مولاي الحسن ضيق سكناهم، وللنظر في شكواهم أمر السلطان وزيره فضول غريط بإحصاء الدور والمحلات السكنية الضيقة الموجودة في الملاح[٦٤]، قام بعملية الإحصاء كاتب الوزير المذكور عبد الكبير بن هاشم الكتاني وعون باشا مراكش عبد الله بن عمر الشياظمي. قسم الموظفان حي الملاح إلى أربعة أرباع الأول الربع الوسطي (قرب فندق الوسطى)، والربع الثاني ربع الجامع الكبير يمتد على السور الغربي للملاح الذي يفصله عن القصبة ومساجدها، والربع الثالث يقع قريبا من ضريح يوسف المليح، والربع الأخير يبتدئ منذار مقنين. بعد هذا الإحصاء، تمت الزيادة في الملاح، وتطلعنا الوثيقة على المعطيات التالية:

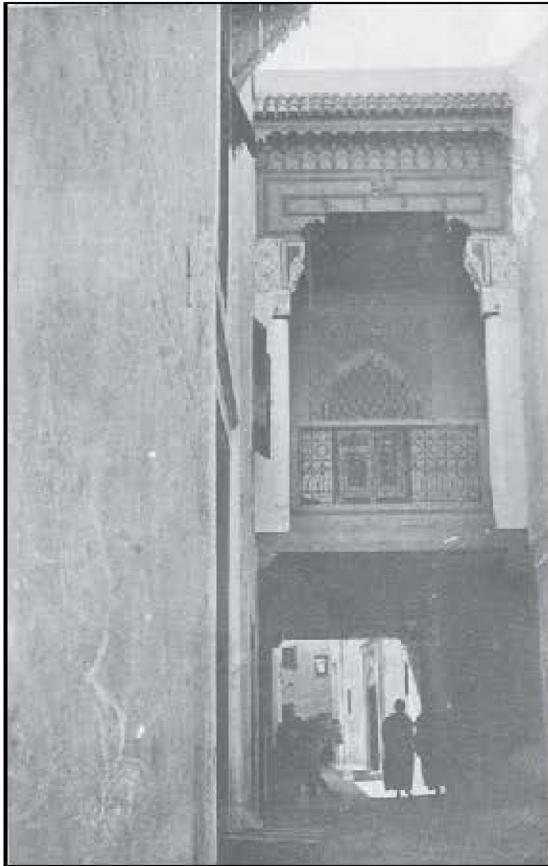
عدد الدور الضيقة التي شملها الإحصاء هي ٢١٠ دارا، تتكون من ١٢٧٢ غرفة، ويسكنها ما مجموعه ٥٠٣٢ من الرجال والنساء البلغين، دون حساب الأطفال الذين استثنوا من الإحصاء.

بالغرفة الواحدة تقطن عائلات بأكملها الوالدين والأبناء وأزواجهم وأحيانا أقرباء أزواجهم، من أمثال غرفة يسكن بها دويد أزلاي بزوجه وبنته بزوجها وولده رجل وأم زوجه، وغرفة يقطن بها أبرهام كوهين بزوجه وأمها وأختها بزوجها وأختها أيضا بزوجها[٦٥]. أي ما بين ستة وسبعة أفراد بالغين بالغرفة الواحدة دون حساب أطفالهم.

الملاح لم يعد حكرا على اليهود فقط وهو ما يدل عليه امتلاك أفراد مسلمين لدور به كالتاجر الغني بوبكر الغنجاوي وفاتح الصحراوي وإن لم يكونوا يقطنون بها وإنما يستخدمونها للكراء.

كان الملاح يتضمن أوقافا إسلامية على بعض أولياء مراكش كما هو الشأن بالنسبة إلى الدار المكتراة بالربع الأول المحبسة على القاضي عياض[٦٦].

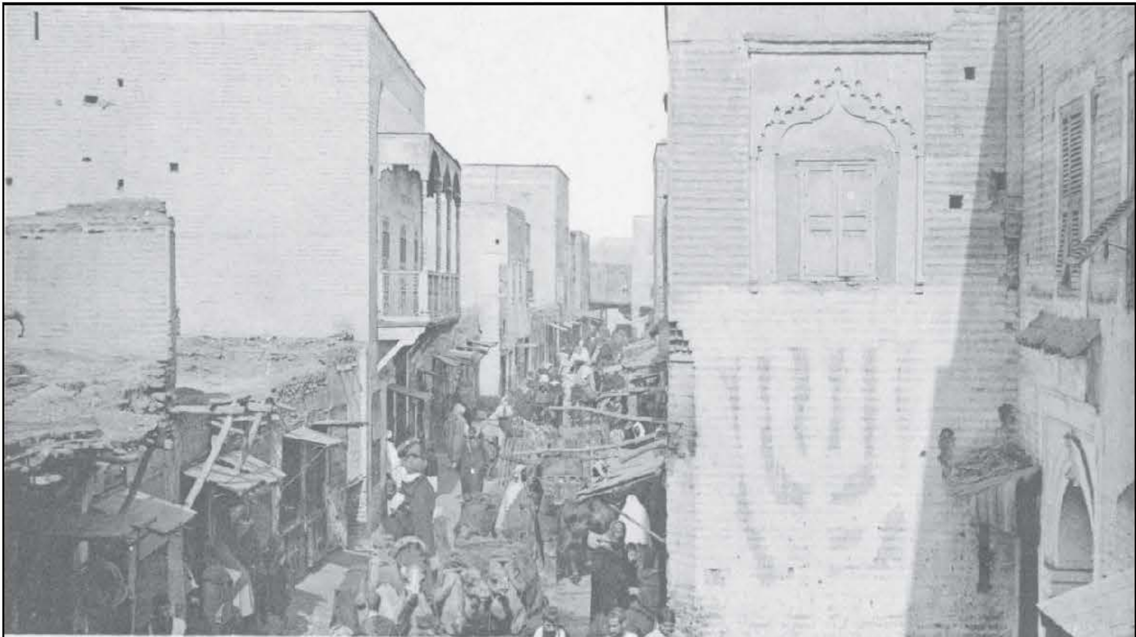
درب التجار أغنى الأزقة بالملاح



درب التاجر أو زنقة يشوعة قرقوز



زنقة الشرفات بالملاح، خلف السيد الراكب على دابة يوجد باب الملاح



مقـالات

السلحة الكبرى لحي ملاح مراكش، ساحة القزادرية

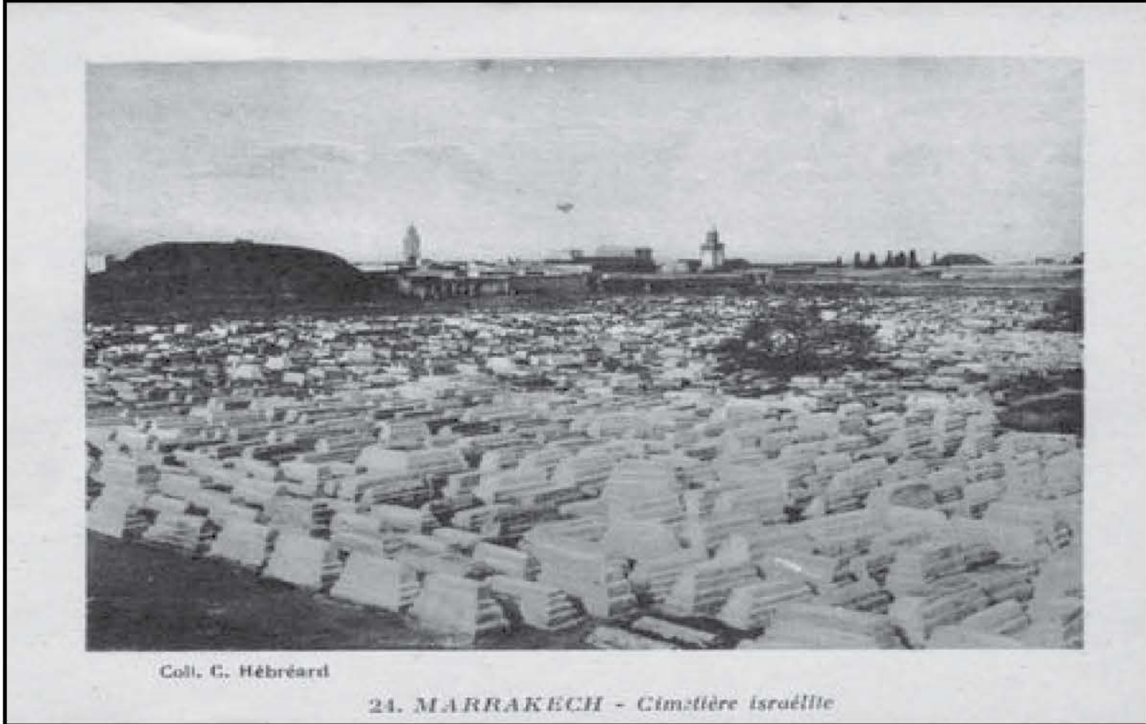


محلات تجارية لليهود بالملاح

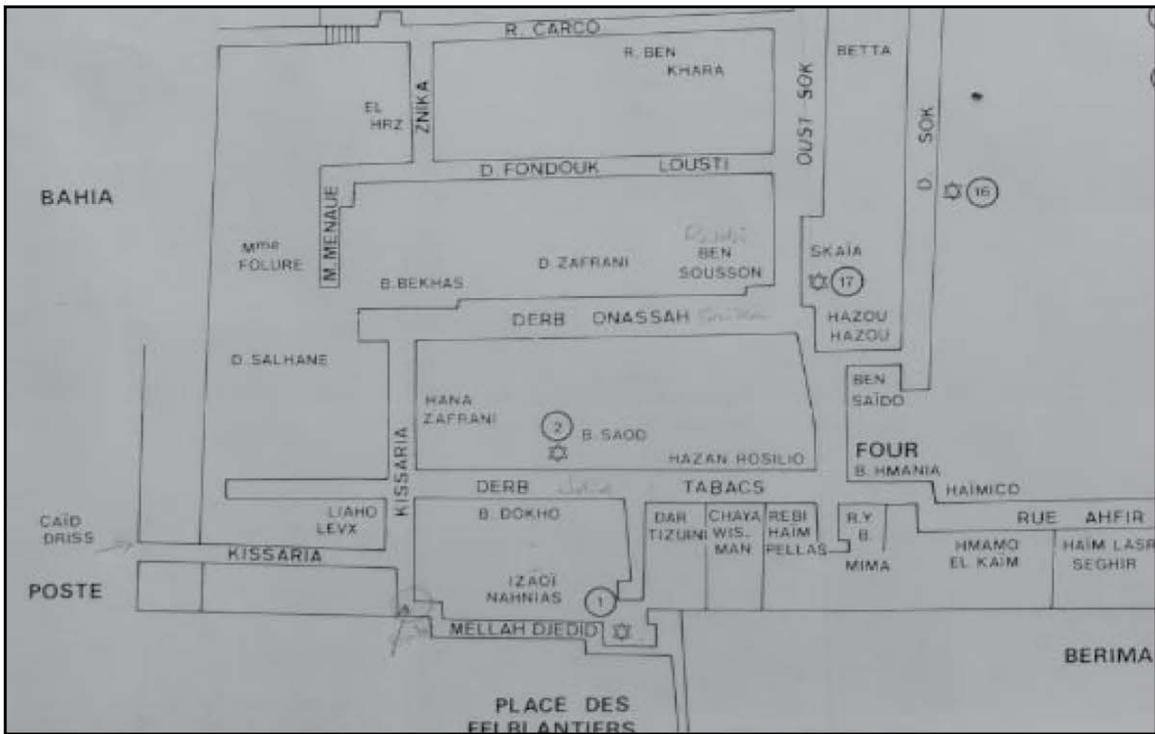


مقالات

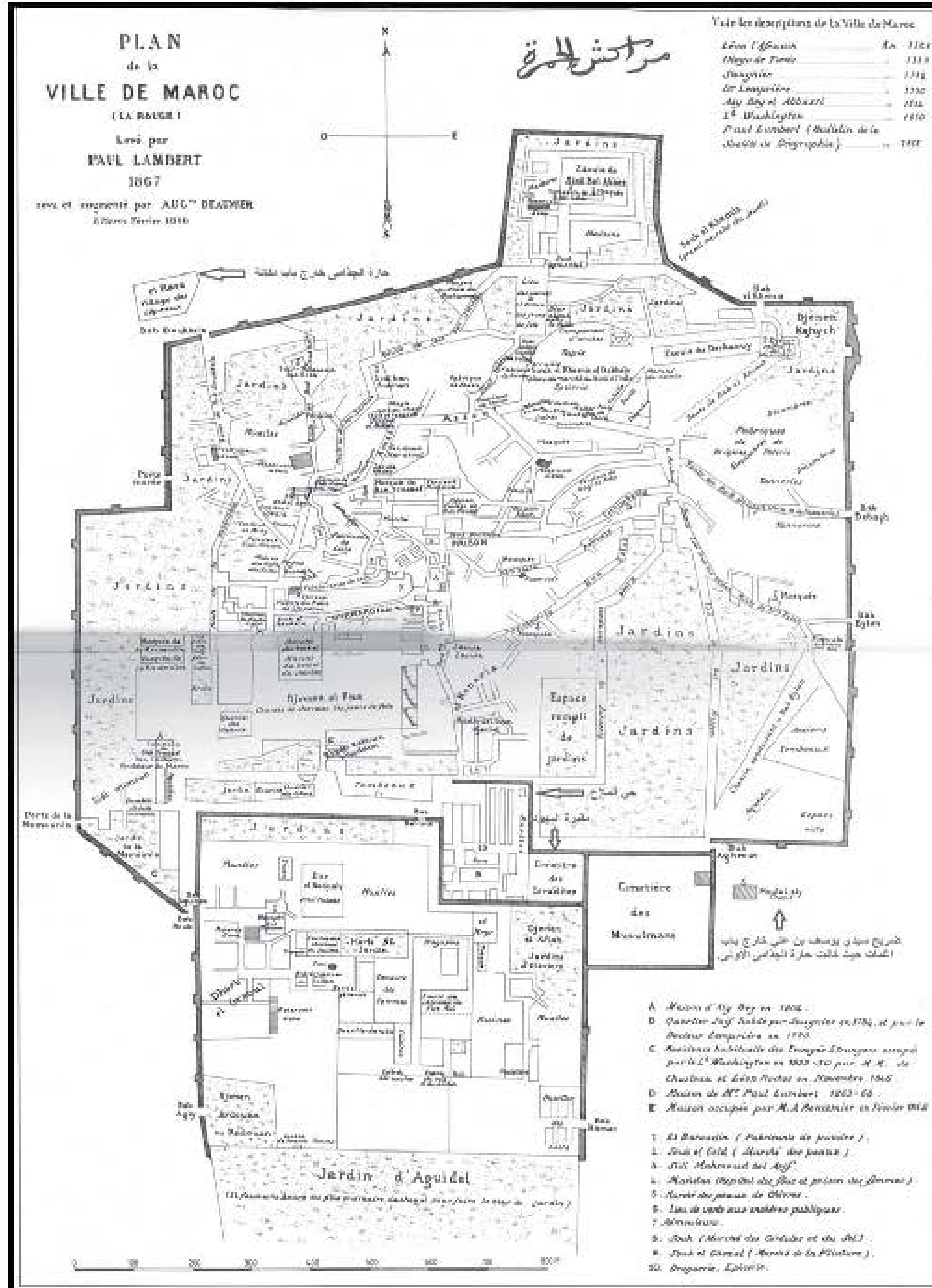
مقبرة اليهود في مراكش سنة ١٩٢٢م.




الجزء الشمالي الغربي من حي الملاح بمراكش، وضعه رفاييل أوحيون سنة١٩٨١



تصميم بول لومبير لمدينة مراكش سنة ١٨٦٧م.




مكنتنا هذه الدراسة من إلقاء نظرة على التاريخ الاجتماعي والطبي للمدينة العتيقة لمراكش، وبالرغم من تمكننا من الإجابة على بعض الإشكالات فإن الكثير من التساؤلات لازالت مطروحة ترتبط بصناعة الأدوية والترياقات وطرق العلاج والاحتراز من المرض، أيضا؛ سمح البحث في حي اليهود (الملاح) بالتعرف على الوضعية العامة التي كانت تعيش فيها هذه الطائفة داخل المدينة سواء في علاقتها مع السلطة أو مع أهل المدينة، ومعرفة بعض من أنشطتهم الاقتصادية التي كانوا يختصون بها أو يتقاسمونها مع المراكشيين المسلمين، كل هذا يدفع إلى المزيد من البحث ذاكرة أماكن المدينة العتيقة.

## الحواشي

١. حقي محمد، **الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط**، بني ملال، مطبعة مانبال، ٢٠٠٧، ص.٥٤.
٢. ابن الخطيب لسان الدين، **مثلى الطريقة في ذم الوثيقة**، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٣، ص.٢١.
3. Raynaud, L., Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc suivis d'une notice sur la climatologie des principales villes de l'empire, Document sur le nord-ouest africain, Alger, imprimerie typographique et lithographique S.Léon, 1902, p.156.
٤. القاضي عياض أبو الفضل، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تحقيق محمد بن شريفة وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، مطبعة فضالة، ج.٤، ص.٤٣٩.
٥. الجزنائي علي، **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٩١، صص.٢٤-٢٥.
٦. الفاسي ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٣، صص.٤٠-٤١.
٧. **حوالة أحباس** تازة، ميكروفيلم رقم ١٣٤ في المكتبة الوطنية بالرباط، ص.١٠٦. نقلا عن محمد حقي، الموقف من المرض، ص.٥٧.
8. Raynaud, L., Etude sur l'hygiène, p.156.
٩. دوتي إدمون، مراكش، ترجمة عبد الرحيم حزل، الرباط، منشورات مرسم، ٢٠١١، صص.٢٤٦-٢٤٧.
١٠. التادلي ابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢٢، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، ص.٣١٢.
١١. المراكشي محمد ابن المؤقت، **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، تحقيق وتقديم حسن جلاب وأحمد متفكر، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، الجزء الأول، ص.٧٠.
١٢. التادلي ابن الزيات، **التشوف**، ص.٣١٢.
١٣. بولقطيب الحسين، **جوائح وأوبئة عهد الموحدين**، الرباط، منشورات الزمن، ٢٠٠٢، ص.١٢٦.
١٤. الوزان الحسن، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ج.١، ص.٢٧٨.
١٥. الإفراني محمد الصغير، درر **الحجال**، ص.١٣١.
16. Marcet, A., le Maroc, Voyage d'une mission française à la cour du Sultan, Paris, 1885.

ورد عند:

Raynaud, L., Etude sur l'hygiène, p.147
17. Guichard, "Les Lépreux de Marrakech", in France Maroc, 1921, pp.70-72.
18. Flye, S.M., "La lèpre au Maroc", in international journal of Leprosy, 1935, p.316.
19. Barnéaud, T.,"Note sur l'endémie lépreuse dans la région de Marrakech", in International Journal of Leprosy, 1935, p.328.
20. Leared, A., Morocco and the Moors, London, 1876.

ورد عند:

Raynaud, L., Etude sur l'hygiène, p.148.
٢١. المراكشي ابن المؤقت، **السعادة الأبدية**، ص.٣٥٢؛ السملالي العباس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، ١٩٩٣، ج١، ص.٢٣٣.
22. Raynaud, L., Etude sur l'hygiène, p.148.
23. Ibidem.
24. Ibidem.
25. Flye, S.M.,La lèpre au Maroc, p.317.; Raynaud, L., Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc, p.148.
٢٦. الإفراني محمد الصغير، درر الحجال، ص.١٤٠.
٢٧. محمد الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٢، مجلد ١، ص.٢٣٥.
28. Gottreich, E., Le Mellah de Marrakech, un espace judéo-musulman en partage, traduction Mohamed Hatimi, publications de La Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, Série: Textes traduits n° :19, 1ére éd. Rabat, 2016, p.30.
٢٩. من المحتمل جدا وجود ساكنة من اليهود بمدينة مراكش قبل قدوم يهود إسبانيا إليها، تكون هي التي شجعت هؤلاء على اختيار التوجه إلىالمدينة للاستقرار بها. حيث من غير المعقول أن يكون قرار منع اليهود من سكنى مراكش لازال ساري المفعول ويختار اليهود الوافدون الجدد الإقامة بها.
٣٠. المغورشيم مصطلح عبري يميز اليهود المطرودين من إسبانيا عن اليهود المغاربة الأصل وهم التوشافيم.
٣١. غستوندوفردان، **تاريخ مراكش من التأسيس إلى الحماية (١٩١٢م)**، ترجمة محمد الزكراوي وخالد المعزوزي، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج١، ٢٠١٢، ص.٣٨٩.
32. Gottreich, E., Le Mellah, pp.50-51.

٣٣. مارمولكاربخال، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق وأحمد بنجلون، الرباط، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٨٤، ج٢، ص.٥٧.

٣٤. دييغو دي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، سلا، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٨٨، ص.٢٣٤.

٣٥. غسثوندوفردان، **تاريخ مراكش**، ص.٣٨٩.

36. Gottreich, E., Le Mellah de Marrakech,p.29.

٣٧. مارمولكربخال، **إفريقيا**، ص.٥٥.

٣٨. "كما شيد في المدينة ملاحا مسورا (لليهود) في ساحة كبيرة قرب الباب الذي يخرجون منه إلى فاس، يمكن أن يسع الملاح أكثر من ألفي شخص، ولم يبنه إلا ليعيش اليهود كلهم مجتمعين، لأنهم كانوا في عهدي يقيمون في عدة أحياء يهودية متفرقة". دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص.٢٣٤.

٣٩. "كان حي اليهود قديما في مكان يضم أزيد من ثلاثة آلاف منزل، لكن الملك الحالي نقله إلى أحد الأطراف بالقرب من باب أغمات، حتى يكون اليهود مفصولين عن المسلمين، تحيط بهذا الحي أسوار من جميع جهاته، وليس له سوى باب يفضي إلى المدينة، وآخر صغير يؤدي إلى مقبرتهم. وينبث داخل الأسوار عدة دبار وبيع. معظم هؤلاء اليهود صاغة يصنعون يصنعون رؤوس لجم فضية جميلة وغيرها من زينة الخيل مع مهاميزوركابات في غاية الزخرفة. ومنهم تجار عاديون، وآخرون يتجرون بكيفية غير مشروعة، لكن أكثرهم ثراء الذين يدبرون ممتلكات أبناء الملك والعمال". مارمولكربخال، إفريقيا، ج٢، ص.٥٥.

40. Gottreich, E., Le Mellah, p.35.

41. ibid, p.42-43.

42. Beneche, J., Essaid'explication d'un Mellah (Ghetto marocain), 1940, p.15.

43. Gottreich, E., Le Mellah, pp.40-41.

44. Ibid, p.29.

45. Demombens, G., Marocain Mellah, in journal Asiatique, 11éme série, III, 1914.

46. Vajda, G., Un recueil de textes historique judéo-marocaine, 1ére partie Hespéris, 3-4éme trimestre, 1948, p.350.

٤٧. **مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، نشرة جورج كولان، الرباط، ١٩٣٤، ص.٥٦.

48. Host, G., Nachrichten von Marokos und Fes, Copenhague, 1781, p.77.

49. Assaraf, R., Eléments de l'histoire des Juifs de Marrakech, Rabat 2009, p.42.

٥٠. حول الموضوع، يرجع إلى:

Gottreich, E., Le Mellah de Marrakech, p.66.

Assaraf, R., Eléments de l'histoire des Juifs de Marrakech, p.42.

Ben-Ami, I., Culte des saints et pélerinages judéo-musulmans au Maroc, collection Judaïsme en terre d'islam, Maisonneuve et larose, 1990.

٥١. غسثوندوفردان، تاريخ مراكش، ص.٤١٥.

Assaraf, R., Eléments de l'histoire des Juifs de Marrakech, p.42.

52. Vouyage de Jean Mocquet au Maroc, S.I.H.M., 1ére série, France, II, p.400.

٥٣. ماني مدينة صغيرة في الفكسان على الطريق من باريس إلى روان.

غسثوندوفردان، **تاريخ مراكش**، ص.٤١٦.

54. Relation de Tomas Le Gendre, S.I.H.M., 1ére série, France, III, p.729.

55. Vajda, G., Un recueil de textes historiques judéo-marocain, p.44.

Gottreich, E., Le Mellah de Marrakech..., pp.60-61.

٥٦. مارمولكربخال، **إفريقيا**، ج٢، مصدر سابق، ص.٥٥.

٥٧. "معظم هؤلاء اليهود صاغة يصنعون يصنعون رؤوس لجم فضية جميلة وغيرها من زينة الخيل مع مهاميزوركابات في غاية الزخرفة. ومنهم تجار عاديون، وآخرون يتجرون بكيفية غير مشروعة...". المصدر السابق.

58. Saisset, P., Heures juives au Maroc, Rieder, Paris, 1930, p.145-146

ورد عند

Gottreich, E., Le Mellah de Marrakech, p. 58.

59. Benech, J.,Essai d'explication d'un Mellah (ghetto marocain), Baden –Baden, 1949, p.69.

60. De Perigny, Marrakech et les ports du Sud, p.147

61. Aubin, E., Le Maroc d'Aujourd'hui, Paris, 1904, pp.371-372.

62. Tharaud, J.- J., Le Maroc, Libraire plon, Paris, 1923, p.101.

63. Laskier, M., Alliance IsraéliteUniverselle and the Jewish Communitiés in Morocco, 1882-1962 Albany, 1983.

ورد عند: خالد بن الصغير، "وثيقة غير منشورة عن ملاح مراكش في نهاية القرن التاسع عشر"، هسبريس تمودا، العدد XXXV، الجزء الثاني، ١٩٩٧، ص.٢٦.

٦٤. ديباجة وثيقة الإحصاء: "لما اشتكى على الأعتاب الشريفة المعتزة بالله المنيفة أهل ذمة هذه الحضرة المراكشية السعيدة أن السكنى ضاقت عليهم بالملاح، وأصدر أمر مولانا دام علاه بتقييد الدور

التي به مضيقة السكنى، وذلك على يد الفقيه العلامة الوزير الجليل سيدي فضول غريط، وعين كاتبه عبد الكبير بن هاشم الكتاني، وتوجه لما ذكر مع شرطي الباشا الأرضى القايد أحمد أمالك، وهو الطالب السيد عبد الله بن عمر الشيظمي، فقيد ذالك على نحو ما يذكر أسفله، وقيده في ربيع ٦ ربيع الثاني عام ١٣٠٨". خالد بن الصغير، **وثيقة غير منشورة**، ص.٣٤.

٦٥. خالد بن الصغير، **وثيقة غير منشورة**، ص.٦٩.

٦٦. **نفسه**، ص.٤١.

## بيان المصادر والمراجع العلمية


- **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام**، السملالي العباس بن إبراهيم، راجعه عبد الوهاب بن منصور، ج١، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط ١٩٩٣.
- **إفريقيا**، مارمول كاربخال، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق وأحمد بنجلون، ج٢، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ١٩٨٤.
- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، الفاسي ابن أبي زرع، دار المنصور، الرباط ١٩٧٣.
- **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، مجهول، نشرة جورج كولان، الرباط، ١٩٣٤.
- **تاريخ الشرفاء**، دييغو دي طوريس، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا١٩٨٨.
- **تاريخ مراكش من التأسيس إلى الحماية (١٩١٢م)**، غستون دوفــردان، ترجمة محمد الزكراوي وخالد المـعزوزي، منشورات وزارة الأوقــاف والشؤون الإسلامية، ج١، الرباط٢٠١٢.
- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، القاضي عياض أبو الفضل، تحقيق محمد بن شريفة وسعيد أحمد أعراب، ج٤، مطبعة فضالة، المحمدية.
- **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، التادلي ابن الزيات، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢٢، الطبعة الثانية، ١٩٩٧.
- **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، الجزنائي علي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٩١.
- **جوائح وأوبئة عهد الموحدين**، بولقطيب الحسين، منشورات الزمن، الرباط ٢٠٠٢.
- **السـعادة الأبديـة فـي التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، المراكشي محمد ابن المؤقت، تحقيق وتقديم حسن جلاب وأحمد متفكر، ج١، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، مراكش٢٠٠٢.
- **مثلى الطريقة في ذم الوثيقة**، ابن الخطيب لسان الدين،دار المنصور، الرباط١٩٧٣.
- **مراكش**، دوتـي إدمـون، ترجمة عبد الرحيم حزل، منشورات مرسم،الرباط٢٠١١.
- **الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط**، حقي محمد، مطبعة مانبال، بني ملال ٢٠٠٧.
- **نزهة المشتاق في اختراق الآفـاق**، محمد الشريف الإدريسي، مجلد ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة٢٠٠٢.
- "وثيقة غير منشورة عن ملاح مراكش في نهاية القرن التاسع عشر"، خالد بن الصغير، **هسبريس تمودا**، العدد XXXV، الجزء الثاني، ١٩٩٧.

- Alliance Israélite Universelle and the Jewish Communitiés in Morocco 1882-1962,Laskier, M., Albany, 1983.
- Culte des saints et pélerinages judéo-musulmans au Maroc, Ben-Ami, I., collection Judaïsme en terre d'islam, Maisonneuve et larose, 1990.
- Eléments de l'histoire des Juifs de Marrakech, Assaraf, R., Rabat 2009.
- Essaid'explication d'un Mellah (Ghetto marocain), Benéche, J., 1940.
- Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc suivis d'une notice sur la climatologie des principales villes de l'empire, Raynaud, L., Document sur le nord-ouest africain, Alger, imprimerie typographique et lithographique S.Léon, 1902.
- "La lèpre au Maroc", Flye, S.M., in international journal of Leprosy, 1935.
- Le Maroc d'Aujourd'hui, Aubin, E., Paris, 1904.
- Le Maroc, Tharaud, J.- J., Libraire plon, Paris, 1923.
- le Maroc, Voyage d'une mission française à la cour du Sultan, Marcet, A., Paris, 1885.
- Le Mellah de Marrakech, un espace judéo-musulman en partage, Gottreich, E., traduction Mohamed Hatimi, publications de La Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, Série : Textes traduits n° :19, 1ére éd. Rabat, 2016.
- "Les Lépreux de Marrakech", Guichard,inFrance Maroc, 1921, pp.70-72.
- Marocain Mellah, Demombens, G., in journal Asiatique, 11éme série, III, 1914.
- Morocco and the Moors, Leared, A., London, 1876.
- Nachrichten von Marokos und Fes, Host, G., Copenhague, 1781.
- Note sur l'endémie lépreuse dans la région de Marrakech", Barnéaud, T.,in International Journal of Leprosy, 1935.
- Un recueil de textes historique judéo-marocaine, Vajda, G., 1ére partie Hespéris, 3-4éme trimestre, 1948.
- Vouyage de Jean Mocquet au Maroc, S.I.H.M., 1ére série, France, II.

# الأفلاق والبغدان في العصر العثماني

د. أحمد صالح علي محمد
كلية الآداب – جامعة الزقازيق

**اهتم الباحث بكتابة بحث منفصل عن ولايتي الأفلاق والبغدان، بعد أن قام بالمشاركة في إصدار كتاب خاص بتاريخ الحروب العثمانية – الروسية مع أ.د / رأفت غنيمي الشيخ.**

**ولذلك فقد لمس الباحث مدى أهمية تاريخ الولايتين، ومع توافر المادة العلمية، فلا يوجد أي دراسة حسب ما وصل إليه، تخص تاريخ العلاقات العثمانية بالأفلاق والبغدان، لهذا فقد أدرك ومنذ البداية، أنه لابد من كتابة دراسة تخص تلك العلاقات لتكن صفحة من صفحات التاريخ العثماني وتاريخ الولايتين.**



وعلى أية حال، فقد بادر السلاطين العثمانيون الأوائل لفرض السيطرة العثمانية على بلاد البلقان (أوروبا الشرقية)، وبخاصة بلاد المجر والبلغار وبلاد الأفلاق والبغدان، لإحكام السيطرة على البحر الأسود، وفرض الجزية السنوية لإنعاش الخزانة العامرة؛ لتجهيز الجيش للفتوحات العثمانية، وما يؤخذ على الدولة هو فرض التبعية فقط دون محاولة نشر الدين الإسلامي في تلك البلاد، مما جعلها أرضا خصبة لروسيا والنمسا لمحاولة ابقاء تلك الولايات تحت تأثيرها الديني والعرقي السلفي لها.

والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية قد أدارت تلك الولايات بشيء من الحكمة، كما فعلت في ولاية مصر المحروسة؛ حيث تركت إدارة الولايات في البداية بيد الأمراء المحليين، وتركتها في مصر للمماليك؛ لأنهم كانوا أعلم بإدارة شؤون الأقاليم، ومن جهة أخرى سحبت أمور الحكم من الأمراء ونبلاء تلك الولايات ووضعتها في يد تجار ومترجمين من اليونانيين من سكان حي الفنار بإستانبول، وهذا يوضح ثقة الدولة في هؤلاء اليونانيين طوال القرن ١٨م. حتى تبدل الحال، وبخاصة بعد زيادة التدخل الروسي والنمساوي داخل الولايات، وإعادة حكم

الأمراء المحليين مرة أخرى مع شروط وهي عدم تدخل الدولة في عزل الأمراء دون أسباب قوية تدعم عزل الحكام في الولايتين بالدانوب.

والواقع أن الدولة العثمانية، طوال فترة حكمها للولايتين لم تفكر إلا في تحصيل الجزية السنوية، وتحقيق الأمن الغذائي للعاصمة إستانبول، وتوفير الخيول والدواب لجر المعدات الحربية، والماعز والخرفان... وغيرها من السلع الغذائية، وعلى هامش ذلك إدارتها وحكمها للولايتين بقاءه دون أي تطوير وتحديث، مما جعل تلك الولايات ترى في الشعوب السلافية مثل روسيا والنمسا هي المنقذ الوحيد لها من الغزو العثماني لها.

وبالفعل ظلت تلك العلاقات طوال القرنين ١٨م، ١٩م حتى نالت تلك الولايات الدانوبية الحكم الذاتي، رمت بذلك الدولة العثمانية بالأفلاق والبغدان في أحضان أعدائها، وخسرت مواقع مهمة جدا كانت السيطرة لها على البحر الأسود؛ حيث حصلت روسيا على تلك المناطق حتى تصل إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط.

فكان علينا في هذا البحث الذي كان محاولة لاستقراء تاريخ الدولة العثمانية في الأفلاق والبغدان؛ لرسم خريطة ممنهجة لهذا الموضوع المهم لإيضاح ذلك: لوصف الموقع الاستراتيجي للولايتين وأهميتهما للدولة على طريق التجارة بينها وبين إستانبول وموقعها على البحر الأسود، وحروب الدولة لفترات طويلة لإحكام السيطرة على المواقع الاستراتيجية، وأهمية استانبول وأساليب الدولة في إدارتها للأفلاق والبغدان على مر القرون وفي النهاية قراءة للصراع بين روسيا والنمسا والدولة العثمانية للسيطرة على الولايتين ومكانتها في العلاقات والاتفاقيات الدولية.

## أهـمـيـة الـدراسـة

شكل الموقع الجغرافي لولايتي الدانوب (الأفلاق والبغدان) حلقة الوصل بين التجارة في بلاد البلقان وبين العاصمة إستانبول، فقد أصبحت أراضي الولايتين معبرا لتجارة الدولة العثمانية، وقد استفادت الدولة أيضا من سيطرتها على السواحل الشمالية الغربية في البحر الأسود بالغ الأهمية.

ونظرا لأهمية الموقع الجغرافي والاقتصادي للولايتين من ناحية وندرة الدراسات والبحوث العربية والأجنبية المتعلقة بتاريخ الأفلاق والبغدان السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ومن ناحية أخرى يأتي هذا البحث لكشف النقاب عن العلاقة الاقتصادية بين الدولة العثمانية والأفلاق والبغدان وأهميتهما بالنسبة للدولة، وقد واجه البحث بعض الصعوبات والتي تكمن في قلة المادة العلمية بل وندرتها، فكانت شذرات متناثرة في بطون المصادر والمراجع، حتى وصل على هذا النحو.

والراجح هنا، وما وصل إلينا أنه لم تتوافر دراسة مستقلة تناولت موضوع تاريخ الأفلاق والبغدان، إلا بعض الفصول التي تحدثت عنها وبالعموم ومنها:

- بيتر شوجر: أوربا العثمانية ( ١٣٥٤ – ١٨٠٤م ) في أصول الصراع العرقي في الصرب والبوسنة، ترجمة: عاصم الدسوقي، دار الثقافة الجديدة، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م.

- تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش: تفكيك

أوروبا العثمانية: (إنشاء دول البلقان القومية) (١٨٠٤ – ١٩٢٠ م)، ترجمة: عاصم الدسوقي، دار العالم الثالث، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م.

وهي لم تغطي بشكل كبير تاريخ الأفلاق والبغدان.

## التمهيد

كان لانطلاق العثمانيين داخل الأراضي البلقانية، بداية لترسيخ مظاهر الحضارة العثمانية داخل الأراضي في أوروبا الشرقية، التي كانت غارقة في التخلف؛ حيث كان كل شاغلهم خلال تلك الحقبة هي زراعة الأراضي الزراعية، وتربية الحيوانات، فكانت بذلك حياة اجتماعية اقتصادية بدائية، فهي بذلك طبيعة زراعية بحتة.

وقد أدرك العثمانيين منذ البداية الأهمية لتلك المناطق ذات الأراضي الخصبة والطبيعة الخضراء، فقد قامت هذه الولايات بعد التبعية للدولة العثمانية بدفع الجزية السنوية التي ضخت ولفترة طويلة أموال طائلة للخزانة العامرة، ويزيد على ذلك إرسال تلك الولايات لكثير من المحاصيل الزراعية، وحيوانات وخيول للإدارة العثمانية.

وتشير الدلائل أن الدولة العثمانية قد سيطرت على مناطق معينة، وقد منحتها الدولة الحكم الذاتي مع صلاحيات واسعة مثل الأفلاق والبغدان وبعض الجزر اليونانية، وقد شهدت مناطق الحكم الذاتي كثير من التغيرات في نظم الحكم والإدارة وبخاصة ولايتي الدانوب العثمانية.

وبسيطرة الدولة العثمانية على أراضي البلقان وبخاصة الأراضي المطلة على البحر الأسود، قطعت بذلك التجارة بين بلاد البلقان والدول المجاورة؛ حيث سيطرت الدولة العثمانية على البحر الأسود، وزاد من تلك السيطرة العثمانية بعد أن فرضت سيطرتها على شبة جزيرة القرم.

وأيقن العثمانيون منذ البداية أن الغزو والجهاد المستمر هما قانونا الحياة بالنسبة للمجتمع العثماني، وقد حمل السلاطين العثمانيين لقب غازي، وظلت الدولة في حروب مستمرة، وفي رباط وعسكرة واسعة، وحتى عندما وصل للسلطنة في أواخر القرن ١٦م، سلاطين كسولون مرفهون، فإنهم رغم هذا كانوا قادة لهم دورهم الفعال في ميادين المعارك، فعادة ما كانوا يغادرون إستانبول مع الجيش كل ربيع، ويخوضون المعارك في الصيف، فكل منهم قد أدى دوره[1].

لقد ركز العثمانيين على تنظيم وإدارة الولايات بوضعهم نظام إداري محكم، للحفاظ دائما على قبضتها، والجدير بالذكر أن كل ما تريده الدولة هو تبعية تلك المناطق في البلقان العثماني، وقد اختصت الدولة نظام إداري خاص لولايتي الدانوب (الأفلاق والبغدان) فقد تمتعت بقدر كبير من الحكم الذاتي.

وسيطر العثمانيون على أوروبا الشرقية (البلقان) لكون تلك المناطق تتمتع بموقع جغرافي متميز وأهمية اقتصادية غاية في الأهمية للدولة العثمانية، وبخاصة ولايتي الأفلاق والبغدان، فالولايتين هما البوابة للجيوش العثمانية لمد ممتلكاتها داخل البلقان، ومثلت الولايتين الحاجز البشري ضد أي اعتداء من ناحية الغرب حيث النمسا ومن الشمال حيث بولندا وفي القرن ١٧م،

١٨م، ١٩م، اعتداء روسيا القيصرية.

لم تستطع الدولة العثمانية إخفاء قلقها الدائم نحو تبعية تلك الأراضي لسلطتها المباشرة، وبخاصة عندما استمرت روسيا والنمسا في حروبها داخل الأراضي العثمانية في البلقان؛ حيث اتبعت روسيا والنمسا في البداية الأسلوب الحربي، حتى أيقنت أن الحرب لن تجدي نفعا مع الدولة العثمانية، بعدها قد بدأت في تأليب تلك الشعوب السلافية ضد الدولة العثمانية، محاولة بذلك استمالتهم وإدخالهم في صفها مستغلين في ذلك العرق واللغة والدين.

لقد كانت الدولة العثمانية في البلقان – تمثل جهازا إداريا مؤثرا وفعالا ويدعو للإعجاب، ولكنه كان معزولا بسبب عامل الدين الذي حال بينه وبينه الاندماج الوثيق بالسكان، اندماجا يشكل علاقة متكاملة معهم، فمثل هذا النظام المبني على تعايش الصدفة وغير المؤسس على ما ينتج عنه مجتمع متكامل مترابط بشكل عضوي، فإن أي وهن أو اندحار يعتري كفاءة المؤسسة العسكرية التي كان العثمانيون عن طريقها يقمعون بها الإمبراطوريات الأوروبية، وذلك كان كفيلا للكشف عن أسباب انهيار المجتمع العثماني في مناطق البلقان(٢).

ولا نزاع في أن العثمانيين كانوا يسيرون من نصر إلى نصر بفضل تكريس أنفسهم للفتوح، بشكل صارم، فأصبحت دول البلقان في وقت قصير تحت لواء الدولة العثمانية.

وقبل أن نخوض البحث في وضع الولايتين، تجدر بنا الإشارة إلى أن الدولة العثمانية، أرادت السيطرة على أوروبا الشرقية، لأسباب عدة منها السياسية والاقتصادية، فكانت تلك الولايات مفتاح الدولة لتطل منها على البلاد التي لم تسيطر عليها، وقد وضعت الدولة العثمانية نصب عينيها على تلك المناطق للسيطرة على المناطق الخصبة والغنية لتوفير المحاصيل لإستانبول، وتحصيل الجزية؛ حيث نتج عن تلك الأمور التي حرصت الدولة على تطبيقها تحقيق الأمن الغذائي وملئ خزانة الدولة بالذهب للإنفاق على الحروب التي تخوضها الدولة في عدة جبهات.

ولاشك أن الفترة التي يمثلها عصر الدولة العثمانية (١٢٩٩-١٩٢٤م) تحتل مساحة مهمة في تاريخ الولايات البلقانية؛ فقد حدث هذه الفترة عدة تطورات تاريخية مهمة بدأت بسيطرة الدولة العثمانية على البلقان طوال القرنين ١٤م، ١٥م، والتي انتهت بهزيمة الدولة العثمانية في نهاية القرن ١٩م وفرض روسيا معاهدة سان ستيفانوس ومعاهدة برلين للقضاء على وجود الدولة العثمانية في البلقان، فقد أنهت حرب الـ٩٣ (الحرب العثمانية-الروسية الأخيرة) على آمال الدولة العثمانية في تواجدها في البلقان ومحاولة الإصلاح على النسق الأوروبي، ونتيجة لذلك ظهر ما يسمى بالدول القومية في أوروبا الشرقية.

## [١] جغرافية الولايتين:

استوطن الرومانيون أو الأفلاقيون في شبه الجزيرة البلقانية منذ القدم، وهم من الرومان الذين نزلوا فيها بعد أن فتحها الإمبراطور تراجان فامتزجوا مع أهاليها القدماء الداسيين، وقد عاشوا في سهول الدانوب حياة الرعاة البدو(٣). ولا يزال أمر رادو الزنجي الذي يعزى إليه إنشاء إمارة الأفلاق مجهولا، ولا يعرف هل

هو شخص حقيقي أم اسم وهمي؛ لأن تاريخها لا ينجلي إلا منذ تولي عليها الأمير اسكندر بازاراب (١٣٢٥ ـ ١٣٦٠م)[٤].

والجدير بالذكر أن الأفلاق والبغدان (ولاشيا ومولدافيا في المصادر الأجنبية)[٥] تقع شمال نهر الدانوب، وتحيطها ثلاث دول كبيرة: لهستان (بولندا) والمجر والدولة العثمانية، فكانتا بحكم الموقع الجغرافي الذي تشغلانه تحالفان هذه الدولة تارة وتلك تارة أخرى حسب ما يتراءى لهما؛ لذلك اتسمت سياستهما بالتذبذب والتغيير[٦]، وبمعني آخر أنهما ما كانتا تكفان عن الخصام فيما بينهما، وكان أول اتصال للعثمانيين بهذه البلاد في عهد السلطان بايزيد (١٣٨٩-١٤٠٢م)، وقد أخضع الأفلاق الجنوبية، لسيادة العثمانيين في نهاية القرن ١٤م، ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه الإمارة حليفة للعثمانيين تدفع لهم جزية سنوية[٧].

أما الأفلاق، فهي ولاشيا، وتكتب الفلاخ، وهو الاعتماد التركي لكلمة Valaqu وكان أول من أطلق التسمية الشعوب الجرمانية على السكان اللاتين، ثم استخدمها السلافيون والبيزنطيون ولاحقا العثمانيون ليدلوا بها على الرومان البلقانيين وروما ن شمال الدانوب، والكلمة منطقة تاريخية في رومانية، ظلت تنتقل من يد إلى أخرى حتى شكلت باتحادها مع البغدان دولة رومانيا عام ١٨٥٩م[٨].

وقد اشتهرت الأفلاق ومنذ البداية بمقاومتها وجهادها لرفع اعتداء ملك المجر بشكل مستمر، وانتقل ذلك النزاع أيضًا إلى آل عثمان؛ حيث أرادوا السيطرة عليها لموقعها الممتاز[٩].

والبغدان، هي مولدافيا Moldavie؛ منطقة جغرافية وتاريخية في رومانيا تقع أقصى شمال شرق البلاد، وعاصمتها إياشي Iasi عرفت البلاد الغزو من شعوب القوط Goths (٢٧٤-٣٧٥م)، والهون Huns (٣٧٥-٤٥٣م)، والسلاف، ثم الآفار Avares، ثم البلغار (القرن ٦-٩م) وأخيرا التتار (القرن ١٠-١٣م) الذين طردهم ملكم هنغاراي، فحكمها إلى أن طرد بُغدان Bogdan، وهو أحد كبار موظفي الدولة-ابنه من البلاد وأسس إمارة ملدافية سنة ١٣٥٩م، وقد تعاقب على حكم هذه الامارة والسيطرة عليها كذلك الهنغار والأتراك واليونان والروس، وبدءا من سنة ١٨٦٦م صار يخلط بين تاريخها وتاريخ رومانيا، وبعد ثورة ١٩١٧م الروسية انفصل قسم على مولدافيا وأعلن انضمامه إلى رومانيا، انفصال لم يعترف به الاتحاد السوفيتي أبدا بل أنشأ على الضفة اليسرى لنهر دنيستر جمهورية مولدافيا المستقلة التي أصبحت الجمهورية رقم ١٣ في الاتحاد السوفيتي[١٠].

وعند النظر لتكوين البغدان، فهي نتاج لهجرة سكان الأفلاق من ترانسلفنيا، وقامت بعد ذلك الحكومة البيزنطية بالاعتراف بالأفلاق والبغدان، وعين اساقفتها لدى الولايتين، وطبق النمط الإداري البيزنطيين وطبق نظام البويار الارستقراطية في كل ولاية. وكان لابد من سكان الولايتين مواجهة قوتين في آن واحد، وهما بولندا والأخرى الدولة العثمانية، وتمكنوا من إيقاف الدولة العثمانية في البداية، ولكنهم منوا بالهزيمة المنكرة، بعد ذلك خضعوا للحكم العثماني، وتشير الدلائل أن البغدان اتخذت موقف الحياد بين الأفلاق والسلطان العثماني، فاحتفظت بالاستقلال لوقت أطول. ولكنها كانت

ضمن من يقدم الجزية للمسلمين بحلول عام ١٤٥٥م[١١].

والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية قد واجهت العديد من الحملات الكبرى للسيطرة على ولايتي الأفلاق، والبغدان، بسبب غني تلك المناطق بالأراضي الخصبة الشاسعة، والمواد الغذائية، التي مهدت الطريق لما تبحث عنه الدولة من تحقيق الأمن الغذائي للعاصمة إستانبول وهذا ما سنتحدث عنه في موضوع البحث.

والراجح أن الدولة العثمانية كانت تحاول فرض السيطرة على تلك الولايات، حتى تكن لها الخطوة الأولي لنشر سيطرتها على أوربا الشرقية (البلقان) بالكامل، فكانت الأفلاق والبغدان هي البوابة لفرض الدولة سيطرتها على المجر وألبانيا والبوسنة والهرسك والصرب وغيرها من بلاد البلقان.

وفي نفس الصدد، فعند النظر للموقع الخاص بالأفلاق والبغدان؛ حيث تطل على ضفاف نهر الدانوب الذي سيسمح للدولة العثمانية باختراق مياهه من الدخول إلى قلب أوروبا، فهو من أطول أنهار أوروبا وأهمها، فقد استطاعت في وقت مبكر السيطرة على المواقع الاستراتيجية والمدن الحصينة على نهر الدانوب، وذلك لاستغلال ما هو كل غالى لدعم الخزانة العامرة والاقتصاد العثماني ككل.

وتكمن الأهمية السياسية للولايتين (الأفلاق-البغدان)، أنها تطل على البحر الأسود، وهي البوابة للأراضي العثمانية، فهي في الحدود مع بولندا والإمبراطورية النمساوية.

## [٢] السيطرة العثمانية على الولايتين:

الجدير بالذكر أن الدولة العثمانية بدأت إخضاع الولايتان في وقت مبكر في أواخر القرن ١٤م؛ حيث قام السلطان بايزيد الأول بفتح ولاية الأفلاق عام ١٣٩٣م، لكن ما لبث حاكمها مرشا الأول أن انضم إلى الحلف الصليبي ضد الدولة العثمانية في معركة نيقوبوليس[١٢] عام ١٣٩٦م[١٣].

وبعد هزيمة نيقوبوليس وبعد نكسة أنقرة عام ١٤٠٢م أعلن أمير الأفلاق استقلاله عن الدولة العثمانية[١٤]، والجدير بالذكر أن أمير الأفلاق كان في غاية الطاعة والانقياد، ويؤدي الجزية في كل عام، ثم أنه شق العصا وانحرف وطغي، فلما بلغ حضرة السلطان محمد الأول (١٤٠٢-١٤٢١م) ذلك أرسل لابن اسفنديار ليتجهز هو بعسكره أو ابنه، فامتثل وجهز ابنه قاسم باي، وحضر بين يدي السلطان وعبر البحر هو وجميع العساكر الإسلامية ودخل إلى مدينة أدرنه وتباشر المسلمون بقدومه، واستراح بها أياما، وتوجه لإخضاع الأفلاق[١٥].

وفي نفس الصدد، قد استفاد السلطان محمد الأول كثيرا من الخلاف الذي نشب بين أمير الأفلاق مرشا ومنافسه دان الذي طلب مساعدة العثمانيين له، فكان ذلك سببا لتدخل العثمانيين؛ حيث قبل السلطان العثماني طلب دان، وأمده بقوة استطاع بها هزيمة مرشا[١٦].

ويزيد على ذلك تقدم ملك المجر سجسمند على رأس أسطول في نهر الطونة[١٧]، فتصدى له الأسطول العثماني بقيادة إسحاق بك فهزم ملك المجر[١٨]، وأصدر السلطان الأمر لعساكره بقطع

نهر الطونة تمهيدا لنهب بلاد الأفلاق والغارة عليها[١٩].

ونتيجة لما سبق، أعلن دوق الهرسك دخوله في طاعة السلطان العثماني، كما تم فتح سرايفوا عام ١٤١٥م[٢٠]، ثم تابع السلطان أعماله الحربية في الروميلي، فتوجه إلى الأفلاق عام ١٤١٦م لتأنيب أميرها الذي خرج عن الطاعة، فشيد قلعة يركوي كما قام بتحصين قلعتين آخرين لشن الهجوم على اردل (ترانسلفانيا) (حاليا في رومانيا) التابعة للمجر عقابا لملكها على عدوانه[٢١]، وفي أثناء ذلك أغار العثمانيون ورجعوا بغنائم جليلة وأسرى من بناتهم وأولادهم ونسائهم، وما أشبه ذلك، فلما رأى الكافر (أمير الأفلاق) ما أحاط به ندم على ما صدر منه، وبقي يدبر فيما يفعله، وكان عنده بعض أمراء من خواص موسي جلبي هاربا اسمه عزة باي، فتمسك به للأمان وتوسل به للاستئمان، وأرسله إلى حضرة السلطان محمد الأول، واعتذر عنه وطلب له الأمان، وأرسل صحبته خراج ثلاث سنين عاجلاً، والتزم في كل سنة بإرسال الجزية لدار السلطنة المعمورة ويسلك مسلك العبيد والخدام، وأخذ عليه العهد وجدد المواثيق، وبمعني عنه وأقره في بلاده، ومنها توجه إلى ناحية الانكروس وهجم عليها وفتح قلعة سوران، فلما رأى ما رأى كبير الكفار، وأن ليس لهم على المدافعة اقتدار، أخذ طريق الصلاح وأرسل هدايا جليلة وأشياء جميلة، ومعها ثلاثة من أكابر الكفار وأبناء ملوكهم إلى حضرة السلطان، وقرروا معه الصلح، ورفع عنهم القتال، وكر راجعا إلى مدينة أدرنة، وكان في حالة عودة ركض يوما فسقط من ظهر فرسه إلى الأرض، فوقع له منها ألم ولازم الفراش أياما، وعافاه الله منها، وعرض قاسم باي ابن اسفديار إلى السلطان أن يقطعه بعض بلاد تكون له أثمارهن ويستقر في خدمة السلطان مادام حيا فاقطعه بلد (موسيا وكنغري وقلعة جق) وحدد لهم جبل ايلغار حدا فاكتفي قاسم باي بهذه الإنعامات الجليلة، واستمر على الطاعة والانقياد لآل عثمان إلى آخر عمره[٢٢].

والحقيقة أن مشكلة الأفلاق هذه أصبحت سببا لمواجهات عديدة وهجمات حدودية متبادلة على الحدود بين الدولة العثمانية، والمجر؛ حيث تجاوزت بلاد الأفلاق نفسها إلى بلاد الصرب والبوسنة[٢٣].

وتشير الدلائل إلى أن ولايتي الأفلاق والبغدان لم تترددا ولو للحظة واحدة كلما سمحت لهما الفرصة في التمرد والعصيان ضد الدولة العثمانية، ولم يكفيهم ذلك؛ حيث قاموا أيضا بالتحالف مع أعداء الإسلام، للتطاول على أراضي الدولة العثمانية.

وفي الصدد نفسه، وبعد عامين توفي مرشا الأول[٢٤]، وكان الأخير رجلا مزواجا وقد علق بأكثر من امرأة وترك وراءه بعد وفاته سنة ١٤١٨م عدة أبناء تنازعوا على الملك واحتمت بينهم الحروب الأهلية فمنهم من استنجد بالدولة العثمانية ومنهم من استنجد بالمجر وظل الأمر على ذلك من الاضطراب والخلل إلى أن خلصت الإمارة لولده الرابع دراكولا[٢٥] الذي لم يذكر التاريخ رجلا يضارعه في القسوة وغلظة الكبد وحب التعذيب، وسفك الدماء[٢٦].

وبينما كان السلطان مراد الثاني يقيم في مدينة بورصة[٢٧] مدة في عيشة مرضية وأحوال

طيبة هنية فورد عليه الخبر بأن عسكر اسفنديار قدم وأغار على نواحي طراقلي فحين ورد عليه الخبر جهز العساكر الحاضرين من غير توقف ولا ترقب، وسار نحو اسفنديار، ولما تقابل المعسكران واقتتل الفريقان مات كثير من الجانبيين، وهرب جماعة من أمراء اسفنديار (ومعهم عسكر ودخلوا في طاعة السلطان مراد، فعند ذلك عزم اسفنديار، وأخذ طريق الفرار وهرب ولم يلو إلى أن وصل بلاد سينوب(٢٨)، وعاد السلطان مراد من هذه المعركة وطرق مدينة قسطومني(٢٩)، واستولى عليها ووقع الرعب في قلب اسفنديار، فلم يفده إلا طلب الأمان والصلح، وأهدى إليه هدية رائقة وتحفا فائقة، وأرسل مكاتيبه بالتضرع والاحتقار والتوبة والانكسار وأن لا يعود لمثلها أبدا(٣٠).

وقد استغل انشغال الدولة في حربها مع اسفنديار حاكم الأفلاق دراكولا، وأراد الاستفادة من هذا الانشغال، وقام بالتجاوز على الأراضي العثمانية عام ١٤٢٤م فأصدر مراد الثاني أوامره لأمير الحدود فيروز بك وكلفه بالهجوم على الأفلاق، وتشديد الضغط على طول الحدود، فلما رأى دراكولا نجاح حملة مراد الثاني في الأناضول، واصطحب ابنيه وتوجه بهما إلى أدرنة معلنا الطاعة للسلطان العثماني، وهكذا وافق دراكولا على دفع الجزية المتأخرة، وفي هذه المرة لم يرض العثمانيون بأقل من تسليم ابنيه كرهائن لضمان تنفيذ بنود الاتفاقية مع الأفلاق، ومن ناحية أخرى جدد السلطان العثماني معاهدة الهدنة التي كانت الدولة قد عقدتها مع ملك المجر من قبل، وبذلك أمكن لمراد الثاني توطيد الاستقرار مؤقتا في الأناضول والروميلي(٣١).

أراد بذلك داركولا التمرد والانفصال عن الدولة العثمانية مستغلا انشغالها في حروبها على جبهات أخرى.

واستمر الوضع على ما هو عليه في البلقان، إلى أن تجددت الحرب بين العثمانيين والمجريين عام ١٤٣٨م، وفي بداية هذه الحرب حال التوفيق السلطان مراد الثاني واستطاع أن يهزم المجريين وأسر منهم سبعين ألف جندي وأن يستولي على بعض المواقع(٣٢)، ثم تقدم لفتح بلغراد عصاة الصرب، ولكنه أخفق في محاولته وسرعان ما تكون حلف صليبي كبير باركه البابا، واستهدف هذا الحلف طرد العثمانيين من أوروبا كلية، وشمل الحلف البابوية والمجر وبولنده والصرب وبلاد الأفلاق وجنوة والبندقية والإمبراطورية البيزنطية ودوقية برجنديا، وانضمت إلى الحلف أيضا كتائب من النمسا وباقي أوروبا، وأعطيت قيادة قوات الحلف الصليبي إلى قائد مجري قدير هو يوحنا هنيادي، وقد قاد الأخير القوات الصليبية البرية وزحف جنوبا واجتاز الدانوب وأوقع بالعثمانيين هزيمتين فادحتين عام ١٤٤٢م، واضطر العثمانيون لأول مرة في تاريخهم إلى طلب الصلح، فأجيبوا إلى طلبهم عقدت هدنة تلتها معاهدة عام ١٤٤٤م كانت قاسية بالنسبة للعثمانيين، فقدوا فيها أهم أقاليم بلاد الصرب والأفلاق، وتعهد فيها مراد، وفلاد يسلاف ملك المجر أن يكون نهر الدانوب حدا فاصلا لا تعبره جيوش الفريقين لمدة عشر سنوات(٣٣).

وعلى أية حال، لقد أوفى العثمانيون بوعدهم وجلوا عن المواقع التي تقررت في المعاهدة، ولم يكد يفرغون من الانسحاب حتى قام هنيادي بهجوم على بلغاريا، ورد مراد على ذلك بأن خرج على رأس جيش جرار وهاجم قوات

التجمع الصليبي عند فارنا بعد مضي أربع سنوات، حين زحف على بلاد الصرب أواخر عام ١٤٤٨م على رأس جيش يتكون من ٢٥ ألف رجل من النمسا وسكان الأفلاق والمجر وحينئذ زحف مراد الثاني، وهو يقود جيشا بلغ عدده ٥٠ ألف جندي، وتقابل معه القوات المتحالفة في سهولة قوصوه في ١٧ أكتوبر ١٤٤٨م، واستمرت المعركة ثلاثة أيام وانتهت بانتصار ساحق للعثمانيين، وقد أخرجت هذه المعركة بلاد المجر لعشر سنوات على الأقل من عدد الدول التي تستطيع النهوض والقيام بعمليات حربية هجومية ضد العثمانيين[٣٤].

والجدير بالذكر هنا، أن السلطان مراد الثاني قد حصل على خزائن الأموال وآلات الحروب والدواب، ونال الجنود الغنائم والأسرى، ثم عاد السلطان إلى أدرنة[٣٥].

وقد استمر هذا النظام الذي وضعه مراد الثاني ونظمه، حتى توفي في ٦ فبراير عام ١٤٥١م في أدرنة، وخلفه ابنه محمد الثاني (١٤٥١-١٤٨١م)[٣٦] وهذا ما ينذر بتذليل الأوضاع بمحاولة السلطان محمد الفاتح بالسيطرة على كافة أنحاء البلقان.

والشاهد من المصادر، أنه ومنذ خضوع الأفلاق للتبعية العثمانية، لم يتردد أميرها في الخروج على الدولة والتحالف مع أعدائها كلما سنحت له الفرصة، ولذلك حرص محمد الفاتح على توطيد النفوذ العثماني في تلك البلاد، فنجح في مساعدة الأمير الأفلاقي ولاد جيش الذي كان محجوزا لديه حتى تولى ولاية الأفلاق عام ١٤٥٦م، وإذا كان أمير الأفلاق الجديد قد أظهر الطاعة خلال سنوات حكمه الأولى[٣٧]، لكن تبدل الحال إلى التمرد والعصيان؛ حيث أن داركولا حاكم الأفلاق استغل انشغال الدولة العثمانية في حملاتها في جنوب البحر الأسود، وقام بالاتفاق مع ملك المجر، وراح يعتدي على نواحي البلغار التابعة للدولة[٣٨].

وعلى الرغم من ذلك فقد سبق وأن قام السلطان محمد بعقد معاهدة عام ١٤٦٠م على نمط المعاهدة التي عقدت من قبل بين بايزيد الأول ومرشا الأول عام ١٣٩٣م، وفي هذه المعاهدة الأخيرة تعهد السلطان محمد الفاتح بحماية الأفلاق والدفاع عنها ضد أي عدو على أن تكون السيادة له على هذه الإمارة وتدفع له الجزية سنوية قدرها ١٠ آلاف دوقية، وفي مقابل ذلك تحتفظ الإمارة بإدارتها الداخلية ونظمها الخاصة وينتخب الأمير الحاكم على يد الأساقفة والإشراف ويكون له حق إعلان الحرب والسلام وحق الحكم بين رعاياه بالحياة والموت دون أن يكون مسئولا أمام السلطان العثماني، ولم يمض وقت طويل على توقيع هذه المعاهدة حتى نقضها حاكم الأفلاق دراكولا وحالف ملتياس كورفان ملك المجر كما ذكرنا من قبل، وتزوج إحدى قريبته وتعهد له أن يشن الحرب على العثمانيين ويقاتلهم[٣٩].

ونتيجة لذلك، راح دراكولا يعتدي على نواحي البلغار التابعة للدولة العثمانية[٤٠]، وعند النظر إلى أسباب الحرب بين السلطان محمد الفاتح ودراكولا، هو خروج سنان أغا باشا، أحد اغوات الحصارات التي على حدود الإسلام (الدولة العثمانية) خرج يوما للصيد فاغتاله كبير الأفلاق فقتله وجميع من كان معه[٤١].

ولم يكتف دراكولا بذلك بل قام بعبور نهر الدانوب سرا على رأس جيش قوي وكبير، وقام بتخريب ونهب مدينة نيقوبوليس وويدين، ثم بعد الاستيلاء على الكثير من الغنائم وقتل العديد من الناس، قام بعبور النهر مرة أخرى وعاد إلى بلاده الأفلاق(٤٢).

وكنتيجة طبيعية لما حدث، أرسل السلطان محمد الفتح رسلا له ليذكره بالتزاماته ومحاولة معرفة أسباب العصيان؛ جاء ذلك بعد أن وجد السلطان عدم جدوى التفاهم مع دراكولا بالحسنى رأى أن يتخلص من هذا السفاح الجبار الغدار بالحيلة والخدعة فأوفد إليه حمزة باشا مع كاتبه يونس بك وحاول حمزة باشا أن يستدرجه وينفرد به في بعض الأماكن الخالية ليغتاله، ولكن دراكولا فطن للمكيدة التي دبرت له فقبض على حمزة باشا ويونس بك وقطع أيديهما وأرجلهما ثم خوزقهما وجعل حمزة باشا على خازوق أكثر طولا وارتفاعا من غيره ليتناسب مع علو مكانته ومنزلته(٤٣)، وتلفظ دراكولا بالعديد من التهديدات والسباب الديني ضد السلطان محمد الفاتح(٤٤).

وقد استحوذ على دراكولا الحنق والغيظ من جراء هذه المحاولة لاغتياله فجدد تحالفه مع المجر ووكده ثم عبر نهر الدانوب مرة أخرى وانتفض على بلغاريا وأحرق المدن والقرى وجعل عالها سافلها وقبض على خمسة وعشرين ألف أسير خوزقهم جميعا وجعلهم حول جثة حمزة باشا وبعث السلطان محمد الفاتح رسلا آخرين إلى دراكولا لمفاوضته فلما مثلوا أمامه أبوا أن يخلعوا عمائمهم تحية له فقال لهم دراكولا: حسنا، سأكفيكم مؤنة هذا العمل إلى الأبد، وأمر بدق عمائمهم على رؤوسهم بالمسامير وماتوا جميعا(٤٥). كان ذلك تحدي صارخ من دراكولا للسلطان محمد الفاتح والدولة العثمانية.

لم يكن للسلطان محمد الفاتح أن يتحمل هذه الإهانة؛ لذا فقد كان ساخطا بحق وقام في الحال بجمع جيش هائل(٤٦)، وقسمه إلى قسمين، زحف أحدهما من طريق البر بقيادة محمود باشا والآخر من طريق البحر تولى قيادته بنفسه، فخرج بسفنه من ميناء القسطنطينية إلى البحر الأسود ثم صعد نهر الدانوب(٤٧) .

وفي ذكر التجهيز للحملة، صدرت أوامره الشريفة السلطانية بالإذن لتجهيز عساكر الروميلي (روملي) والأنادولي (الأناضولي) وبلوكات الينجرية (الإنكشارية) والعزب وأرباب الثمار ورحل من إستانبول وقصد بلاد الأفلاق(٤٨). وكل تلك التجهيزات خلال فصل الشتاء وقد وصل عدد الجيش إلى ما يقرب من ١٥٠ ألف جندي عازمين أمرهم على الانتصار(٤٩).

ولما وصل السلطان محمد الفاتح لبلاد الخائن اللعين إطاعته جميع أهاليها وقدمت إليه بالانقياد والامتثال فرقة بعد أخرى، فلما رأى الكافر أن البلاد دخلت في طاعة السلطان، ولم تكن له قدرة على مقاتلته ولا طاقة على مقابلته، لم يتردد في الهروب(٥٠).

والجدير بالذكر هنا، أن دراكولا عندما سمع بقدوم السلطان محمد بنفسه بعث بأولاده وبنسائه إلى بلاد المجر وتوجه هو بعد أن جمع جيشه إلى الأماكن القاصية والغابات الكثيفة التي يصعب الوصول إليها، وانتظر نتيجة الأحداث، وقام بإرسال جزء من جيشه لمقاتلة أمير البوغدان الطموح الذي كان يطمع أيضا في الاستيلاء

مقالات

على الأفلاق وضمها إلى إمارته، ولم يتلق دراكولا شيئا من المعونة التي كان قد وعده بها ملك المجر(٥١). وهكذا فرض السلطان محمد إرادته السنية على بلاد الأفلاق، ثم قام بتعيين رادوس Rados، شقيق دراكولا، حاكما عاما على الأفلاق، وكان رادوس هذا في معيته ورعايته حتى وضعه حاكما على الولاية(٥٢).

والراجح هنا أن دراكولا قد أصيب بالهلع والجنون عندما علم بكل ما حدث من السلطان محمد الفاتح، وهكذا تخلي دراكولا حاليا عن كل أمل في وضع خاص له، ولم يعد لديه أي احتمال للوجود لفترة أطول في الحكم، لذا قرر أن يقتل أعدائه عن طريق هجوم بائس ومتهور وأراد الهجوم ليلا على معسكر السلطان(٥٣).

وعلى أية حال، فقد قام دراكولا بالهجوم على المعسكر، وهاجم أحد أركان المعسكر بشكل غير منظم وبدون أية خطة، وقام بذبح عدد كبير من الحيوانات والجمل والخيول والبغال، لكنه لم يفلح في الاقتراب من الرجال(٥٤). والجدير بالذكر أن السلطان الفاتح كان على علم بهذا الهجوم الماكر، فنبه عساكره أن يكونوا تلك الليلة متسلحين وإلى العدو منتظرين وأن لا يتحرك أحد من مكانه، وأخبرهم بقصد العدو وحركته فباتت العساكر منتبهين(٥٥)، وأمر السلطان جنوده بالتراجع قليلا كي يسحب العدو أبعد إلى الإمام ويجعله أكثر عرضة للهجوم، ثم منح الجيش إشارة الهجوم العام من جميع الجهات(٥٦)، وكان أول هم دراكولا أن يقتل السلطان نفسه، ويحدث بذلك اضطرابا شديدا في صفوف جنده ويوقع بينهم الفرقة والفوضى وأبصر أمامه خيمة باذخة شامخة فظنها خيمته فهجم عليها بفرسانه، ولكن تبين أنها لم تكن خيمته فاتجهوا إلى أخرى هي خيمة السلطان ولكن حرسه من الانكشارية ردوهم على أعقابهم ولم يستطيعوا النفوذ إلى الخمية وإثارته هذه المحاولة الجريئة من دراكولا الغضب والحمية في نفس العثمانيين فاشتدوا في قتال المغيرين(٥٧)، ولما أصبح الله بخير الصباح خشي دراكولا أن يحاط به وبمن معه من الفرسان فانفلت من المعمعة واختفى كما يختفي الجن ويتلاشي، ولم يستطع قائد الفاتح على بك اللحاق به ولكنه قبض على نحو ألف أسير جاء بهم إلى السلطان فأمر بقتلهم ولما أضاء النهار على معسكر العثمانيين ظهر أن ضحايا هجوم دراكولا من الأغنام والخيول والجمال أكثر من ضحاياه من الجنود(٥٨).

علاوة على ما تقدم، فقد وقع في يد العثمانيين في الليلة الماضية أسير من الأفلاق وجيء به إلى محمود باشا فسأله من أين جاء دراكولا وإلى أين ينسحب فأجاب بأنه يعرف ذلك جيدا، ولكنه لا يستطيع أن يبوح به، وهدده محمود باشا بالقتل إذا أصر على الكتمان فأجاب بأنه مستعد للموت فنفذ فيه محمود باشا تهديده وقتله ولم يكتم إعجابه بهذا الجندي وقال: لو كان لدراكولا جيش ضخم من طراز هذا الرجل لأحرز مجدا عظيما(٥٩).

وفي هذا الصدد، اختبأ دراكولا في مكان معين، ثم تمكن من الهرب إلى البغدان ومنها إلى المجر؛ حيث قام المجريون باعتقاله ووضعه في السجن(٦٠)، ثم سار السلطان بجيشه قاصدا بوخارست(٦١)، وهناك على مسافة قريبة من المدينة وقف فجأة وقد امتلكته الدهشة أمام منظر مفزع لم يملك دفع أثره عن نفسه، فقد شهد أمام فضاء يمتد نحو نصف فرسخ مليء بالخوازيق

نصب عليها عشرون ألف شخص من الأتراك والبلغار وقد تميز من بينها خازوق طويل علا في الجو يحمل في قمته حمزة باشا، وكانت هناك خوازيق أخرى نصبت عليها أمهات وإلى جانبهم أطفالهن وقد افترست النسور أحشاءهم، ولم يملك السلطان أن صاح بقوله: كيف نستولي على بلد من رجل لا يتورع من هذه الأفاعيل، إن شخصا كهذا لا يستحق التقدير(٦٢).

وعلى أية حال وكما ذكرنا من قبل فقد وضع السلطان محمد الفاتح على حكم الأفلاق شقيق دراكولا وهو رادوس، وكساه وتوجه بالاسكوف الذهب وأعطاه الصناجق وكتب له بالاستيلاء على البلاد(٦٣)، كما قام السلطان بتعيين حامية عثمانية لتوطيد الحكم العثماني بها، وألزم الأمير الجديد بدفع خراج (جزية) قدره ١٢ ألف دوقة للخزينة العثمانية(٦٤).

وقد ترتب على ذلك، أن استاء ملك المجر من ضياع الأفلاق من يد حليفة دراكولا ووجودها في يد أعدائه العثمانيين، كما استاء أمير البوغدان الذي كان يطمع في ضم الأفلاق إليه، وقد سنحت له الفرصة فانقض بغتة على رادوس عام ١٤٧٠م وهمه ثم عاد وهزمه مرة أخرى عام ١٤٧٢م، واستولى على عاصمته، ولكن العثمانيين خفوا إلى نصرة رادوس وأعادوه إلى حكم الأفلاق السنة التالية(٦٥).

ومهما كان فإن حكم رادوس لم يطل، فإن العداوة ضد العثمانيين بين المجر والبوغدان وتحالفتا على قتاله واضطرتاه إلى الفرار من الأفلاق ووقع أسيرا في يد استيفان أمير البوغدان وقتله عام ١٤٧٦م، وأعاد ملك المجر دراكولا إلى حكم الأفلاق فعاد إلى سيرته الأولى في التنكيل والتقتيل ونشر الفزع والرعب حتى غافله أحد عبيده فطعنه من ظهره وقضى عليه عام ١٤٧٩م وأراح الناس من هذا المارد الجبار، وقطع رأسه وطيف به في المدن والقرى(٦٦).

ونتيجة لذلك أصبحت بلاد الأفلاق واحدة من ولايات الدولة العثمانية، واستتب لهم الأمر، وعهد السلطان الفاتح حكمها إلى ابن رادوس الذي أخلص الولاء للدولة العثمانية، وكانت الأفلاق هي أكبر مساعد للدولة في حربها ضد المجر في المستقبل(٦٧).

ومما سبق يتضح أن الدولة العثمانية قد خسرت كثيرا من المال والأرواح في سبيل أحكام سيطرتها على بلاد الأفلاق التي هي خطوة للسيطرة على بلاد البلقان (أوروبا الشرقية) لوضعها تحت السيادة العثمانية.

وعند الحديث عن بلاد البغدان (مولدوفيا)، فقد اعترفت تلك البلاد بالتبعية للدولة العثمانية ودفع الجزية بمقدار ألفي ذهبية عام ١٤٥٥م، وذلك بعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م(٦٨)، وكانت هذه الإمارة قد اغتصبها بيير أرون من والد استفان واغتاله، ومحافظة على هذه الإمارة المغصوبة رأى أن يسالم الدولة العثمانية وبولنده فأرسل للسلطان محمد الفاتح لإعلان التبعية مقابل دفع جزية سنوية، غير أنه لم يتمتع بإمارته طويلا فقد وثب عليه استفان واسترد منه الإمارة بمعونة أمير الأفلاق الذي رأى أن يتقوى به ضد العثمانيين، نتيجة لذلك امتنع عن إرسال الجزية السنوية للدولة العثمانية(٦٩).

والجدير بالذكر أن استفان الأكبر تولى إمارة

البغدان منذ عام ١٤٥٦م إلى عام ١٥٠٤م أي على مدى نصف قرن، وكان رجلا جريئا مقداما مسعر حرب بصيرا بفنون القتال وخدعه، كثير التقلب والمخاتلة لا يثبت على الوفاء لأحد، ويصفه المؤرخون بأنه " اخدع وامكر من الشيطان، وقد صالح البولنديين والمجريين والعثمانيين والتتار ثم حاربهم جميعا، وانتصر عليهم في مواقع كثيرة كلا على حدة، وقد رفعته انتصاراته في أعين شعبه وحببته إليه، وكان استيفان يرى الحروب خير وسيلة للمحافظة على حيوية الشعب وشجاعته، ويعد هذا الأمير، في نظر المؤرخين-أعظم أمير رأته البوغدان[٧٠].

ويتضح لنا أن أمير البغدان استفان الرابع قد استغل انشغال الدولة العثمانية بحربها مع البندقية ونابولي والبابوية في البحر والمجر الأرناؤوط في البر، فرفع استفان راية التمرد والعصيان على الدولة العثمانية، بحيث انضم للحلفاء الأوربيين[٧١].

وبدون تردد أصدر السلطان محمد الفاتح الأمر لقائده سليمان باشا الخادم عام ١٤٧٦م للخروج في حملة إلى بلاد البغدان لمقاتلة أميرها استفان، وكان هذا الجيش مجهدا منهك القوي من طول ما عانى من مشاق الحصار والحروب، واجتمعت عليه إلى جانب ذلك قلة الزاد وصبارة البرد وبلاهة القائد، ولعل الفاتح لم يكن على علم بحالة جيشه هذا فتركه يمضي على هذا النحو ليلقى عدوا لدودا شديد البأس واسع الحيلة قوي الشكيمة[٧٢]. ومن الملاحظ أن السلطان محمد الفاتح أمر جيشه بالتحرك نحو البغدان دون مراجعة استعدادات الجيش وتجهيزه، ويعود ذلك إلى شدة الغيظ الذي وقع فيها السلطان الفاتح من تمرد أمير البغدان.

والجدير بالذكر أن استفان الرابع قد انتصر على المجر عام ١٤٦٧م، كما هزم تتار القرم وأسر ابن الخان نفسه وخشيت بولندا بأسه فلما لا يهزم العثمانيين أيضا كما هزم هؤلاء؟ ولما علم استفان بقدوم العثمانيين أخذ يبحث عن حليف له ونتج هذا البحث عن تحالفه مع الحلف الصليبي سالف الذكر؛ حيث انهزم العثمانيون[٧٣].

والشاهد من المصادر أن السلطان محمد الفاتح قد غضب أشد الغضب لما أصاب جيشه في البغدان، وزاد من غضبه أن استفان قد آوي بعد ذلك جماعة من الأسرى الإيطاليين من البنادقة والجنويين، وبعث الأمير البغداني إلى الدول النصرانية يستحثها على إمداده بالمال والمعدات وأوفد رسولا خاصا إلى البابا والبندقية بهذا الغرض، واعتذرت البندقية بأنها لا تستطيع أن تفعل شيئا في الحال، أما البابا فأجاب بأنه قد بعث إليه بقدر عظيم من المال عن طريق ملك المجر، لكن الأخير قد استحوذ عليه واستثار به لنفسه؛ لأنه كان يخاف من زيادة نفوذ استفان وأن يعلو شأنه وتزداد قوته وسطوته فيطغى؛ حيث كان استفان رجلا طموحا، ويكن بذلك خطرا على بلاد المجر أكثر من العثمانيين، أما ملك بولنده فقد اكتفي بأن أرسل وفدا إلى السلطان محمد الفاتح يطلب منه أن لا يتعرض بسوء لأمير تابع له وأن يتفاوض معه فيما يخص بلاد البغدان، سواء في رفع الجزية أو التبعية للدولة العثمانية[٧٤].

وفي ربيع عام ١٤٧٦م سار السلطان محمد الفاتح بعسكر كثير ودخل بلاد البغدان، فتحصن

الأفلاق والبغدان في العصر العثماني

الكفار في جبل منيع، ونـزل السلطان عليهم وقاتل معهم قتالا عظيما، قتل فيه من الجانبين خلق كثير، ثم انتصر المسلمون وغلبوا على الكفار، فهرب استفان في نفر يسير إلى التلال، واستوعب عسكر الإسلام جميع ما في منزله. ثم توغل السلطان في بلاد البغدان، وقتل وسبي الكثير[٧٥].

أما عند تراجع استيفان للمناطق الجبلية، قد انتهج طريقته الأولى في الحرق والتدمير فلم يبق على أخضر ولا يابس ورحل السكان إلى الجبال والشعاب وكل متمنع من الأرض ثم اتخذ له مكمنا في وادي رسبوكي Rasbocni مع جنده بين الأشجار الكثيفة المتلاصقة، ومن ثم يسمي العثمانيون هذا الموضع بحر الشجر "اغاج دكزي" والجدير بالذكر، لولا أن السلطان الفاتح قد أعد لهذه الحملة الزاد الكثيرة والميزة الوفيرة لهلك الجيش ونفقت الخيل جوعا في الأراضي المحروقة[٧٦].

وفي هذا الصدد، مزق العثمانيون الجنود البغدانية، ووقع استفان من فوق ظهر جواده ولم ينج بنفسه إلا بصعوبة وولى هاربا وفر إلى بولنده وترك جنوده طعمه لسيوف العثمانيين تطيح برؤوسهم حتى امتلأت بجثثهم ساحة القتال وعرف فيما بعد ذلك الوادي الآخر الذي كان تحف به الأشجار من كل جانب بالوادي الأبيض؛ وذلك لكثرة ما تكوم وتناثر هناك من عظام الجنود البغدانيين واستولى العثمانيين على غنائم وفيرة، وقد أدى تراكم الجثث إلى توخم المكان وفساد الجو وأخذت الأمـراض تتفشي فازمع السلطان بعد شهرين من دخول البغدان العودة إلى استانبول. وعاد الأمير البغداني بعد ذلك من بولندا ومعه جيش جديد واستعاد به إمارته الخاويه وصـرف بقية عمره في العمل على تأليب الدولة النصرانية على العثمانيين وشن حرب صليبية عليهم، ولكن ذهبت جميع جهوده بغير طائل[٧٧]. سماه البابا في ذلك الوقت شجاع النصرانية وحامي الديانة المسيحية[٧٨].

وتشر الدلائل إلى أن استفان أدرك في آخر عمره أن إمارته لن تثبت في وجه العثمانيين إذا هم عادوا إلى مهاجمة البغدان، وهم لا شك عائدون إلى ذلك ولو بعد حين، فخير لها أن تخضع لهم اختيار قبل أن يفتحوها قهرا فأوصي عند وفاته ابنه أن يتوجه إلى العثمانيين، ويعلن لهم خضوعه ويدفع لهم الجزية بل يقف بجانب الدولة العثمانية في حروبهم الأوروبية[٧٩].

وبعد وفاة السلطان محمد الفاتح عام ١٤٨١م، تولي من بعده السلطان بايزيد الثاني (١٤٨٤١- ١٥١٢م) الذي توجه هو الآخر إلى فتح البلاد الأوروبية وفي عام ١٤٨٤م أغار من ناحية البحر الأسود على بلاد البغدان بسبب تمرد وعصيان حاكمها[٨٠]، وقد حظيت البغدان باهتمام كبير من السلطان بايزيد الثاني لأسباب عدة، منها أن احتلاله لها سوف يطوى على أهمية خاصة في حال اندلاع حرب ثانية مع المجر، علاوة على كونه سيتحكم من خلالها في مصبات نهر الدانوب، وسيتم له إنهاء تهديدات القراصنة الأوربيين الذين يهاجمون السواحل العثمانية، وما فيها من سفن خلال عبورهم إلى البحر الأسود[٨١]. وبعد حملته على البغدان حاول أن يثبت قدرته على الحرب والجهاد ويضاعف من نفوذه، فاستطاع ضم قلعتي كيلي و آق كرمان[٨٢] إلى الأراضي العثمانية[٨٣] استطاع

بذلك العثمانيين إحكام سيطرتهم على طريق التجارة بين البغدان والقرم وحمايتها من أي اعتداء[٨٤].

وفي الصدد نفسه، عاد أمير البغدان وقد حاول استعادة آق كرمان[٨٥]. وقام السلطان العثماني في عام ١٤٨٥م، بعزل مسيح باشا من الصدارة، وتقاعد وأمر بعلي باشا أمير الروميلي[٨٦]، وأمره السلطان بالإغارة عليها، وطرق بلاد الأفلاق وأخذ جملة من عسكره، ودخل بلاد البغدان فلما تسامعت الكفار بقدومه جاءته أكابر البغدان وولاتهم بالطاعة والانقياد، واعتذروا بأنهم لم يكن لهم خبر بما فعله ابن ملك البغدان من المكر والغدر، وأظهروا أنهم أرادوا البطش به فهرب إلى بلاد اللهستان (بولندا)، فعفا عنهم علي باشا وأطلق الغارة على بلاد البغدان، وقتل وأسر منهم كثيرا، وغنم أموالا جليلة، وامتلأت أيدي العساكر من الغنايم وضبط الخمس، واجتمع عنده مال عظيم، وكر راجعا إلى دار السلطنة المحمية استانبول ودخل مؤيدا منصورا[٨٧].

وفي العام التالي ١٤٨٦م، حاول أمير البغدان العودة إلى بلاده من بولندا، لكنه لم يفلح في ذلك، وفي النهاية قام بعقد اتفاق تبعية ارتضى بموجبها دفع خراج قدره أربعة آلاف ذهبية، وتعهد بعدم الخروج على الدولة في أية مواجهة أوروبية[٨٨].

ويتضح بذلك الدور الفعال التي لعبته الدولة طوال تلك الفترة المدججة بالحروب مع ولايتي الأفلاق والبغدان، لضمان تبعيتهما عند خوض الدولة الحروب مع الممالك الأوروبية المتاخمة للبلاد العثمانية.

والراجح هنا، أن البغدان أصبحت إقليما تابعا للدولة العثمانية عام ١٥٠١م[٨٩]. وقد وقعت المجر وبولندا معاهدات سلام مع العثمانيين عام ١٥٠٣م لمدة سبع سنوات وقعها عن المجر ملكها لادسلاس الثاني (١٤٩٠-١٥١٦م)، وجددت هذه المعاهدة عام ١٥١٠م، وبموجب معاهدة ١٥٠٣م، اعترفت المجر وبولنده بتبعية الأفلاق والبغدان للدولة العثمانية[٩٠].

والجدير بالذكر أنه وفي عام ١٤٩٨م تكدر صفو العلاقات العثمانية-البولندية، بسبب إغارة ملك بولندا في العام ذاته على البغدان التابعة للدولة العثمانية، مما أدى إلى نشوب الحرب وشارك في الحرب ما يقرب من ٤٠ ألف من الصاعقة، وانهزم ملك بولندا في الحرب وفر تاركا حمولة ٢٠ ألف عربة من مهمات جيشه[٩١]. ونتيجة لما سبق فقد قطعت الدولة العثمانية وشبه جزيرة القرم الطريق البحري التي كانت تتمتع به بولندا، وأصبحت عائقا أمامها للوصول إلى البحر الأسود أو الاقتراب منه بأي شكل من الأشكال[٩٢]. والشاهد من المصادر، أن الدولة العثمانية نجحت في الإغارة على بولندا بمساعدة أمير البغدان نفسه للحملة الميسرة[٩٣]. الذي كان قد اعترف بالسيادة العثمانية على بلاده من ذي قبل.

وكما ذكرنا من قبل، فقد دخلت البغدان في طاعة الدولة العثمانية بعد أن فقد أمير البغدان السيطرة على قلعتي كيلي وآق كرمان، وأخذ يدفع الجزية أحيانا ويماطل أحيانا أخرى بسبب انشغال الدولة العثمانية بحربها مع إيران ومصر والمجر[٩٤]، على الرغم من تعهد أمير البغدان بعدم التجاوز عن هذه الحدود من بعد ذلك،

وبإرسال الخراج المقرر عليهم مع الرجال الثقات في السنة الأولى، وأن يحضره بنفسه في السنة الثانية ويسلمه إلى الخزانة العامة للدولة، وبينما كانت تراعي هذه الشروط المذكورة في زمن المرحوم السلطان بايزيد الثاني، فإن السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م) لم يكن يهتم كثيرا بناحية البغدان أثر انشغاله كثيرا بفتوح مصر والشام واعتلائه عرش العرب والعجم والروم[٩٥].

وعندما تولى السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م)، تبدل الحال فيما يخص المبلغ الذي يتم تحصيله من البغدان كجزية، فقد طرأت زيادة على هذه الضريبة، واعتبارا من عام ١٥٢٧م صدر الأمر الشريف من السلطان سليمان القانوني بتولي الأمير (بيتروراريش Pertu Rares) إدارة البغدان، وحصل الأمير راريش على تصريح من السلطان سليمان بإدارة البغدان بواسطة أحد رسله[٩٦].

والجدير بالذكر هنا، عندما مر الجيش العثماني متوجها إلى فيينا، أبدى أمير البغدان ترحيبه وعبر عن سروره بهذه الخطوة، وسارع في دفع الجزية المفروضة عليه، وبعد فترة بدأ والي البغدان (راريش) في التحالف سرا مع النمسا[٩٧]. وهذا ما يستغله دائما أمراء الأفلاق والبغدان عند انشغال الدولة العثمانية في حروبها في بعض الجبهات.

وبينما كان السلطان متواجدا في المجر حصل راريش على تصريح من السلطان سليمان ينص على: حرية ممارسة الطقوس الدينية في البغدان، وأن حق انتخاب الحكام يكون مملوكا للنبلاء والشرفاء، إلا أنه في الوقت نفسه فإن الحاكم المنتخب يجب الموافقة عليه من قبل السلطان. كما قررت الدولة العثمانية تشكيل هيئة من النبلاء، على أن ترسل هذه الهيئة كل عام ٤ آلاف قطعة ذهبية كجزية إلى العاصمة إستانبول، إضافة إلى ٤٠ مهرة، و٢٠ مهرا كعلامة على التبعية للدولة العثمانية. ولقد حصل السلطان سليمان بنفسه على الضرائب المقرة من الأمير راريش بينما كان عائدا من فيينا، وفي مقابل ذلك أهداه معطفا من الفرو، وديلي حصان، وقلنسوة، كما سمح له ببناء قصر لنفسه في حي (فنار) الشهير بإستانبول، لكن الأمير راريش بعد مدة من الوقت بدأ يسئ التصرف أمام هذه الإحسانات من السلطان سليمان، وأقدم على ارتكاب بعض الأفعال غير السوية. وفي نهاية الأمر، اضطر السلطان للتحرك بالجيش صوب البغدان لتأديب أميرها[٩٨].

وبعد تمرد الأمير أصر السلطان سليمان أن يتوجه بنفسه صوب البغدان لتأديب أميرها والجدير بالذكر أن السلطان توجه بالحملة دون الإفصاح عن وجهتها فكانت بذلك سرا[٩٩] ويزيد على ذلك أن البولنديين قد أرسلوا للسلطان أكثر من مرة لعزل راريش بسبب علاقته غير الجيدة بهم، وقد جهز السلطان لهذه الحملة بعناية فائقة؛ حيث شارك فيها خان القرم (صاحب كيراي) بقوة قوامها ٢٠٠ ألف رجل[١٠٠]، وأرسل السلطان أوامره عن طريق إرسال الجاوشية إلى أمراء سلسترة ونيقوبوليس وودين، حتى يقيموا جسرا في المكان المعروف باسم ايساقجي وأرسل السعادة بالأحكام المؤكدة إلى كل جهة؛ حيث تم التنبيه والتأكيد على ضرورة جمع الجنود اللذين

شعارهم النصر[101]؛ حيث كان السلطان قد قصد أدرنة بالفعل.

أضف إلى ذلك، فعندما علم أمير البغدان راريش المتمرد بخروج السلطان بنفسه لملاقاته، أرسل سفيرا؛ ليتعهد أمام السلطان برعاية بنود المعاهدة مع العثمانيين، إلا أن رفض أمير البغدان المجيء إلى مركز قيادة الجيش العثماني لتقديم فروض الولاء والطاعة زاد الامر سوءًا[102]، ونتيجة لذلك، نادى السلطان سليمان القانوني في جميع عساكره بالنداء التام والأمر العام بالتحرك صوب البغدان، بعد الاطمئنان من إقامة الجسر على أساسات محكمة جدا، وتم عبور الجسر خلال يوم أو يومين، ونزل السلطان هو وجنوده بالقرب من نهر الطونة و بروت[103] وكان قد كلف الوزير صاحب التدبير داماد[104] لطفي باشا ببناء جسر في ذلك المكان حتى أتم الوزير ما كلف في زمن وجيز، وبدأ العسكر بالمرور ليل نهار للشاطئ الآخر من النهر[105].

وفي وسط تلك التجهيزات أرسل السلطان أمين كفة (سنان جلبي) يحمل خطابا برفقة رسول راريش، وقد أخبره السلطان سليمان في هذا الخطاب أنه إنما خرج في هذه الغزوة إلا بسبب فظاظته وهمجيته، مشيرا إلى أنه ربما يعفو عنه، ويرحمه إذا تاب الأمير عن فعلته، وندم وعزم على عدم تكرارها، واتي إلى إستانبول ومرغ وجهه في البلاط السلطاني، فقبل بشروط السلطان. فذهب سنان جلبي لمقابلة الأمير راريش في مدينة ياش[106]، فبلغه بأوامر السلطان، إلا أنه رأى أن حاكم البغدان قد حشد جنوده لمواجهة السلطان العثماني، فعاد إلى السلطان وأخبره بأن راريش مصمم على مجابهته، مما دفع السلطان للمضي قدما لغزو البغدان[107].

وعلاوة على ما تقدم، أدرك أمير البغدان أنه لن يستطيع الوقوف أمام الجيش العثماني، فآثر الانسحاب إلى مدينة فوكشان برفقة عدد من قواته، واتخذ بعض التدابير الوقائية بها بغية نصب كمين للجيش العثماني، إلا أنه تراجع عن هذه الفكرة لاحقا[108]، وبالفعل كان أمير البغدان قد جمع ٨٠ ألف مقاتل، وقصد الإغارة على العسكر حين مرورهم، فعلم بذلك العثمانيين، فجعلوا عسكر الأفلاق والقرمانيين في مقدمة الجيش، فخاف اللعين أمير البغدان وتغيب من بين عسكره وهرب سرا من طريق سري[109]، وانشغل جنده بإنقاذ أهلهم وأولادهم، وراح كل واحد منهم إلى ناحية وتفرقوا[110].

وتشير الدلائل، أن الجيش العثماني قام بحرق العاصمة الأولى سيجاو والعاصمة الثانية ياش بازاري حيث سويت بالأرض، وكلف السلطان عسكر القرم والأفلاق بتتبع الملعون الذي تمرد وعصى[111].

وفي ذلك الوقت أدرك أمراء البغدان، أنه لا طاقة لهم في مواجهة الجيوش العثمانية، فأرسلوا مفاتيح القلاع للقوات العثمانية، وقاموا بالتسليم[112]، وما إن دخل السلطان سليمان أراضي البغدان، حتى أعطى الأمان لأهلها، وأمر بتوافد الأمراء والأعيان والنبلاء، وقد جاءوا جميعا، وأعربوا عن طاعتهم[113].

وأصدر السلطان الأمر لأمراء البغدان بعقد اجتماع فيما بينهم لاختيار أمير عليهم[114]، وبالفعل فقد أبلغوا السلطان اختيارهم (ستيفان

لاكوستا) أميرا على البغدان، والجدير بالذكر أن السلطان قد وافق على هذا الاختيار؛ حيث كان ستيفان يعيش في معية السلطان منذ زمن طويل[١١٥]، وقام السلطان بالتصديق على أمر تعيين استيفان حاكما على البغدان وأكرمه وأحسن إليه وعين له علوفة (راتب الانكشارية كل ثلاثة شهور) في الديوان، وكساه كسوة الملوك، ووضع على رأسه الاسكوف الذهب، وأعطاه طبلا وعلما وقرره في بلاده[١١٦]، وأصر السلطان سليمان القانوني على ضرورة إحضار الأمير الخراج (الجزية) المحصلة من البغدان بنفسه إلى إستانبول مرة كل عامين[١١٧].

وفي الصدد نفسه، عندما كان السلطان صاحب البرين والبحرين سليمان القانوني في مدينة سجاو أصدر أوامره لحسن أغا رئيس الإسطبل الكبير بالبحث والعثور على هذه الأشياء التي تم إخفائها، وبخاصة خزينة البغدان، فأخرج الأواني الفضية والذهبية المتعددة والصلبان المرصعة والمنمقة والسيوف المرصعة، وأيضا السيوف من نوع الشيش واللؤلؤ المرصع بالذهب وبصفة عامة أخرج أمتعة متعددة ومجوهرات وأقمشة، وكانت هذه الأشياء أكثر من أن تعد أو تُحصى، وقد تمت مصادرة كل هذه الأشياء للخزينة العامرة، وقد وردت الأخبار عن هرب راريش إلى ناحية بودين فقد لاحقه أمير البغدان الجديد لمحاولة القبض عليه[١١٨].

ونتج عن هذه الحملة التي استمرت نحو ٤ أشهر و ٢٠ يوما؛ حيث ضمت الأراضي الواقعة بين نهري دينستروبروت إلى الإدارة العثمانية المباشرة وفصلت عن البغدان، ومنذ ذلك الحين تقرر تخصيص حامية مكونة من ١٠٠٠ سباهي (الفرسان) و ٥٠٠ انكشاري (المشاه) في سجاو بدعوى حراسة الأمير، وألحقت الدولة العثمانية كامل البلاد المنحصرة بين بروت والدينستر إلى (بيسارابيا)، وقلصت حدود البغدان بصورة كبيرة، وكذلك أخذت من إمارة الأفلاق، المناطق المحيطة بمدينة ابرائيل وضمت إلى الإدارة العثمانية المباشرة عام ١٥٤٣م، بذلك تم السيطرة بالكامل على المناطق الحساسة لنهر الطونة (الدانوب)، وأصبحت دوبروجة تابعة مباشرة للإدارة العثمانية، وارتفع عدد سكان باباداغ إلى ١٠٠ ألف نسمة[١١٩].

وكلف السلطان سليمان أيضا أمير البغدان بإنشاء قلعتين وشكلت من المنطقة العازلة بين الطرفين العثماني والبغداني، وهي تضم مدينتي كيلي وآق كرمان الاستراتيجيتين إمارة سنجتمية تحت اسم إمارة كيلي وآق كرمان[١٢٠]. وبعد أن استقر الأمر وزال التمرد والعصيان، عاد السلطان سليمان إلى تخت السلطنة إستانبول العامرة.

وعليه، فقد أحكمت الدولة العثمانية سيطرتها على شمال البحر الأسود؛ حيث استخدمتها الدولة في طرق تجارتها من وإلى إستانبول، ورضخت بذلك بولندا للإدارة العثمانية في طرقها وسيطرتها على البحر الأسود. وعلى ذلك فقد أصبحت الصورة كاملة أمام الدولة العثمانية، ومنذ ذلك الوقت لم تخرج الأفلاق والبغدان عن التبعية للدولة العثمانية حتى نهاية وجود الدولة العثمانية بعد الحرب العثمانية-الروسية الأخيرة عام ١٨٧٨م بخسارة الدولة كل ممتلكاتها في البلقان.

## [٢] الأهمية الاقتصادية:

أدركت الدولة العثمانية ومنذ اللحظة الأولى الأهمية الاقتصادية للأفلاق والبغدان، فكانت حريصة في إحكام السيطرة على الولايتين، وقد سردنا في الصفحات السابقة كيفية وضع الدولة العثمانية يدها عليهما لأسباب سياسية كما ذكرنا واقتصادية وهذا ما سيتم عرضه في الآتي:

كانت علاقة الدولة العثمانية بالأفلاق والبغدان علاقة تبعية، وهذا الوضع لم يخيف أعداء الدولة من النمسا وبولندا؛ حيث كان في اعتقادهم سهولة انتزاع تلك الولايات من الدولة العثمانية بكل سهولة، ودخول روسيا وغيرها من حين لآخر، اللعبة الصعبة الخاصة بادعاءات الوصاية والمطالبة بعرش الولايتين؛ وذلك اعتمادا على تأييد ومساندة إحدى القوى الخارجية والقيام بشن هجمات عسكرية سافرة، غير أن علاقة الولايتين بالدولة هي التبعية كانت تكمن في أن العثمانيون يحصلون على جزية سنوية ومواد غذائية معينة من منتجات الولايتين؛ حيث ترسل مباشرة إلى العاصمة إستانبول[١٢١]. وعند النظر للعلاقة فالجزية تدخل مباشرة للخزانة العامرة، وبموجبها فهي تساهم في الاقتصاد العثماني، أما المواد الغذائية، فهي تساهم في استقرار الأمن الغذائي في إستانبول، بذلك فهي علاقة اقتصادية بحتة في صالح الدولة العثمانية.

وقد أصدرت الدولة العثمانية بعض التشريعات والأنظمة المالية؛ حيث منح السلطان محمد الفاتح تجار البغدان امتيازات تسمح لهم باستعمال السفن التجارية، وكذلك حرية المتاجرة في أدرنة وبورصة وإستانبول، وبذلك سيطر العثمانيون على موانئ البحر الأسود، بسبب أهميتها الاقتصادية أكثر منها سياسية، وبذلك أصبح ساحل البحر الأسود عدا طرابزون خاضعا للسيطرة العثمانية[١٢٢].

وفي السياق ذاته، حافظ أمراء الولايتين على العلاقات الخارجية، فقد نجحوا في استمرار تنظيم التجارة مع جيرانهم بدرجة كبيرة، وبخاصة بولندا، وكان الأمراء حريصين كل الحرص بعد إقرار التبعية للدولة للحفاظ على علاقة الود فيما بينهما[١٢٣].

وعلاوة على ما تقدم، كانت الجزية السنوية التي ترسلها الولايتان لإستانبول أول مظهر من مظاهر التبعية الدائمة، وكانت قيمتها تختلف بين الولايتين حسب الثروة وتتأرجح ارتفاعا وهبوطا؛ حيث كانت الأفلاق تدفع أكثر من البغدان؛ لأنها الأكثر غنى وثروة. وعلى حين يمكن إرجاع الارتفاع في قيمة الجزية إلى التضخم وإلى حاجة الخزانة العامرة المتزايدة للأموال، إلا أن التذبذب الملاحظ في قيمتها أمر غير مقبول منطقيا فالتضخم الكبير الذي حدث بعد عام ١٥٨٤م مثلا أثر على قيمة الآقجة[١٢٤]، ولكن لم يكن يؤثر على الدوقة، ومن هنا فإن الارتفاع المفاجئ في قيمة الجزية لا يمكن إرجاعه إلى التضخم إلا بطريق غير مباشر، ويفسر هذا قيام الحكومة العثمانية لواجهة التزاماتها مضاعفة الجزية على أولئك الذين يدفعون بعملة لم تتأثر بالتضخم، وهي الدوقية؛ وذلك أن معظم دخل الجزية المركزية من أقاليم أوروبا العثمانية كان يأتي بالأقجة التي انخفضت قيمتها بفعل التضخم. كما يمكن تفسير



الأفلاق والبغدان في العصر العثماني

ارتفاع قيمة الجزية المقررة على الإماراتين في عام ١٥٩٣م إذا افترضنا أن القيمة المدفوعة تمثل الجزية الأساسية والضرائب الاستثنائية (العوارض) خلال فترة حرب طويلة مكلفة مع النمسا. وأما انخفاض المبلغ عام ١٦٠١م بالنسبة للأفلاق فمن المحتمل أنه كان يعكس قدرة الأمير في المساومة بشدة مع السلطات العثمانية. وأما المبالغ التي جمعت بعد منتصف القرن ١٧م فقد جاءت نتيجة إعادة تنظيم الإدارة بواسطة الصدر الأعظم كوبريلي[١٢٥].

وكان كوبريلي باشا، الباني الأصل، قوي الشكيمة، وقبل أن يتولى منصب الصدارة اشترط أن يكون مطلق اليد في الضرب على أيدي أصحاب مراكز القوي في الدولة، وبالفعل تولي منصب الصدارة عام ١٦٥٦م، ومن الملاحظ أنه نهض بالدولة نهضة كبيرة، وقام بتطهير الدولة من آفاتها الفتاكة، واستطاع وضع التنظيمات الإدارية المحكمة على الولايات الأوروبية[١٢٦]

**جدول يوضح الجزية التي تدفعها ولايتا الدانوب (الأفلاق-البغدان)**[١٢٧].

| الأفلاق | | البغدان | |
|---|---|---|---|
| السنة | القيمة بالدوقية | السنة | القيمة بالدوقية |
| ١٤١٧ | ٣٠٠٠ | ١٤٥٦ | ٢٠٠٠ |
| ١٥٠٣ | ٨٠٠٠ | ١٤٦٥ | ٣٠٠٠ |
| ١٥٤١ | ١٢٠٠٠ | ١٤٨١ | ٦٠٠٠ |
| ١٥٤٢ | ٢٤٠٠٠ | ١٥٠٣ | ١٠٠٠٠ |
| ١٥٥٩_١٥٥٤ | ٥٠٠٠٠ | ١٥٦١_١٥٥٢ | ٣٠٠٠٠ |
| ١٥٦٧ | ٦٥٠٠٠ تقريبا | ١٥٧٢_١٥٦٨ | ٣٥٠٠٠ |
| ١٥٨٤ | ١٢٥٠٠٠ | ١٥٩٣ | ٦٥٠٠٠ |
| ١٥٩٣ | ١٥٥٠٠٠ | ١٦٢٠ | ٣٨٠٠٠ |
| ١٦٠١ | ٣٢٠٠٠ | ١٦٥٣_١٦٣٤ | ٢٥٠٠٠ |
| ١٦٣٢ | ١٣٠٠٠٠ | ١٦٩٣_١٦٨٥ | ٢٦٠٠٠ |
| ملاحظات | لم تتغير المبالغ كما هي حتى بدولة حكم الفناريوتيين | وقد ارتفع المبلغ إلى ٤٢٠٠٠ قبيل عصر حكم الفناريوتيين | |

ومن الملاحظ في الجدول السابق أن الجزية في الولايتين قد زادت بصفة مستمرة، بوصف آخر أن الجزية تزيد سنويا، إلا في عام ١٦٠١م و١٦٣٢م قد قلت المبالغ المحصلة من الأفلاق، فالراجح أن أميرها كان كثير المماطلة مع الإدارة العثمانية في دفع الجزية السنوية، وهذا ما ينطبق أيضا على البغدان في عام ١٦٢٠م.

أضف إلى ذلك، فبجانب ضريبة التبعية المتفق عليها كانت ولايتا الدانوب تدفعان مبالغ أخرى أطلق عليها السكان المحليون اسم (البشكوشوريل) بمعني الهدايا، وهي عبارة عن هدية تدفع للسلاطين العثمانيين عند اعتلائهم العرش (هدية العرش الجديد)، ويدفعه الأمراء في الولايتين عند تولي حكم الإمارة، وأول إشارة لهدية من هذا النوع كانت تلك التي دفعها بترو راريش عندما أصبح أميرا على البغدان في عهد السلطان سليمان القانوني، وكانت عبارة عن ١٢ ألف دوقية مع هدايا أخرى. ولكن فيما بعد ونظرا لانتشار الفساد بعد وفاة الصدر الأعظم صوقوللو محمد باشا[١٢٨] لم يعد الأمر يقتصر على هدية السلطان، بل كان لابد من مراضاة عدد كبير جدا من موظفي الدولة في الولايتين بالهدايا. والجدير بالذكر أنه وبعد فترة اعتبر الأمراء والنبلاء أن البشكوشوريل ضريبة عادية، وهي ضريبة كانت أثقل بكثير من الجزية السنوية إذ بلغ معدل هذه الهدايا ٦٥٠ ألف دوقية سنويا بين عامي (١٥٨١-١٥٩٠م)، وفي السنوات التالية لم تكن قيمة الهدايا كبيرة لكنها ظلت قائمة من حيث المبدأ وعلى هذه الوتيرة[١٢٩].

وتشير الدلائل، أن سجلات المدفوعات في هاتين الولايتين لا تتضمن المبالغ الإضافية التي كانت تصرف بشكل غير رسمي على الهدايا في إستانبول. فقد كان القبوكخيا وهو مندوب رسمي لدى الحكومة المركزية لمباشرة مصالح سيده الأمير يدفع هو الآخر مبالغ ضخمة ليتلوى وظيفته مثلما يفعل الوكلاء غير الرسميين للعناصر الطموحة التي تتطلع لمنصب الإمارة. وعلى هذا يجب إضافة قيمة تلك الهدايا والرشاوي إلى قائمة المدفوعات التي تصل إلى خزينة الدولة في إستانبول. وعندما يفكر المرء في تنوع الأموال المدفوعة نقدا وعينا لا يملك إلا الدهشة والإعجاب للثراء الذي كانت عليه ولايتا الدانوب، والجهد الذي كان يبذله الفلاحون والذي نتج عنه ليس فقط تدعيم ومساعدة الأمراء الحكام المحليين وكذا الكنائس، بل وإمكانية إنتاج هذا (الفائض القابل للتصدير)[١٣٠]. وهذا ساعد على تطوير التجارة الخارجية بينهما وبين الدول المجاورة.

والراجح هنا أن أفضل مثال للضغط العثماني على الولايتين يتضح في زيادة مدفوعات البشكوشوريل بشكل منتظم، حيث بلغت ٦٥٠ ألف أقجة عندما استأنف زربان كنتاكوزيني حكمه. هذا فضلا عن أعباء إضافية من نوع الابتزاز فرضت على الحاكم الذي (تطول مدة حكمه) في الإمارة، ومن هؤلاء كان أمير الأفلاق قسطنطين برنكوفينو، وقد قضى حياته يشاهد إعدام أفراد عائلته قبل أن يشنق هو نفسه في إستانبول[١٣١]، ومما سبق يتضح أن هذه الأعباء المالية التي مُنيت بها الولايتان، كانت تثقل اقتصادها مع أن ضريبة التبعية كانت تساهم بشكل كبير في الاقتصاد العثماني، وزاد على ذلك الضريبة الإضافية البشكوشوريل (الهدايا) التي كانت في

صالح الدولة العثمانية في نفس الوقت.

ومن جهة أخرى، فلابد من الحديث عن توفير السلع الغذائية من الولايتين إلى إستانبول والجدير بالذكر أن معظم سكان الولايتين كانوا يميلون إلى الحركة والتنقل؛ حيث كانت أعمالهم النموذجية هي الرعي وتربية الخيول وتنظيم خدمات النقل للتجار، كما قامت الدولة بمنح زعماؤهم تيمارات (مزارع) ضخمة وسمح لهم بحمل السلاح حتى يتسنى لهم الحرب بجوار جيوش الدولة العثمانية(١٣٢). وذلك لمساعدة الدولة في حروبها في البلقان.

أضف إلى ذلك، أن العثمانيين قد أحكموا السيطرة على طرق التجارة وموانئ البحر الأسود، وبخاصة السواحل التي تطل عليها ولايتا الأفلاق والبغدان، التي كانت تحمل أهمية بالغة بالنسبة لاحتياجات العاصمة إستانبول من مأكل ومشرب وخلافه، وأحكام السيطرة على منطقة البحر الأسود بأكملها(١٣٣).

وفي الصدد نفسه، في القرن ١٦م كان سوق الطعام في إستانبول، في حاجة إلى المزيد، واستجابت طبقة البويار(١٣٤) ورؤساء القبائل في هذه المناطق، لطلبات هذه السوق الشرهة، فراحوا يضغطون على أتباعهم غير الأرقاء ليستخدموهم استخدام الرقيق في رعي الماشية وممارسة الزراعة، وكان هذا هو الوضع في الولايتين، وكانت علاقتهم بالعثمانيين وثيقة، بل وأكثر ودا وصداقة من علاقاتهم بسائر شعوب البلقان، وذلك نتيجة التفاهم المشترك، إذ كان الشعبان العثماني و(الأفلاقي والبغداني)، كلاهما في الأصل من الشعوب البدوية، ولما كان الأفلاق والبغدان هم المنتجون الرئيسيون للخيول بالبلقان والمتاجرون فيها، فقد احتلوا مكانة كبيرة كموردي خيول للجيوش العثمانية، وفي مقابل خدماتهم هذه يسر لهم العثمانيون احتكار وشغل بعض الوظائف والمناصب الهامشية، كحراس للموظفين العثمانيين، ومرشدين وادلاء ومرافقين للقوافل التجارية(١٣٥).

من الملاحظ أنه قد تبدل الحال خلال النصف الثاني من القرن ١٦م بالنسبة للفلاحين، فأصبحت سيئة للغاية ومستوى معيشتهم في إنحدار عام، وبخاصة بعد أن توقف المد العثماني نحو أوروبا، لذلك قلت الغنائم والأسلاب، فبدأ السباهيون بزيادة فرض الضرائب، وقد نجح هؤلاء السباهيون في تجاوز القانون؛ حيث قاموا بتوريث الأرض، وعلى أثر ذلك قام الفلاحون بسلسلة من الثورات ومن أمثلة هذه الثورات، ما قام به الفلاحون حول منطقة مايوفو وبريلب من اضطرابات في الفترة من (١٥٦٤-١٥٦٥م)، ولم تكن هذه هي الثورة الوحيدة بلا شك، وبالفعل فقد ساءت أحوال الفلاحين وبخاصة في القرن ١٦م(١٣٦).

ويزيد على ذلك؛ حيث عانى الفلاح كثيرا بسبب استمرار إرسال المنتجات الزراعية بأسعار محددة إلى إستانبول؛ حيث كان يعني ذلك زيادة أموال البويار، وزيادة أيام السخرة للفلاح للعمل في أراضي البويار، فقد ارتفع عدد الأيام من ٣٥ يوما إلى ٤٠ يوما كل عام، وإصدار بعد القرارات لزيادة عدد تلك الأيام بإضافة خمسة أيام عمل أخرى، بجانب الأعمال الإضافية مثل إصلاح السدود وأعمال الري، وفي النهاية زاد دخل البويار زيادة ملحوظة، ونزل الفلاح في

الأفلاق والبغدان إلى مرتبة القرن (العبيد)[١٣٧].

والشاهد من المصادر، أنه يمكن تحديد قيمة المدفوعات العينية إذا تتبعنا الضريبة المحددة على الصادرات التي كانت ترسل إلى إستانبول، في القرن ١٧م فقد كانت ولاية الأفلاق تحوز على أهمية خاصة بالنسبة للاقتصاد العثماني؛ حيث كان أمراء الأفلاق يرسلون كل عام ١٦٠ ألف كيلة شعير لحيوانات القصر. و٢٠ ألف خروف لمطبخ القصر، وأيضا العسل وشمع العسل، والملح، علاوة على ما كانوا يقدمونه للسلاطين أيضا من الجياد العريقة، وطيور الصيد وكلاب الصيد وغيرها، وللجيش من عربات المدافع والحيوانات اللازمة لشد هذه العربات كالجاموس البري والأخشاب. وقد بلغ خراج ولاية الأفلاق السنوي للخزينة العثمانية، خلال القرن ١٧م، ٢٦٠ حمل أي حوالي ٢٦ مليون أقجة، وكان يبلغ في القرن الماضي (١٦م) ١٠ مليون أقجة فقط، ويلاحظ أن هذه الزيادة كانت نتيجة لفقدان الأقجة الفضية لقيمتها، وأيضا لتنافس أمراء الأفلاق على نيل رتبة الويودا (الحاكم)[١٣٨].

وفي السياق ذاته، كانت ولاية البغدان تدفع خراجها إما للخزينة العثمانية مباشرة أو لخانية القرم، وكان خانات القرم يقدمون عادة المساعدات العسكرية للبغدان لمواجهة بولندا وروسيا وعندئذ، كان الخراج الذي تدفعه البغدان يضاعف، أما الخراج الذي كان يدفع للخزينة العثمانية مباشرة، فقد بلغ خلال القرن ١٧م، ٧٠ حملا أي ٧ ملايين أقجة تقريبا[١٣٩].

والجدير بالذكر، أن الأفلاق قد أرسلت في منتصف القرن ١٧م إلى العاصمة إستانبول حوالي ٤٢ ألف رطل عسل، و٢٥ ألف رطل حبوب سنويا، على حين كانت البغدان ترسل ٢٨ ألف رطل عسل ومثلها من الحبوب، وجلود ٦٠٠ ثور، و٦٠٠ وزنة من الشحم لصناعة الشموع، ٥٠٠-٦٠٠ قطعة قماش لصناعة ملابس العبيد الذين يعملون على السفن، ٢٨٠٠ -٣٣٠٠ رطل حبوب إضافية لإطعام عمال الترسانات البحرية. ويجب أن نضع في الاعتبار أيضا أنه كان على هاتين الولايتين إمداد الحاميات العسكرية العثمانية المعسكرة على أرضها بما تحتاجه، وهكذا نجد أن الالتزامات التي كانت ملقاة على عاتق الولايتين بما فيها مختلف الهدايا كانت تصل إلى مبالغ كبيرة وتمثل في الوقت نفسه استنزافا اقتصاديا حقيقيا. ورغم أن أميري الأفلاق والبغدان كانا من الناحية الرسمية مسئولان عن جمع الأموال والبضائع التي ترسل إلى إستانبول، إلا أنهما كانا يعتمدان بشكل كبير على النبلاء أو على من يوالونهم لجمع المطلوب من الفلاحين.

ويمكن إرجاع النمو السريع لسلطة البويار إلى هذه الحقيقة وحدها، ولو أن ضعف الحكام وقصر مدة ولايتهم بشكل سريع عجل بنمو سلطة البويار المحليين[١٤٠].

وقد أشار نفر من المؤرخين أنه وفي القرن ١٧م كانت إيرادات الولايتين سنويا تبلغ ٦٠٠٠٠٠-٨٠٠٠٠٠ دوقية، يذهب ثلثها إلى إستانبول، ويصرف الأميران منها ١٠٠ ألف على نفقات القصور وعلى القوات المرتزقة، ويبقي لها ١٠٠ ألف أخرى، وبسبب هذه الأموال الكبيرة تصارع البويار فيما بينهم للفوز بمنصب الحاكم، وكانت تستمر فترة حكمه كلما زادت

الأفلاق والبغدان في العصر العثماني

الاستفادة للدولة العثمانية[١٤١].

ولتنظيم تلك العلاقة بين الدولة العثمانية والولايتين، فكان عليهم أن يتأكدوا أن إستانبول يصلها ما تحتاجه من الضروريات بسعر معقول، وأن هذا العطاء لم يؤثر على الإنتاج الزراعي والحرفي والتجارة في الأقاليم الواهبة. أما المشكلة الكبرى الحقيقية فكانت تتلخص في أن أسعار السوق في الأقاليم كانت غالبا أعلى من القوة الشرائية في أسواق إستانبول خاصة وأن إستانبول كانت تزدحم بالفقراء. ومن هنا نظمت الفرمانات السلطانية نوع وكمية وثمن المواد التموينية وفي الوقت نفسه ومن أجل الإبقاء على اقتصاد الأقاليم متماسكا وحيويا، قامت الحكومة العثمانية بإعفاء الأقاليم التي تقوم بتوريد ما تطلبه إستانبول من ضرائب معينة في محاولة لإيجاد توازن بين التكاليف والدخول وثمة عناصر معينة كانت تقوم بعملية شراء المشتريات المطلوبة لإستانبول ترسلها الحكومة المركزية في العاصمة مزودين بتعليمات محددة. وبعض هذه العناصر كانت ممن يقيمون بالأقاليم نفسها. وكانت هذه العملية تتم من وراء ظهور حكام الولايتين، ومن ثم فقد كان نشاطها في ولايتي الدانوب (غير شرعي) طبقا لاتفاقيات التبعية، ومع هذا فمن المفيد أن تعرض نشاطهم في السياق العام لتاريخ ولايتي الدانوب. ولابد أن نتذكر أنهم كانوا يزاولون نشاطهم في كل ولايات أوروبا العثمانية وبصفة خاصة في روميلي وفي بلغاريا وتراقيا وسنجقيات مقدونيا[١٤٢].

والراجح هنا أن مشتريات الطعام الإجبارية وبخاصة من الحبوب والأغنام والبقر تتم تحت أسماء مختلفة وهي: الاستيراد والمبايعة، والمقايسة. والناس الذين يكلفون بشراء كميات محددة من المواشي بأسعار محددة غالبا ضد رغبتهم، كانوا يعرون ببائعي المواشي أما الذين يكلفون بتربية بعض المواشي لإرسالها إلى إستانبول فكانوا يعرفون بموردي المواشي (جلبكاشان).

ورغم أن عملية تسليم هذه الموارد التموينية المطلوبة لإستانبول كانت معفاة من رسوم الطريق عند النقل ومن رسوم المراعي خلال مراحل تربية المواشي، إلا أن بائعي المواشي عادة ما يلجأون إلى الغش التجاري. وتذكر بعض الفرمانات الصادرة في عهد السلطان سليمان القانوني في الأعوام ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦٦م أنه على الولايتين تسليم من ٨٠ ألف إلى ١٠٠ ألف كيلة شعير لزوم الاصطبلات السلطانية وحدها بسعر ٦-١٠ أقجة للكيلة الواحدة[١٤٣].

ويتضح بذلك الأهمية الاقتصادية التي كانت تتمتع بها الأفلاق والبغدان في التاريخ العثماني من ناحية، ومن ناحية أخري كانت، فكان بذلك عبئاً على الولايتين، وفي صالح الخزانة العامرة للدولة العثمانية والاقتصاد العام لها؛ لذلك حافظت الدولة على نظام التبعية التي كانت تفرضه على الولايتين طوال فترة حكم الدولة لها.

## [٤] التنظيم الإداري:

جاهد العثمانيون كثيرا لإحكام سيطرتهم والاستقرار أمورهم في ولايتي الأفلاق والبغدان وعند بلوغ الأمر قرر العثمانيون الاعتماد على الأمراء المحليين من النبلاء والبويار أصحاب

المقام العالي في تلك الولايات البلقانية.

أحكم العثمانيون سيطرتهم على كل الولايات التي قبلت دفع الجزية كأتباع لهم، وقد شملت علاقة التبعية هذه جهات كثيرة في أوربا بما فيها أسرة الهامسبورج في عهد فرديناند الأول (١٥٢٦ – ١٥٦٤م) الذي فعل ذلك في عام ١٥٣٣م ليشتري السلام من العثمانيين في عهد السلطان سليمان القانوني، ولو أن تبعيته كانت شكلية شأن ترانسلفانيا التي عولت كثيرا على النيات الطيبة للعثمانيين أكثر من فيينا وذلك على عكس إماراتي الدانوب (الأفلاق والبغدان) اللتين كانتا تابعتين بالمعنى القانوني المحدد للكلمة مع تمتعهما بدرجة من الحرية والاستقلال مكناها من اكتشاف طرق للنمو والتطور بعيدا عن العثمانيين[١٤٤].

والجدير بالذكر أن الإدارة العثمانية كانت تمارس نفوذًا مباشرًا بدرجة كبيرة على شعوب البلقان، إلا أن الجاليات المسيحية وغيرها كانت تتمتع بدرجة كبيرة من الحكم الذاتي من خلال الكنيسة والحكومة المحلية التي اعترف به العثمانيون، ولما كان العثمانيون يعتبرون أنفسهم مسلمين في المقام الأول، فقد كانوا يفضلون تنظيم دولتهم على أساس المعتقد الديني لرعاياهم، وكان بإمكان أي فرد، من الرعايا أن يلحق بركب الإدارة والحكم، أو يتولى العديد من الوظائف الإدارية أو العسكرية متى كان مسلما، ورغم أنه لم تبذل جهود حقيقية من قبل العثمانيين لتحويل شعوب البلقان إلى الإسلام أو تحويلهم عن عقائدهم، مع أن الإسلام انتشر في مناطق معينة وخاصة في البوسنة والهرسك وجزيرة كريت وألبانيا، لكن لم يطل ذلك الانتشار ولايتي الدانوب الأفلاق والبغدان[١٤٥].

ومن الملاحظ هنا، وفي بداية تبعية الأفلاق والبغدان للدولة العثمانية كان الأمراء المحليون لا يترددون في انتهاز كل فرصة للتصرف باستقلالية عن سادتهم لاستعادة استقلالهم، وكان من بين هؤلاء الأمراء هو دراكولا، وما نسب إليه من قسوة، فلم يتركه السلطان محمد الفاتح إلا بعد إسقاط حكمه، وإعادة السيطرة على الولاية مرة أخرى[١٤٦].

وعلى نحو آخر، فكان لنظام الملة الذي وضعته الدولة العثمانية لرعاياها في البلقان، كثيرا من السيطرة على شؤونهم الخاصة على المستوي المحلي، وقد تمتع الفلاحين بدرجة من الخصوصية الذاتية تحت حكم نبلائهم الذين كانوا يعرفون باسم البويار في الأفلاق والبغدان، وكان يتم اختيارهم عن طريق ثروتهم من الزراعة والتجارة أو جمع الجزية، وكانوا ينوبون عن قراهم في دفع الجزية وجمع الضرائب والمحافظة على القانون والنظام[١٤٧].

وفي السياق ذاته؛ حيث كان الفلاحين يتحولون إلى أقنان (عبيد) الأرض لدي البويار، وتم استغلالهم أكبر استغلال في أعمال السخرة وتكوين جيش من الفلاحين؛ حيث ارتبطت حريتهم بالخدمة العسكرية، لكن هذا الجيش لم يصمد كثيرا أمام الجيوش العثمانية النظامية؛ حيث ألحق العثمانيون بهم هزيمة ساحقة، وكثيرا ما لجأ جيش الفلاحين في الأفلاق والبغدان وبخاصة بعد الهزائم المتتالية إلى حرق الأراضي الزراعية عمدا، تاركين الأرض من خلفهم خرابا يبابا، مستغلين حلول فصل الشتاء وأسهموا بذلك

في معاناة الجيش العثماني سواء في المعارك أو عند العودة والانسحاب(١٤٨).

وتشير الدلائل أن الحكام المحليين في ولايتي الدانوب حكموا حكما مطلقا من الناحية النظرية، رغم أنه كان ينتخب (رسميا) بواسطة جماعة النبلاء ورجال الدين، وتوافق عليه الأهالي المقيمة بمكان الانتخاب، بل ويحكم من خلال مجلس استشاري يتكون من كبار الشخصيات في البلدة وأبناء عائلات النبلاء المرموقة. وكان الانخراط في صفوف هيئة النبلاء مقتصرًا على الأمراء وهم فقط الذين كان بإمكانهم منح الأرض إلى الجشعين والكنيسة، ومن الملاحظ أن عددا قليلا فقط من الحكام كان بمقدورهم الاحتفاظ بالعرش أطول مدة ممكنة؛ ذلك لأن وراثة العرش لم تكن أمرا منظما أبدا فضلا عن كثرة الانقلابات داخل القصور في الأفلاق والبغدان.

وكان على الشخص الذي يريد السلطة أن يشتري الأصدقاء، في الوقت الذي زادت فيه أعداد الفلاحين الأقنان الذين يعملون في أراضي النبلاء وأراضي الكنيسة، وتناقص عدد الفلاحين الأحرار بسرعة ملحوظة(١٤٩). ويعود ذلك إلى استغلال هؤلاء الفلاحين وقت الترشح للانتخابات، فقد كان لهم بعض الحقوق، فهم ليسوا عبيد بمعنى الكلمة.

استغل العثمانيين هذا الوضع القائم في جمع الضرائب، فالرعايا المسيحيون الذين لم يكونوا يمارسون واجبات عسكرية أو إدارية هامة، كان عليهم أن يدفعوا بالإضافة للضريبة الشاملة على الأرض، ضريبة رأس، وكانت تسمى الخراج (الجزية)، فليست في كل الأحوال، كان وصول العثمانيين، يمثل تخفيفا للأعباء التي كان يضعها الإقطاعيون الأوروبيون على كاهل الفلاحين، ففي بعض أنحاء البلقان، كان بعض أفراد الطبقة العليا (الأمراء والنبلاء) من أهل البلاد يقدمون لأنفسهم مكانا ودورا جديدا في النظام الإداري العثماني، لهذا فإن طرق الحكم والإدارة في الكثير من المناطق الريفية، ظلت كما كانت عليه قبل وصول العثمانيين بوضعها التقليدي الذي يتسم بالظلم والتعسف(١٥٠). وهذا ما تم تطبيقه من قبل الإدارة العثمانية على الأفلاق والبغدان.

واختلفت الإدارة العثمانية في فرض الضرائب داخل الأراضي الرعوية والريفية الزراعية؛ حيث انتشر هذا الاتجاه في كل أنحاء البلقان وولايتي الدانوب بسبب نظام الضرائب العثماني الذي يثقل على الأراضي الزراعية، وتخف وطأته على المناطق الرعوية، مما شجع ملاك الأراضي على تحويل أراضيهم الزراعية إلى مراع بطرد الفلاحين واقتناء الأغنام والخيول، وقد ازدهار حياة البداوة والرعي على هذا النحو، مما جعلهم رعاة رحل في أوطانهم في الأفلاق والبغدان(١٥١).

وفي الصدد نفسه، كان معظم دخل الولايتين، وكذا طبقة النبلاء يأتي من ضريبة العشر، غير أن قدرة الفلاحين على توفير العشر أصبح صعبا مع مرور الأيام بسبب التضخيم الذي صاحب الثروة العثمانية، وبسبب زيادة الجزية التي يدفعها الأمراء التابعين للسلطان واللذين اضطروا لتوفيرها، أن يزيدوا من حجم الالتزامات المفروضة على الفلاحين، ومع ذلك فثمة شرائح وطبقات معينة تلي الأمير في السلم الاجتماعي، انتعشت في فترة النفوذ العثماني

مقالات

حتى لقد كانت الوظائف الكبرى والمجالس تعرف بالاسم الشرقي لها (أي العثماني) وليس الاسم المحلي. ومن هذه الشرائح: رجال الكنيسة، والنبلاء، وبعض شرائح الفلاحين وأضيفت لها مؤخرا طبقة من التجار[١٥٢].

والراجح هنا، أن الدولة العثمانية كانت تحقق الاستقرار الداخلي في الولايتين، عن طريق الحكم الطويل نسبيا للأمراء رغم النمو السريع لسلطة النبلاء، إذ علم أمراء الولايتين على تركيز جهدهما في الأمور الداخلية، ويعود ذلك لتشجيع العثمانيين لأمراء الولايتين عن طريق دفع الرشوة والهدايا، مع كبح جماح النفوذ المتنامي للنبلاء في الأفلاق والبغدان[١٥٣].

علاوة على ما تقدم، فوجود حاكم قوي في الولايتين بسبب موقف العثمانيين تجاههما، فطالما أن هاتين الولايتين لا تتورطان في الشئون الخارجية إلى درجة تهديد السياسة العثمانية، وطالما أنهما يدفعان ما عليهما من ضرائب والتزامات وفي أمان، كانت إستانبول لا تهتم إلا قليلا نسبيا لما يحدث في الأفلاق والبغدان، ولقد أصبحت تلك الالتزامات المفروضة أكثر عبئا وتكلفة في القرن ١٧م عما كانت عليه في القرن ١٦م، وهي حقيقة تتصل بالتدهور السريع لوضع الفلاحين في الأفلاق والبغدان، وبالظهور السريع لطبقة البويار، وما أظهر قوتهم وقدرتهم في الإدارة طوال القرن ١٧م في ولايتي الدانوب[١٥٤].

كان البويار (كبار ملاك الأرض الزراعية) هم الطبقة التي سيطرت وسادت طوال القرن ١٧م كله تقريبا، وعند النظر لقصة صعود البويار إلى قمة السلطة وتوليهم أمور الحكم، وهي قصة مألوفة ومتكررة يعرفها كل درس سيطرت النبلاء في أي دولة أوروبية، والحقيقة أن سيطرة هؤلاء البويار إلى زيادة عددهم في المقام الأول بحيث جعلوا من أنفسهم سادة على أراضي الولايتين، وحينذاك حولوا معظم الفلاحين الأحرار إلى تابعين، ولما كانت قوتهم في ازدياد، فقد ازدادت مختلف طلباتهم من السلع والخدمات الأمر الذى أدى إلى هبوط طبقة الفلاحين إلى مستوي القنية[١٥٥].

وعلى أية حال، فلم يقتصر الأمر على تفوق البويار نبلاء الأرض الزراعية فقط بل أن أرباب الصناعة والتجارة والأغنياء الذين لم تكن لهم ألقابا محلية، أصبحوا في مرتبة اجتماعية أعلى من الشريحة الدنيا من النبلاء، كما أصبحت بعض العائلات الكبيرة منهم أكثر قوة من الأمراء الحكام، بل لقد اعتلت بعض هذه العائلات عرش الولايتين واحتكرت الوظائف المهمة، وأصبح أفرادها هم الموجهين الحقيقيين لسياسة الولايتين الأفلاق والبغدان، على حين أن النبلاء الأقل قوة شغلوا الوظائف الأقل أهمية وكان من الطبيعي والحال كذلك أن يعمل النبلاء ورجال الدين على التنصل من دفع التزاماتهم الضريبية وتقديم خدمات أخرى تلقى على عاتق فلاحيهم، وقد نتج عن هذا في النهاية تدمير الأرض الزراعية[١٥٦].

وقد وصل نفوذ البويار إلى أن قاموا في الولايتين، وبخاصة في نهاية القرن ١٧م ومطلع القرن ١٨م، بإرغام الأمراء الحكام على منحهم أراضي المدن ومنشأتها ملكية تامة، وما أن اشرف القرن ١٨م على نهايته حتى أخذ النبلاء ورجالهم حق تشييد مدنا يملكونها ملكية تامة، وأصبح

الأفلاق والبغدان في العصر العثماني

من حقهم الاستيلاء على إيراداتها، والشاهد من المصادر أن النبلاء ورهبان الأديرة اعتبروا تلك المدن ممتلكات خاصة لهم كالأرض، ومن ثم علموا على ابتزاز الفلاحين بأداء الخدمات والقيام بما يطلب من واجبات ومهام ورغم محاولات رفع هذه الضغوط عن المدن، إلا أنها نمت و تطورت واحتفظ أصحابها ببعض حقوقهم وامتيازاتهم، وما أن أتى القرن ١٩م حتى وصلوا إلى وضع التسلط والسيطرة(١٥٧). وعند النظر لوضع الفلاحين في الولايتين خلال القرن ١٧م، كانت حقبة قاتمة أو فترة مأساوية(١٥٨)؛ حيث تعرض الفلاحين إلى أعمال السخرة، وقد امتلك الفلاح في الأفلاق والبغدان حسب مقتضى الحال منزلة وحديقته ولكن كان عليه أن يتنازل عن نسبة ١٠ ٪ - ٥٠ ٪ من محصول الأرض التي يزرعها، وكان يخضع أيضا لالتزامات لا حصر لها، عينية أو سخرة، وتضاف بطبيعة الحال إلى الضرائب المفروضة على الولايتين من قبل الحكومة العثمانية(١٥٩).

وتشير الدلائل، أن قرى البلقان معروفة بأنها مجتمعات فلاحية وريفية بدائية فإن المدن كانت مقرا للسلطات الإدارية والعسكرية ومراكز تجارية وحرفية، وكانت المدن الكبيرة تقع على الطرق الرئيسية المؤدية إلى أوروبا؛ حيث توفر ما تحتاجه الحرب والتجارة حسب مقتضي الحال وأهمها ما يقع على طريق إستانبول – ادريانوبل – بلوفديف – صوفيا – نيش – بلجراد، كما كانت موانئ فارنا وتسالونيكا على البحر، وفيدين وروزية على النهر تمثل أهمية موازية لأهمية تلك المدن، كما كانت بعض المدن مثل سراييفو وساموكوف مراكز إدارية كبرى. ويلاحظ أن المنشآت العامة العثمانية كانت من الحجر عادة وتعطي المظهر العام النمطي للمدن البلقانية مثل المساجد بمآذنها والخانات والنافورات والحمامات والأسواق المسقوفة، وكذلك القناطر والمقابر والقلاع، وعلى العسكر كانت المباني المسيحية بسيطة ومتواضعة بالضرورة إذ فرضت قيود عثمانية على الشكل المعماري للكنيسة وكذا بيوت المسيحيين(١٦٠).

ومهما يكون من أمر، فعند نهاية القرن ١٧م كان البويار قد انقسموا إلى ثلاث مجموعات: مجموعة كانت تفضل استمرار الروابط مع العثمانيين، ومجموعة من أتباع روسيا، ومجموعة ثالثة من أنصار النمسا. وفي البغدان كانت هناك عناصر تناصر البولنديين(١٦١)، تأزم بذلك الوضع القائم وعلاقة التبعية بين البويار والدولة العثمانية، ونتيجة لذلك قرر العثمانيين الاستغناء عن طبقة البويار والاستعانة بفئة جديدة في حكم الأفلاق والبغدان مع بداية القرن ١٨م.

ومنذ إعلان تبعية الولايتين للدولة العثمانية، أصبح البويار على قمة السلطة وتولى أمور الحكم. خلال القرنين (١٦، ١٧م)، والحقيقة أن سيطرة هؤلاء النبلاء البويار ترجع إلى زيادة عددهم في المقام الأول بحيث جعلوا من أنفسهم سادة على أراضي الولايتين، ونتيجة لذلك حولوا معظم الفلاحين الأحرار إلى أقنان تابعين، مع ذلك أنهم قاموا بتوفير الإنتاج الزراعي الخارج من الأرض وإرساله إلى إستانبول معلنين بذلك فروض الولاء والطاعة والتبعية للدولة العثمانية(١٦٢).

ظل وضع البويار مستقرا في حكمهم للأفلاق

والبغدان حتى أواخر القرن ١٧م، وبدأت بذلك في الانهيار بعد زيادة نفوذ اليونانيين ولغتهم وتعرفهم على الأوضاع الثقافية في الأفلاق والبغدان، إذ كان للنفوذ اليوناني دورا في المناخ الثقافي في الولايتين، فكان بذلك أساسا لمجمل التطورات التي وقعت هناك في القرن ١٨م، بزيادة نفوذهم(١٦٣).

ولا نزاع في أن نفوذ اليونانيين كان ينمو ويكبر بشكل ملحوظ وحول البطريركية الأرثذوكسية في حي الفنار استطاعت العائلات هناك (التي عرفت اصطلاحا بالعائلات الفنريوتية نسبة إلى المكان) أن تتمتع بنفوذ قوي على المؤسسات من خلال استثماراتها في الشحن البحري والتجاري، ومن خلال إقراض الناس بما يريدون من أموال بما فيهم أمراء الأفلاق والبغدان، ولما كانت هذه العائلات تعرف لغات الغرب الأوروبي وثقافته بشكل عام، وكانت الدولة العثمانية في حاجة إلى هذه اللغات في التعامل دبلوماسيا مع النمسا وبولندا وروسيا، فقد زادت هذه العائلات قوة ونفوذا وهكذا عندما ظهرت وظيفة كبير المترجمين عام ١٦٦٩م في الدولة أصبح من يشغلها يعني وزيرا للخارجية. وكان أول من تولى هذه الوظيفة بنايوتي نيكوسيوس وهو وإن لم يكن من الفناريوتيين إلا أنه كان يونانيا من جزيرة خيوس. وفي عام ١٦٧٣م خلفه ألكسندر مافروكورداتوس وهو شاب فنريوتي، وظل يؤدي وظيفته بشكل متواصل تقريبا حتى وفاته في عام ١٧٠٩م، وكان الأخير شابًا نابهًا درس القانون والطب في أوروبا الغربية، وبذلك أصبح الفناريوتيون شركاء صغار في الإدارات العثمانية. وقد التحقوا كإداريين في الأفلاق والبغدان، وقد أصبح نفوذهم فائقا في الولايتين خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن ١٧م(١٦٤). وقد حكمت بعض العائلات الفنريوتية ومنها، عائلات دوكاز، وخيكاز، وروسيتي، وفي عام ١٦٧٩م أصبح زربان (١٦٧٨-١٦٨٨م) أميرا على الأفلاق وهو من عائلة كانتا كوزين، ثم وفد بعد ذلك تجار يونانيون، ومن أسباب تزايد نفوذ الفنارتين رعونة طبقة الأعيان، وكان النفوذ اليوناني أساس حكم الفنريوتيين، وفي ظل هذه الفترة (الحقبة الفنريوتية) أن الولايتين اقتطعتا من جسد الحضارة الغربية متأثرين باليونانيين، وكان وضع الحكام الجدد غير المحليين، فإن الحكام من الفناريين كانت تعينهم إستانبول ولا ينتخبون ويعرف الواحد منهم بالوالي، واستمر هذا الوضع حتى تم إعلان الحكم الذاتي للولايتين في القرن ١٩م(١٦٥).

ومع بداية القرن ١٨م، بدأت بذلك الحقبة الفنارية لتمارس بذلك سلطة الحكم والإدارة داخل الأفلاق والبغدان، وعند النظر إلى أصل الفناريين، فقد ذكر معظم المؤلفين حتى وقت قريب إلى القول بأن الفناريين ما هم إلا عائلات من أصول يونانية كانت تعيش في منطقة الفنار بإستانبول لكن يصعب تصديق هذا القول على إطلاقه، إذ لابد وأنه يعني أن منطقة الفنار كانت أكثر الأحياء اكتظاظا بالسكان وأن كل فرد فيها لابد وأن يكون على درجة كبيرة من الثراء والنفوذ، وهذا أمر لم يكن حقيقيا. ولكن إذا أردنا تحديد هوية الفناريين فيجب أن نبدأ بتتبع أكثر العائلات اليونانية أهمية في إستانبول آنذاك، والتي ارتبطت أعمالها ومستقبلها الوظيفي بالإدارة العثمانية، وتكونت ثرواتها من التجارة

ومن أداء مختلف الخدمات، ومن تولي مسئولية مختلف الوظائف السياسية والاقتصادية، وكيف أنها أصبحت تدريجيا وببطء احتكارا في أيديهم بفضل ما كانوا يتمتعون به في مركز السلطة ويضاف إلى هذه النخبة من العائلات عدد كبير من اليونانيين الذين وثقوا علاقاتهم بإستانبول، وقاموا بدور الوساطة بينها وبين أنحاء الدولة العثمانية، وقد نتج عن هذا أن أصبحت هذه العائلات بمثابة دولة صغيرة داخل الدولة الكبيرة، لم يكن بإمكان أحدهما البقاء دون الآخر ورغم أن الكبيرة كانت تسيطر على الصغيرة إلى درجة أن أقوى شخصية فنارية كان ألعوبة في يد أي صدر أعظم طموح داخل الدوائر الإسلامية الحاكمة، إلا أنه قد حدث في بداية القرن ١٨م نوعا من المشاركة بين الطرفين؛ أي الدولتان الكبيرة والصغيرة لدرجة أن أحدهما لم يكن يستطيع أن يبقي دون الآخر. ومما يؤكد هذا أن الكتابات التاريخية السلافية والرومانية تشير إلى الدور اليوناني – العثماني المزدوج(١٦٦).

والراجح هنا، في الأفلاق والبغدان كان عدد كبير من رجال الأعمال الفناريين ورجال الدين قد شقوا طريقهم إلى هناك خلال القرن ١٧م، واستطاعوا أن يتكيفوا مع الظروف المحلية وتصاهروا مع البويار، فأضافوا بذلك عنصرا جديدا في البناء الاجتماعي للولايتين جنبا إلى جنب طبقة النبلاء، وخلال إقامة الفناريين هناك كثرة من عائلاتهم وفي مقدمتها عائلة كنتاكوزين، واكتسبت عدة عائلات من البويار عادات وتقاليد فنرية بل وحتى اللغة اليونانية، وفي القرن ١٨م شملت عملية الرومنة هذه كثيرا من الناس عندما كان كل أمير جديد يستقدم أتباعه ويعهد إليهم بالوظائف والمواقع المهمة ويدخلهم في صفوف طبقة النبلاء من الولايتين، ورغم أن بمصير أكثر هؤلاء الوجهاء المستوردين كان يرتبط بمصر سادتهم، إلا أن الأغلبية العظمي منهم استطاعت أن تفلت من النتائج المترتبة على تغيير الحكام، وكونت فيما بينها طبقة نبلاء جديدة في ولايتي الدانوب الأفلاق والبغدان، وحتى تحمي هذه الطبقة الجديدة مصالحها من خطر العناصر الطفيلية التي تصاحب عادة الحاكم التالي، بادر كثير من عناصرها بالتحالف مع طبقة النبلاء القديمة(١٦٧). ويتضح هنا أن الدولة العثمانية بإدخالها الفناريين داخل المجتمع في ولايتي الدانوب، وباختلاطهم بالطبقة الحاكمة ظهرت طبقة جديدة طموحة حاولت تقلد أعلى المناصب وفي النهاية وصلوا إلى حكم الولايتين طولا القرن ١٨م.

والراجح هنا أن الفناريين وبخاصة في سياق تاريخ ولايتي الدانوب ليسوا يونانيين أصلا ولكن من المؤكد أنهم مجموعة من الناس يتكلمون اليونانية، ويمكن أن يكونوا من أصل وجنسيات مختلفة بما فيها الرومانية، وقد حدد أولئك القوم حياتهم ومستقبلهم في نطاق دولتهم الصغرى ضمنا، والحقيقة أن صفة الفناري تنطبق على معظم إن لم يكن كل الأمراء الذين حكموا الأفلاق والبغدان طوال القرن ١٨م، وعلى النبلاء الذين والوهم، وكذا النبلاء الذين والوا العثمانيين، وأما الآخرون فلا يمكن اعتبارهم فناريين بهذا المعنى الاصطلاحي حتى ولو كانوا ينتموا لصفوة العائلات الفنارية وعاشوا في الولايتين، إذ كانوا يشكلون القوي المعارضة وعلى هذا فإن اصطلاح الفناريين يعني أصحاب النفوذ في

ولايتي الأفلاق والبغدان بكل ما يرتبط به من سياسات ومواجهات، الذين خضعوا خضوعا تاما لإستانبول التي استخدمتهم في عدة مواقع في مقدمتها الأفلاق والبغدان وإذا كانت سلسلة الأمراء السابقين لهاتين الولايتين والتي اعتمدت عليهم الدولة العثمانية، فإن الحكام الجدد من الفناريين كانت تعينهم إستانبول ولا ينتخبون، ويعرف الواحد منهم بالوالي (خوسبودار)، وبذلك أصبح الخوسبودار واليا فعليا وواجبه الرئيسي في تنفيذ رغبات الحكومة المركزية في استانبول(١٦٨).

والغالب هنا، أن الدولة العثمانية قررت الاعتماد على طبقة الفناريين، بعد أن قام بطرس الأكبر قيصر روسيا بغزو أراضـي الأفلاق والبغدان في عام ١٧٠٩م؛ وذلك بمساعدة بعض البويار من أصحاب المزارع، وهنا تدهور الوضع السياسي للولايتين، وعلى هذا قامت الحكومة العثمانية بتعيين خوسبدار على كل ولاية من الفناريين اليونانيين وليس من أهل الولايتين، وخلال القرن ١٨م أصبحت المناصب العليا مصدرا لقوة الموظفين اليونانيين وثروتهم(١٦٩).

ولا نزاع في أن الفناريين أرادوا وضع سياسة خارجية مستقلة حتى ولو بالدرجة المحدودة، ووضح ذلك خلال القرن ١٨م، وهذه الإجراءات جعلت من الأفـلاق والبغدان ولايـات عثمانية بدرجة أكبر مما كانتا عليه قبلا، ولذلك فإن تحول صيغة الحكم من دومن (حاكم) إلى والي (خوسبدار) في كل من الولايتين، لم يعني فقط التقليل من شأن القيمة السياسية للولاية من الاستقلال إلى التبعية كما تعكسه الاختلافات بين مضمون وشكل اللقبين كما سبقت الإشارة، بل نتج عنه تخلفا ثقافيا ملحوظا، والجدير بالذكر أن الموظفين العثمانيين يقومون بكل المهام، وكانت كفاءة الإدارة العثمانية وبخاصة في القرن ١٨م قد هبطت وبلغ الفساد ذروته وعلى الرغم من أن الفساد الإداري يساعد على استمرار الحياة أحيانا، إلا أنه جعل من الاستمرار في الوظائف أمرا غير مؤكد، وتشير الدلائل أن خمس وعشرين فردا من أحد عشر عائلة فنارية تولوا الحكم في كل من الأفلاق والبغدان من بداية الحقبة الفنارية وحتى عام ١٨٠٤م، ولما كان عدد كبير منهم قد تولى الحكم أكثر من مرة، فإن المجموع الكلي للحاكم منهم يصبح اثنين وستون حاكما، ولكن إذا حدث وخرج أحدهم من منصبه فليس بإمكانه العودة مرة أخرى، ومن الملاحظ أن عددا كبيرا من هؤلاء الخمس والعشرون رجلا حكموا مرة واحدة فقط ولمدة قصيرة، ذلك أن عملية الفوز بمثل هذه التعيينات كانت تتطلب صرف أموال كثيرة في استانبول، بحيث أن (حاكم) المستقبل هو الذي يدفع أكثر من غيره، وقد يسهم أنصاره في هذه الأموال هم مطمئنون إلى أنهم سوف يستعيدون ما دفعوه فيما بعد عندما يتولى رجلهم حكم الولاية(١٧٠).

وفي نفس الصدد، فإن الحاكم الجديد (الوالي) كان يشغل كل المواقع والوظائف المهمة بأولئك الذين ساعدوه بالمال، وفي الوقت نفسه كان على الوالي أن يحصل لنفسه على مكاسب سريعة، ولما كانت كل الوظائف والمواقع المهمة في يد الفناريين الذين كانت منازلهم وأسلوب حياتهم صورة من منازل وأسلوب حياة الولاية، فسرعان ما اضطر البويار لمحاكاة هذا الأسلوب في الحياة حتى لا يعتبرون كأولاد العم في بلد

مختلف، ولقد زاد هذا الاتجاه قوة وتدعيما بوجود طبقة النبلاء (الجديدة) التي سبقت الإشارة إليها، والتي احتفظت بأسلوب حياتها حتى بعد أن أصبحت عناصرها بويار من الأفلاق أو البغدان، أو على الرغم من مصاهراتهم (النبلاء القدامى)، وقد كان هذا الاندماج بين النبلاء الفناريين والنبلاء غير الفناريين، والذي أدى إلى إدخال أسلوب حياة أجنبي إلى الطبقات العليا في مجتمع الأفلاق والبغدان، وهذا الأسلوب الجديد لم يكن بالضرورة أن يتماشى مع القيم الفنارية، والتي أصبحت قوية مع مرور سنوات القرن ١٨م، مع الوضع في الاعتبار عدم قدرة تميزهم حيث المظهر الخارجي متشابه(١٧١).

وقد تعرض الفلاحين مزارعي الأرض في الأفلاق والبغدان فترة حكم الفناريين إلى ظلم وقهر كبير؛ حيث استمر إرسال المنتجات الزراعية بأسعار محددة إلى إستانبول كان يعنى زيادة أموال البويار، على الرغم من انخفاض الأسعار، إذ كان بإمكان البويار أن يبيعوا العشر الذي يقدمه الفلاحون فيزيد حجم المباع. ومن ناحية أخرى فقط تطلب أنماط حياة الرفاهية التي أدخلها الفناريون إلى المجتمع، دخلا إضافيا ولم يكن بإمكان البويار تحقيقه إلا بمزيد من استغلال الفلاحين عن ذي قبل، كما كان من شأن إدخال صناعة تقطير الكحول من البطاطس ومحاصيل زراعية أخرى، توفير مصدر آخر للدخل، وجعل ملاك الأراضي كثر تحمسا للحصول على منتجات أكثر عن ذي قبل من فلاحيهم. وزاد من الأمر سوء تعرض الفلاحين في ولايتي الأفلاق والبغدان إلى زيادة عدد أيام السخرة المفروضة على الفلاحين إلى ١٢ يوما فقط، ولكن بزيادة عدد أيام العمل اليومية المطلوبة عما كان الفلاحون مرغمين عليه فعلا لتصل من ٣٥ يوما إلى ٤٠ يوما كل عام، وبالإضافة إلى الأعمال الأخرى مثل إصلاح السدود وأعمال الري، ومثلة أيام السخرة في أرض النبلاء قوة عمل فعلية كان من الممكن استخدامها في الأراضي المتروكة لولا علاقات الالتزام الإقطاعية التي نتج عنها في النهاية زيادة دخل النبلاء زيادة ملحوظة، ونزول الفلاح إلى مرتبة القن (العبد)(١٧٢).

وفي المقابل كان يحق للفلاح شراء حريته مقابل ١٠ أقجات، لكن أيام السخرة قد زادت ربما ثلاث مرات، لولا أن الشهر كان ٣٠ يوما فقط، وقد عانى فلاحي الأفلاق والبغدان كثيرا في نهاية القرن ١٨م، وبزيادة الأعباء على الفلاحين كانت ثروات البويار في زيادة مستمرة، والجدير بالذكر أن فترة حكم الفناريين أعادت في أذهان الطبقة الحاكمة في الأفلاق والبغدان تأسيس الحكم الوطني وهدفهم الاستقلال عن الدولة العثمانية(١٧٣).

ويتضح أن مجتمع الأفلاق والبغدان قد شعر في نهاية القرن ١٨م بأهمية موقع ولايتهم، وقد بدأ الفناريون بوضع الأسس الحقيقية لترتيب السياسة الداخلية والخارجية، وساعدهم هذا على وجود نوع من الاستقلال والحكم الذاتي، بعد الحروب الضارية التي خاضتها الدولة العثمانية – وروسيا والنمسا.

وزاد من توسع نطاق الحكم الذاتي، تعرض الدولة العثمانية للهزائم من روسيا، وبخاصة بعد معاهدة كوجاك كينارجة التي عقدت ووقعت بعد هزيمة الدولة في ٢١ يوليه ١٧٧٤م، فقد حصلت

الولايتين على جزء كبير من الاستقلال[١٧٤].

وعند الحديث عن القرن ١٩م، فهو قرن القوميات والاستقلال عن الدول والإمبراطوريات في أوروبا، فقد نشبت ثورة الصرب (١٨١٤م – ١٨١٥م) لتكن هي بداية الثورات القومية في أوروبا الشرقية[١٧٥].

وتشير الدلائل إلى أن ولايتي الدانوب (الأفلاق والبغدان) كانا تمثل مصدرا للموارد الطبيعية اللازمة لتوسيع آفاق الإنتاج في الدول الصناعية الغربية مثلما كان حال بولندا والمجر وبروسيا وروسيا، ذلك أن التربة في الولايتين ملائمة جدا لزراعة الحبوب للتصدير على نطاق واسع بعكس أراضي البلقان الأخرى، وبناء على هذه الظروف كان من مصلحة أي نبيل إقطاعي أن يحوز أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الزراعية وأن يضمن وجود أيدي عاملة من الفلاحين تحت يده، وفي الوقت نفسه كان أي فلاح يسعي لكي يحوز أي قطعة أرض تكون تحت تصرفه – يتحرر من الالتزامات الإقطاعية المفروضة عليه. ولهذا كانت هناك خصومة طبيعية بين طبقة الفلاحين وطبقة الإقطاعيين بسبب تناقض مصالح كل منهم[١٧٦].

والراجح هنا أن القرن ١٩م كانت الأحوال السائدة في البلقان في صالح تمرد المسيحيين، ولم يكن باستطاعة الحكومة العثمانية السيطرة على النبلاء المتمردين أو هزيمة الجيوش الأجنبية وأثناء اضطراب المواقف تمكنت قيادات عسكرية قوية من السيطرة على مراكز السلطة المحلية مما ساعد على بلورة تقاليد التمرد. ومن هذا المناخ وتلك الظروف انبثقت حركات التمرد عند مسيحي البلقان، وبذلك فشلت الحكومة العثمانية في المحافظة على سلطتها في المراكز المحلية وكذا ضعفها أمام خصومها[١٧٧].

وقد انتهى الحكم العثماني للولايتين (الأفلاق والبغدان) بعد صراع كبير مع روسيا، وبخاصة بعد معاهدة أدرنة عام ١٨٢٩م، وبموجبها تم نزع حكم الولايتين من حكم تبعية إلى حكم ذاتي ولا تتبع الدولة إلا تبعية اسمية فقط[١٧٨].

وعلى أية حال، فقد مرت ولايتا الأفلاق والبغدان بعدة مراحل للحكم العثماني، الأولى: كانت للحكام المحليين من النبلاء، وهذا الوضع مثل وضع المماليك في مصر بعد الحكم العثماني عام ١٥١٧م، فاستعان العثمانيين بالمماليك في إدارة شئون الأقاليم لأنهم أعلم بشئونها، والثاني: كان حكم الفنارتين ذو الأصول اليونانية في حي الفنار في إستانبول واستمر هذا الوضع حتى القرن ١٩م والثالث، بعد معاهدة أدرنة التي أنهت وجود الدولة في الولايتين؛ حيث أصبح الحكم الذاتي هو الواقع ولا تتبع الدولة العثمانية إلا تبعية اسمية.

والحقيقة أن الدولة العثمانية خلال القرن ١٩م وقفت خالية اليدين أمام الأطماع التوسعية لروسيا والنمسا داخل الأراضي العثمانية، فقد ترتب على الهزائم العثمانية المتتالية على جميع الجبهات إنهاك القوات العثمانية واستنزاف أموال الخزانة العامرة للدولة، مما وضعها في ضائقة مالية طوال القرن ١٩م، مما دعاها إلى الاستدانة من الخارج، فزاد ذلك التدخل الأجنبي في شئون الدولة العثمانية.

## [٥] الصراع الدولي على حكم الولايتين:

بدء الصراع على الأفلاق والبغدان أثناء قيام الحلف الروسي النمساوي وباقي أوروبا (١٦٨٦-١٧٠٠م)، ففي عام ١٦٨٧م قد اجتاح جيش النمسا أراضي الأفلاق والبغدان، وأجبروهم على نبذ السلطة العثمانية على أنها سلطة مسلمة وهم، أرثوذكس من روسيا[١٧٩].

لكن ما لبث أن انسحبت القوات النمساوية اضطراريا من مسرح عمليات الدانوب لمواجهة الأعمال الحربية التي قام بها الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، وفي سنة ١٦٨٨م أعطى العثمانيين فترة التقطوا فيها أنفاسهم؛ حيث استعادوا نيش وبلغراد[١٨٠].

وجعل الصراع بين الدولة العثمانية والنمسا ظهور مأزق دبلوماسية وعسكرية لولايتي الدانوب، فضلا عن مصاعب أخرى تمثلت في تدخل البولنديين في شئون البغدان، وضعف أمراء الأفلاق وحيادهم في الحرب بين الدولة العثمانية-والنمسا الطويلة، وضع بذلك الولايتين في موقف حرج من الإدارة العثمانية[١٨١].

وعلاوة على ما تقدم، وبعد حرب طويلة وقاسية، سواء على الحلفاء أو على الدولة العثمانية، وبعد مخابرة طويلة تم توقيع معاهدة بين الدولة العثمانية والحلفاء، وهي معاهدة كالروفية (كالروفية)[١٨٢] وذلك في ٢٦ يناير عام ١٦٩٩م[١٨٣]. وبموجبها خسرت الدولة كثير من أراضيها.

ومهما يكن من أمر، فقد ظل الصراع قائم بين الدولة العثمانية-وروسيا بإعلان بطرس الأكبر[١٨٤] الحرب على الدولة العثمانية (١٧١٠-١٧١٣م)، فقد قام بطرس الأكبر بتجاوز العدو، ودخل إلى بلاد آزوف والبغدان وهم من رعايا السلطان، وقد تحرك الروس بالفساد والغارة ونهب البلاد ودخل آزوف، وبلغ البغدان ودخل إلى ياش عاصمتها، فلما بلغت هذه الأخبار إلى أعتاب السلطان، تحرك السلطان الغازي أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠م)، وصدرت أوامره لعساكر (الروملي) و الاناضولي وطائفة الينجرية (الانكشارية)، والطوبجية والسباهية والتتار (القرم) وجهز كل التدبير للخروج في الحملة لتأديب بطرس الأكبر[١٨٥].

وبالفعل قد قام الروس بقيادة بطرس الأكبر بالتقدم صوب نهر الطونة[١٨٦] وتقدم الروس بجيشهم الذي دخل البغدان وتقدم نحو نهر بروت، وقد عبر الجيش العثماني نهر بروت[١٨٧].

انتهت الحرب بهزيمة مثقلة على الجيش الروسي، وتم إبرام معاهدة بروت محاولة منهم لإنقاذ الجيش الروسي[١٨٨]. وفي ٢١ يوليو اتفق الطرفان على خروج الروس وتسليمهم قلعة آزوف وترك جميع ما فيها من المدافع وآلات الحروب، وشرط عليهم أيضا رفع اليد وعدم التجاوز، ولابد من التزام الطاعة وما يؤدونه في كل سنة ٤٠ ألف دينار ذهبا لمدة سبع سنين عاجلة، إعادة كل الأراضي للدولة العثمانية ومنها البغدان، وكتبت الوثائق وختمت من الجانبين[١٨٩].

ولا نزاع في أن روسيا استمرت في الصراع والاعتداء على أراضي الدولة العثمانية، فقد أعلنت الحرب عليها في (١٧٦٨-١٧٧٤م)، وفي هذه المرة، كانت روسيا تحاول أن تكسب تأييد نصارى اليونان والارناؤوط، والأفلاق

والبغدان، وبصفة عامة كانت روسيا تشعل الثورات في البلقان باستمرار[١٩٠].

وقد استمرت روسيا في الضغط على الدولة العثمانية على جبهة بولندا التي دخلها الروس بالفعل، ودخلوا أيضا إلى خوتين التي تقع على نهر دينيستر[١٩١]، كما دخلوا الأفلاق والبغدان[١٩٢].

عند النظر لذلك، فقد هدد الروس تلك المناطق وسقطت في يدهم قلاع مثل بندر وإسماعيل وآق كرمان وكيلي لذلك أصبحت الأفلاق والبغدان في خطر كبير، وعندئذ وبعد أن حقق الروس هذا الانتصار، أراد القائد الأعلى للجيوش الروسية رومانزوف عرض الصلح على الجيش العثماني الذي ضرب خيامه في منطقة (باباداغ)، إلا أن هذه الخطوة باءت بالفشل نظرا لرغبة النمسا وبروسيا في التوسط بين الطرفين[١٩٣].

وفي ١٠ يونيو عام ١٧٧٢م وبناء على توسط النمسا وروسيا واجتمعوا في مدينة جورجيو من مدن البلغاريا وأرسل كل منهما مندوبيه للمخابرة في شأن الصلح إلى مدينة فوكشان[١٩٤] بولاية البغدان، وعند قراءة بنود المعاهدة المقدمة من روسيا فهي شروط استسلام ومنها إعطاء جرجوار غيكا، ولاية الأفلاق وعلى أن تكون لأولاده من بعده. وغيرها من البنود المجحفة؛ لذلك أصدرت الدولة أوامرها لاستئناف القتال[١٩٥].

انتصر الروس في هذه الحرب، وقبل العثمانيون الصلح هذه المرة، وعقد معاهدة كوجك كينارجة الصغرى المشهورة التي وقعت في ٢٦ يوليو عام ١٧٧٤م، وكانت الأفلاق والبغدان تحت الاحتلال الروسي طوال خمس سنوات قبيل توقيع تلك المعاهدة، وكان في هذه المعاهدة المادتان ٧، ١٤ اللتان أعطتا روسيا الحق في حماية الأرثوذكس في أنحاء الدولة العثمانية، وكذلك المادة ٣ التي جعلت من أراضي تتار القرم "دولة مستقلة" وأن ترد روسيا إلى الدولة العثمانية الأفلاق والبغدان[١٩٦]، وأقرت هذه المعاهدة العفو العام عن كل الذين عارضوا العثمانيين وساعدوا أعداءهم بما فيهم أهالي الأفلاق والبغدان، وأعادت لهم الألقاب والممتلكات. وأعطت المادة ٩ لروسيا حق تأسيس قنصلية لها في أي مكان ترغب فيه في ولايتي الدانوب، والمادة ١٦ أعفت الولايتين من دفع الجزية لمدة عامين واحتفظت روسيا بحق التحدث باسم الولايتين في إستانبول، ولقد قصد بهذا الشرط الأخير، تأسيس قنصلية روسية في بوخارست وياش والاحتفاظ بالنفوذ الروسي في الولايتين وبإمكانية التدخل أكثر وأكثر في شئونهما[١٩٧].

وتجدر الإشارة إلى أن معاهدات الصلح التي أعقبت الحرب بين الدولة العثمانية-والحلف الروسي النمساوي (١٧٧٨-١٧٩٢م)، تم عقد معاهدة زيستوفي مع النمسا في ٣ أغسطس عام ١٧٩١م، وياش مع روسيا في ١٠ يناير ١٧٩٢م، وتثبت الوثائق أن الطبقات الحاكمة في الولايتين في تلك الأثناء لم تكن راضية عن عودة بلادهم للعثمانيين مرة أخرى، لكن روسيا أعادت الأفلاق والبغدان مرة أخرى للدولة العثمانية[١٩٨].

وفي تلك الأثناء، وبسبب غزو نابليون لمصر، دخل العثمانيون في تحالف مع بريطانيا العظمى وروسيا، وانتهزت روسيا الموقف لتقوي من

وضعها في ولايتي الدانوب، ففي عام ١٨٠٢م أرغمت العثمانيين على الموافقة على إبطال كل الضرائب غير القانونية التي فرضت منذ معاهدة كوجاك كينارجية، والموافقة على أن يكون تعيين الولاة لمدة ٧ سنوات، وعدم عزل الوالي قبل انتهاء مدة ولايته دون موافقة روسيا، وعلى هذا وفي إطار هذه الظروف لم يكن مدهشا أو مثيرا أن آخر الولاة حكما قبل انتفاضة الصرب عام ١٨٠٤م هما قسطنطين ايبشيلانتي (١٨٠٢-١٨٠٦م) في الأفلاق، والكسندر موروزي (١٨٠٢-١٨٠٦م) في البغدان، والجدير بالذكر أن الواليين كانا متعاطفان بشدة مع الروس وأظهرا أن بلديهما تدور في فلك روسيا(١٩٩). وقد استغل الروس تلك الأحداث أكبر استغلال لكون هذه الشعوب من الشعوب السلافية.

وقد شجعت روسيا والنمسا الثورة الصربية، فقد كان زعيم الثورة قرة يوركي صنيعة فيينا، وفي عام ١٨٠٤م خان أسياده وتقرب إلى روسيا من حيث المذهب والقومية، وبعد كفاح طويل احتل بلغراد وذبح بالسيف كافة المسلمين في المدينة بغية استمرار الثورة الصربية وعدم القضاء عليها وعلى أمل الحصول على فتوحات جديدة(٢٠٠). وبتحريض من فرنسا أعلنت إستانبول الحرب على روسيا(٢٠١)، ومن جهة روسيا استمرت في إثارة الفتن في الأفلاق والبغدان وبلاد البلغار واليونان، واستفحل أمر الصرب وتفاقمت ثورتهم، وقد ضغطت فرنسا على السلطان العثماني لإلغاء المعاهدة مع روسيا وانجلترا، كما ضغط أيضا على السلطان لعزل أميري الأفلاق والبغدان الموالين لروسيا، فاستجاب السلطان لضغوط نابليون عام ١٨٠٦م(٢٠٢).

وتصاعدت الأحداث بعد أن قررت الدولة العثمانية إغلاق المضايق في وجه السفن الحربية الروسية، فاستشاط الروس والانجليز غضبا واتحدوا ضد الدولة العثمانية، فتقدمت روسيا بقواتها واستولت على الأفلاق والبغدان كما اقتحم الأسطول الإنجليزي مضيق الدردنيل وأرسل إلى الدولة عدة مطالب وهي كما يأتي:

[١] إعادة التحالف بين الدولة العثمانية وإنجلترا وروسيا، وتسليم الأسطول العثماني وقلاع الدردنيل للأسطول الإنجليزي.

[٢] أن تتنازل الدولة لروسيا عن الأفلاق والبغدان.

[٣] طرد السفير الفرنسي من إستانبول وإعلان الحرب ضد فرنسا(٢٠٣).

لكن الدولة العثمانية رفضت كل هذه المطالب شكلا وموضوعا.

قام نابليون بعقد معاهدة مع ألكسندر الأول قيصر روسيا، وهي معاهدة تلسيت، وهي سرية وبموجبها تحصل فرنسا على البوسنة وألبانيا ومقدونيا واليونان، وتحصل روسيا على الأفلاق والبغدان وبلغاريا، على أن يتم استرضاء النمسا بمنحها بلاد الصرب(٢٠٤).

والجدير بالذكر أن روسيا اجتاحت الأراضي العثمانية، فقد سيطر الروس على دلتا نهر الطونة واجتاحوا أراضي الأفلاق والبغدان، وظل الصراع بين الدولة العثمانية-وروسيا حتى أعلن نابليون الحرب على روسيا عام ١٨١٢م، ليس حبا في العثمانيين ولكن بسبب إخلال روسيا

بنديْن من بنود معاهدة تلسيت:

الأول: سحب الجيش الروسي من الأفلاق والبغدان، والثاني: إغلاق موانيها أمام السفن الإنجليزية لمنعها من التجارة[٢٠٥]. وقد انتهى الصراع العثماني-الروسي بعقد معاهدة بوخارست في ٢٨ مايو عام ١٨١٢م، التي تكونت من ١٦ مادة، ومن أهم بنوده إبقاء ولايتي الأفلاق والبغدان في حوزة الدولة العثمانية، واحتفاظ روسيا بإقليم بيسارابيا وأحد مصبات نهر الدانوب، وفقدت الدولة العثمانية بذلك أكثر من ٧٠ ألف كم٢ من أراضيها[٢٠٦].

وأثناء ثورة اليونان، قامت الدولة العثمانية مجبرة على توقيع معاهدة آق كرمان في ١٧ أكتوبر عام ١٨٢٧م؛ حيث كانت تلك المعاهدة لا تزيد عن كونها توضيحا لمعاهدة بوخارست عام ١٨١٢م، وبموجبها تم توسيع الاستقلال الداخلي لولايتي الأفلاق والبغدان، وبموجبها أيضا ينتخب الباب العالي أمراء الأفلاق والبغدان من بين نبلاء تلك المناطق (كان الوضع كذلك قبل عام ١٧١١م، وليس من بكوات الروم اليونانيين الفنارتيين)، ويعين الباب العالي هؤلاء. الأمراء لمدة ٧ سنوات وليس له حق تفسيرهم ما لم تكن هناك أسباب جدية[٢٠٧].

وما لبث أن تجددت الثورة اليونانية، ولذلك أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في ٢٦ أبريل عام ١٨٢٨م، وفي شهر يونيو احتل الروس أدرنة وسيلسترة وقارص وبايزيد وارضروم، وأخرجوا العثمانيين من سواحل البحر الأسود الشرقية، واحتلوا الأفلاق والبغدان وقد استمر التغلغل الروسي داخل الأراضي العثمانية حتى وصل الرسل إلى أدرنة للتفاوض[٢٠٨]. وقد انتهت المفاوضات بعقد معاهدة أدرنة في ١٥ سبتمبر عام ١٨٢٩م، والتي أعطت الحق لروسيا في حرية الملاحة في البحر الأسود، والسيطرة على مصب نهر الطونة[٢٠٩]. بذلك أصبح وضع الأفلاق والبغدان على المحك، فعند أول حرب تحتلها روسيا.

ومن ناحية أخرى، تجددت مطالب الروس بحماية الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية، رفضت الأخيرة المطلب شكلا وموضوعا، وعلى الفور جاء الرد من قبل روسيا بأن احتلت الأفلاق والبغدان في يوليو ١٨٥٣م[٢١٠].

ولا نزاع في أن روسيا قد احتلت الأفلاق والبغدان للضغط على الدول العثمانية لتعترف بحقهم في حماية أرثوذكس في كنيسة القيامة في فلسطين[٢١١]، وراح جراء هذه الحرب أكثر من ٢٠ ألف جندي[٢١٢].

وقد ظلت الحرب مشتعلة بين روسيا وقوات التحالف، حتى تراجع الروس بسبب خسائرهم وأخلوا الأفلاق ودخلها العثمانيون، وبعد ذلك توجهوا مباشرة نحو تحرير البغدان، ودخل العثمانيون إلى بوخارست وسط تصفيق حار من أهلها الذين ظلمهم الروس ومارسوا فيها أشد طرق التعذيب؛ لذلك انهزم الروس في حرب القرم، وتكبدوا خسائر فادحة، فقاموا بسحب قواتهم من الأراضي العثمانية[٢١٣].

وبموجب عقد الصلح في باريس عام ١٨٥٦م، تم طرد الروس وهزيمتهم من الأفلاق والبغدان وأعلن السلطان استقلالهما الذاتي الذي ألح به نابليون الثالث، وصارت الملاحة حرة في نهر

الطونة، وتتنازل روسيا عن شطر من إقليم بساربيا ويضم إلى البغدان(٢١٤). بذلك ظل الوضع مستقرا في الأفلاق والبغدان لفترة طويلة كتابع للدولة العثمانية.

تجدد الصراع القائم بين الدولة العثمانية- روسيا، وقد نشبت الحرب العثمانية الروسية الأخيرة (١٨٧٧-١٨٧٨م)؛ حيث توغل الروس في نهر الطونة، وفي هذه الحرب عرضت الأفلاق والبغدان على الدولة العثمانية المساعدة في الحرب، مقابل إعطائهما الاستقلال والحكم الذاتي وأن تبقى في الحياد، لكن الدولة العثمانية رفضت هذا الطلب بخشونة، وهكذا رمي بشعب لاتيني في أحضان روسيا التي تتزعم السلاف واشتراك القوات الخاصة بالولايتين الفتية في الحرب بجانب روسيا، قضي على التوازن الموجود في جبهة الطونة(٢١٥).

فقد جاء قيصر روسيا إسكندر الثاني بنفسه إلى الأفلاق والبغدان؛ ليخطب فيهم باسم النصرانية قائلا: أنها كلها تحت الخطر فأنجده الرومانيون (الأفلاق والبغدان) بـ ٧٠ ألف عسكري، أضيفت تلك القوات للقوات الروسية في بلونة(٢١٦).

وساعدت هذه القوات في هزيمة القوات العثمانية في الحرب العثمانية الروسية الأخيرة؛ لذلك كانت الدولة العثمانية مستعدة للشروط التي ستفرض عليها في معاهدة سان استفانوس وأهم ما تم فرضه هو أن تحصل الأفلاق والبغدان (رومانيا) على الاستقلال التام(٢١٧). وهذا ما حدث بالفعل.

لكن ما لبث أن رفضت الدول الأوروبية الكبرى هذه المعاهدة، وقاموا بوضع شروط وبنود أخرى في معاهدة برلين على الدولة العثمانية، وعند النظر لما يخص الأفلاق والبغدان فهي كالآتي:

ضم بساربيا إلى روسيا بعد اقتلاعها من الأفلاق والبغدان، وتضم مقاطعة دوبروجية، ومنح الأفلاق والبغدان الاستقلال التام(٢١٨).

وهكذا عندما أوشك القرن ١٩م على الانتهاء، كانت الحقبة العثمانية قد اقتربت من الانتهاء، في الوقت الذي تغلغلت فيه الأفكار الغربية في ولايتي الدانوب، وقد أخذت هذه البلاد الخطوات الأولي والجادة تجاه الاستقلال والوحدة مستخدمين كل فرصة ممكنة لتخليص أنفسهم من الهيمنة العثمانية، وهذا ما تم ذكره في الصفحات السابقة، محاولين رسم خريطة زمنية لتاريخ ظهور رومانيا الحديثة، فكانت الأفلاق والبغدان هي نواة الدولة الحديثة مع انضمام بعض الأقاليم إليها مكونة دولة رومانيا على شكلها في الوقت الحاضر.

ويجدر بنا الذكر، أن الأفلاق والبغدان وبسبب الموقع الجغرافي للولايتين، وإنهما تقعان على الطريق إلى إستانبول فقد كانتا مسرحًا لاحتلال روسي متكرر في سنوات (١٧١١، ١٧٣٦-١٧٣٩، ١٧٨٧-١٧٩٢، ١٨٠٦-١٨١٢، ١٨٢٨-١٨٣٤، ١٨٤٩-١٨٥١، وأخيرًا ١٨٥٣-١٨٥٤م). وعلى هذا كان وجود جيوش أجنبية على أراضيها عاملا له أهمية حيوية في الحركة القومية بين سكان الولايتين، إلا أنها تسببت في جلب التدخل الخارجي في المنطقة، بل أن النمسا أرست إلى حد ما ضغوطا على الأفلاق والبغدان أثناء حرب القرم (١٨٥٣-

مقالات

١٨٥٦م). ومن هنا فقد أجبر تصارع النمسا وروسيا على حدود الولايتين أمرًا تلك البلاد على الاعتماد على الدبلوماسية أكثر من الاعتماد على المعارك لتحقيق هدف الاستقلال عن الدولة العثمانية[٢١٩].

فكان بذلك القرن ١٩م هو قرن محاولة الاستقلال عن الدولة العثمانية لتلك الولايتين، ذو الموقع الاستراتيجي الذي له مكانة مميزة خاصة بالنسبة للدولة العثمانية، التي نازعة حتى الرمق الأخير للدفاع عن تبعية الأفلاق والبغدان للسيطرة على طرق التجارة، والبحر الأسود ليكن بحيرة عثمانية كما كان في السابق، وصد الهجوم المتكرر لروسيا والنمسا على ولايات البلقان العثماني.

## الخــــاتــمــة:

ساهم الموقع الاستراتيجي والجغرافي للأفلاق والبغدان في خدمة التجارة بين دول البلقان والدولة العثمانية، ويزيد على ذلك مساهمة تبعية تلك الولايات للدولة في سيطرتها على البحر الأسود الذي أصبح بحيرة عثمانية خالصة بعد سيطرت العثمانيين على المناطق الشمالية الممثلة في الأفـلاق والبغدان، وقد استفاد العثمانيين كثيرا من تجارة العبور في تحصيل العوائد والرسوم الجمركية وضرائب المكوث، والتي كانت تفرض على تجارة تلك المناطق.

وتأثرت علاقة الدولة العثمانية بالأفلاق والبغدان من وقت لآخر بسبب طريقة إدارة الدولة للولايتين، طوال قرون التبعية، ففي البداية اعتمدت الدولة على الأمراء والمحليين، تاركين لهم إدارة شؤون الولايات واستمر هذا الوضع حتى نهاية القرن ١٦م، بعدها اعتمدت الدولة على طبقة البويار من كبار ملاك الأرض الزراعية، الذين قد حافظوا على العلاقة الطيبة وعلاقة التبعية مع الدولة العثمانية حتى نهاية القرن ١٧م، بعدها انقلب الحال بعد تواصل هؤلاء البويار مع روسيا ومحاولتهم الاعتماد عليهم في الحصول على جزء من الحكم الذاتي لولايتي الدانوب، بعدها اضطرت الدولة للاستغناء عن خدمات البويار والاعتماد على فئة جديدة وهم الفناريين، وقد استمرت فترة حكمهم طوال القرن ١٨م، حتى أتى القرن ١٩م، والذي اتسم بظهور الفكر القومي لدول أوروبا؛ حيث انتهزت الدول الكبرى وأثارت تلك القوميات داعية لاستقلالها عن الدولة العثمانية، فقدت الدولة بذلك كثير من الأموال والأراضي الخصبة والأنفس في القرن ١٩م، بعد حصول معظم مناطق البلقان على استقلالها.

إن العناية الفائقة التي أولاها العثمانيون لولايتي الأفلاق والبغدان، سبب حرصهم الشديد على بقائها تحت لواء الدولة، لأهميتها الاقتصادية للخزانة العامرة.

## الحواشي

١- بول كولز: العثمانيون في أوروبا، ترجمة: أحمد عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٣٩-٤٠.

٢- بول كولز: المرجع السابق، ص ٧٣.

٣- محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، كنوز للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢١٢؛ علي حسون: العثمانيون والبلقان، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٨.

٤- محمد جميل بيهم: المرجع السابق، ص ٢١٢.

٥- تشارلزييلافيتش، بربارا ييلافيتش: تفكيك أوروبا العثمانية (إنشاء دول البلقان القومية) ١٨٠٤-١٩٢٠، ترجمة: عاصم الدسوقي، دار العالم الثالث، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٩٩.

٦- سيد رضوان علي: السلطان محمد الفاتح (بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط١، جدة، ١٩٨٢م، ص ٤٧؛ عبد المنعم الهاشمي: سيرة محمد الفاتح، دار الإيمان، (د.ت)، القاهرة، ص ١٠٧

٧- سيد رضوان علي: المرجع السابق، ص ٤٧-٤٨.

٨- موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام الشحدات، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٧٨؛ محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٣١.

٩- محمد جميل بهيم: المرجع السابق، ص٢١٢.

١٠- موستراس: المرجع السابق، ص ١٦٦؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ١٧٣.

١١- على حسون: المجرع السابق، ص ٢٨-٢٩؛ محمد جيمل بيهم: المرجع السابق، ص ٢١٣.

١٢- نيوبوليس Nigub: هي نيكوبلي، تقع المدينة في بلغاريا الحالية، على الحدود الرومانية، ويطلق عليها حاليا نيكوبل Nikopol. انظر: موستراس: المرجع السابق، ص ٤٨٤. أما عن المعركة، فهي أول حلف صليبي دعت إليه القوي الصليبية الأوروبية، خوفا من المد العثماني داخل البلقان (أوروبا الشرقية)، فوضع الغرب جُل قوتهم في تلك المعركة التي أخذت الطابع والصبغة الصليبية في دعوتها من قبل البابا بونيفاس التاسع، وقد انتصر السلطان بايزيد الأول على ملك المجر سيجسموند في المعركة في ٢٥ سبتمبر عام ١٣٩٦م وعلى الحلف الصليبي انظر: سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية "النشأة والازدهار"، مكتبة الآداب للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٢٠-١٢٢؛ على محمد الصلابي: الدولة العثمانية "عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار الدعوة، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ٦٦-٦٧.

١٣- أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية (منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي)، دار إيتراك، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٥٤.

١٤- أحمد فؤاد متولي: المرجع السابق، ص ١٥٤.

١٥- حسين خوجة: بشاير أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق: محمد أسامة زيد، دار ابن رجب، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م، ج١، ص ٣٣١.

١٦- سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ١٤٢.

١٧- الطونة: هي ولاية عثمانية تقع على نهر الدانوب ويحدها شمالا الأفلاق وجنوبا بلاد البلغار. انظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص ١١٦.

١٨- إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص٥٢.

١٩- حسين خوجة: المصدر السابق، ج١، ص ٣٣١.

٢٠- يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية (السياسي والعسكري والحضاري)، ترجمة: عدنان سلمان، الدار العربية للموسوعات، طأ، بيروت، ٢٠١٠م، ج١، ص١١٧.

٢١- إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، مطبعة بولاق، ط١، القاهرة، ١٣١٤هـ، ج١، ص ٤٩٩.

٢٢- حسين خوجة: المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٢؛ يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج١، ص ١١٧؛ حاجي خليفة: فذلكة أقوال الأخيار في عالم التاريخ والأخيار "فذلكة التواريخ" تاريخ ملوك آل عثمان، ترجمة وتحقيق: سيد محمد السيد، (د.ت)، القاهرة، ص ١٧٥.

٢٣- سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ١٤٢.

٢٤- أحمد فؤاد متولي: المرجع السابق، ص ١٥٤.

٢٥- دراكولا: وقد ابتدع له خياله في سوائل القتل والتعذيب أفانين شتي لا تخطر ببال إبليس وقد أطلق الناس عليه ألقابا مختلفة تدل كلها على

هذا المعنى الجهنمي الشرس. فواطنوه أهل الأفلاق لقبوه بالشيطان (دراكول) وبه يذكر معظم المؤرخين، وأهل المجر لقبوه بالسفاح، والعثمانيون لقبوه بالمخوزق (قازيقلي) وكان من أحد الأشياء إلى نفسه أن يتعالى وينظر إلى مشاهد التعذيب والآلام ويطرب لسماع أنات المعذبين، وكان لا يتناول طعامه مع رجاله إلا وحوله أعمدة الخوازيق والناس منصوبون عليها يأنون أنات الموت، وكان كثيرا ما يأمر بسلخ أقدام الأسرى من الأتراك ودعك اللحم الحي الحساس بالملح ثم يأتي بالمعز لتلحسه إمعانا في إثارة الألم، ودعا الشحاذين ذات يوم إلى مأدبة وبعد أن أشبعهم باللحم وأطيب الطعام وسقاهم الخمر حتى سكروا أمر بإشعال النار في المكان الذي كانوا فيه فشوتهم شيا وقضت عليهم جميعا، وبدأ له ذات مرة فأمر بقطع أثداء بعض الأمهات ليضع في مكانه رءوس أطفالهن، واخترع آلات خاصة لتقطيع أوصال الناس وتقريمها ثم سلقها بالماء كالكرنب كما اخترع أوعية أخرى كبيرة يسق فيها من يشاء على نار هادئة، ولقي ذات يوم راهبا يركب حمارا وأعجبه هذا المنظر فأمر بخوزقتهما معا على هذه الصورة، وقتل مرة بعض الأمهات حرقا بالنار ثم أمر أطفالهن أن يأكلوا من هذا اللحم المشوي، وجاءه مرة جماعة من التتار ليطلبوا منه العفو عن رجل منهم كان قد سرق وحكم عليه بالشنق فما كان من داركول إلا أن أمرهم أن يقوموا هم أنفسهم بتنفيذ هذا العقاب، فلما اعتذروا أمر بطبخ ذلك السارق واكره أصحابه على أكل لحمه: ألا تشم هذا العبير ؟ فعجب صاحبه وأجاب نفياً، فغضب دراكول ونصبه على خازوق أطول من الخوازيق العادية حتى لا تصل إليه هذه الرائحة الكريهة!

ذلك ما كان يصيب به دراكول الناس الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال من التعذيب والتنكيل إرضاء لنزعته الدموية الشاذة، أما ما كان يصيب به المجرمين وأهل الفساد وما يصيب به الأسرى من الأتراك والبلغار فحدث بما وسعك التحدث عنه وما أسعفك به خيالك وليس عليك من حرج.

على أن هذه القسوة البالغة قد أدت إلى كبح جماح الأشراف والقضاء على دسائسهم كما قضت على اللصوصية وقطع الطرق والسرقة التي كانت منتشرة في الأفلاق قبل دراكول وشمل الأمن جميع أرجاء البلاد تحت هذا الإرهاب والرعب وأصبح التاجر يضع ماله وأمتعته في عرض الطريق ثم يغدو إليها في اليوم التالي فلا يفقد منها شيئا.

٢٦- محمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح، دار البشير، ط٢، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٢٠٢-٢٠٣.

٢٧- بورصة: مدينة بآسيا الصغرى شهيرة بجودة هوائها وجمال مناظرها الطبيعية، وبها مياه شافية لكثير من الأمراض، ويرحل إليها في الصيف كثير من الأغنياء لترويح النفوس وإراحة الأبدان، وقد ظلت بورصة عاصمة الدولة العثمانية من عام ١٣٢٧م إلى عام ١٣٦١م، حيث انتقلت العاصمة إلى أدرنة ثم إلى إستانبول عام ١٤٥٣م انظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص ١١٩.

٢٨- سينوب: هي مدينة حصينة في شمال الأناضول على البحر الأسود بها ميناء متسع اتخذته الدولة العثمانية ملجأ لسفنها الحربية، وشهدت المدينة حادثة ترجع إلى ما ارتكبته روسيا فيها وهي واقعة تدمير الأسطول العثماني عام ١٨٥٣م قبل إعلان الحرب على الدولة العثمانية المعروفة بحرب القرم. انظر: نفسه، ص ١٦٠.

٢٩- قسطموني: هي مدينة في شمال الأناضول على بعد نحو ١٠٠ كم عن البحر الأسود. انظر: نفسه، ص ١٣٩.

٣٠- حسين خوجة: المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٣

٣١- حاجي خليفة: المصدر السابق، ص ١٨١؛ سيد محمد السيد تاريخ الدولة العثمانية، ص١٥٢.

٣٢- شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن سويدان، دار ابن كثير، ط١، بيروت، ٢٠١١م، ص ٧٧-٧٨؛ اسمعيل سرهنك: المصدر السابق، ج١، ص ٣١-٣٥.

٣٣- حاجي خليفة: المصدر السابق، ص ١٨٩؛ اسمعيل سرهنك: المصدر السابق، ج١، ص ٣٥-٣٨؛ إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ

الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ١٩٩٦م، ص ٤٦-٤٧.

٣٤- إسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، ص ٤٧؛ حاجي خليفة: المصدر السابق، ص ١٨٩.

٣٥- نفس المصدر والصفحة

٣٦- إسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، ص ٤٧؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ٥٧

٣٧- سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٠١-٢٠٢.

٣٨- نفسه، ص ٢٠٢.

٣٩- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ عبد المنعم الهاشمي: المرجع السابق، ص ١٠٧.

٤٠- سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٠٢.

٤١- حسين خوجة: المصدر السابق، ج١، ص ٤٣١.

٤٢- كريتوڤولوس: تاريخ السلطان محمد الفاتح، ترجمة: حاتم الطحاوي، دار عين للدراسات والبحوث، ط١، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ٢٠٤؛ سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٠٢.

٤٣- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٤.

٤٤- كريتوڤولوس: المصدر السابق، ص ٢٠٤.

٤٥- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٤.

٤٦- كريتوڤولوس: المصدر السابق، ص ٢٠٤.

٤٧- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٤.

٤٨- حسين خوجة: المصدر السابق، ص ٤٣٢.

٤٩- عبد المنعم الهاشمي: المرجع السابق، ص ١٠٧؛ كريتوڤولوس: المصدر السابق، ص ٢٠٤.

٥٠- حسين خوجة: المصدر السابق، ص ٤٣٢.

٥١- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٤؛ كريتوڤولوس: المصدر السابق، ص ٢٠٤.

٥٢- نفس المصدر والصفحة.

٥٣- حسين خوجة: المصدر السابق، ص ٤٣٢؛ كريتوڤولوس: المصدر السابق، ص ٢٠٤.

٥٤- نفسه، ص ٢٠٥.

٥٥- حسين خوجة: المصدر السابق، ص ٤٣٢.

٥٦- كريتوڤولوس: المصدر السابق، ص ٢٠٥.

٥٧- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٥.

٥٨- حسين خوجة: المصدر السابق، ص ٤٣٢؛ محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٥.

٥٩- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٥.

٦٠- كريتوڤولوس: المصدر السابق، ص ٢٠٥

٦١- بوخارست: تسمى في الكتب التركية (بكرش)وهي بلدة جميلة جداً قديمة العهد ولم تشتهر إلا بعد المعاهدة التي ابرمت بين الدولة العثمانية وروسيا عام ١٨١٢م، وهي عاصمة رومانيا حالياً. انظر: محمد فريد : المرجع السابق، ص ١٧٠

٦٢- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٥-٢٠٦؛ حاجي خليفة: المصدر السابق، ص ٢٠٢.

٦٣- حسين خوجة: المصدر السابق، ص ٤٣٣.

٦٤- سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٠٢؛ محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٦.

٦٥- نفس المرجع والصفحة.

٦٦- نفسه، ص ٢٠٧؛ أحمد فؤاد متولي: المرجع السابق، ص ١٥٤.

٦٧- سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٠٢؛ محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٧.

٦٨- سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٠٦.

٦٩- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٧.

٧٠- نفس المرجع والصفحة.

٧١- سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٠٦.

٧٢- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٨؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٢٠٦.

٧٣- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢٠٨.

٧٤- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢١٠.

٧٥- حاجي خليفة: المصدر السابق، ٢٠٩ ؛ محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢١٠.

٧٦- نفسه، ص ٢١٠-٢١١.

٧٧- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢١١-٢١٢.

٧٨- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٩٨١، ص ١٧٤.

٧٩- محمد سالم الرشيدي: المرجع السابق، ص ٢١٢.

٨٠- حاجي خليفة: المصدر السابق، ص ٢١٧.

81- Stanford shaw: A history of the ottoman Empire and modern Turkey , Vol1 (combridge, 1977) , P.72.

٨٢- كولي وآق كرمان: القلعتين تقع في إمارة البغدان، فقلعة كولي: تقع بالقرب من نهر الدانوب بالقرب من مصبه في البحر الأسود، أما قلعة آق كرمان فتقع على نهر الدنستير بالقرب من مصبه في البحر الأسود، وموقعها الآن في جنوب جمهورية أوكرانيا. انظر: حسين خوجة: المصدر السابق، ج١، ص ٥١٤.

٨٣- حاجي خليفة: المصدر السابق، ص ٢١٧؛ أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مكتبة الشروق الدولية، ط١، القاهرة، ٢٠١١م، ج١، ص٢٩.

٨٤- سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢١٩.

٨٥- سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢١٩.

٨٦- حاجي خليفة: المصدر السابق، ص ٢١٨.

٨٧- حسين خوجة: المصدر السابق، ج١، ص ٥١٧-٥١٨.

٨٨- سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢١٩-٢٢٠؛ حسين خوجة: المصدر السابق، ج١، ص ٥١٨-٥١٩.

٨٩- جاسم الدولي: الدولة العثمانية إبان حكم السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م)، دراسة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤م، ص ٢١.

90- EkremRasat: Osmanli muahedeleri ve kcpitulasigonlari (1300 j 1920) , ve lozan muahedesi, Turkey, matbaasi, (Istanbul, 1934) , S. 43-44.

٩١- يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية (السياسي والعسكري والحضاري) (١٢٣١-١٩٢٢م)، ترجمة: عدنان سلمان، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، ٢٠١٠م، ج١، ص ١٩٧.

92- V.J. parry: The Regions of BayezidII and selismc (1981-1520) , in M.A. cook (editor), Ahistory , of the ottoman empire to 1370, (campridge , 1976) p. 60-61.

93- Parry: Op. Cit, P.60-61.

٩٤- أحمد فؤاد متو لي: المرجع السابق، ص ٢٤٦.

٩٥- إبراهيم أفندي بجوي: التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية، ترجمة: ناصر عبد الرحيم حسين، المشروع القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٦م، ج١، ص ٢٤٨.

٩٦- فريدون أمجان: سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين (حقائق في ضوء المصادر) ترجمة: جمال فاروق، أحمد كمال، دار النيل، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢١٠.

٩٧- أحمد فؤاد متو لي: المرجع السابق، ص ٢٤٦-٢٤٧.

٩٨- فريدون أمجان: المرجع السابق، ص٢١٠؛ حسين خوجة: المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٥.

٩٩- سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٢٦٦؛ إبراهيم بجوي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٥١.

١٠٠- سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٢٦٦.

١٠١- إبراهيم بجوي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٥١.

١٠٢- سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٢٦٦؛ إبراهيم بجوي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٥٢.

١٠٣- بروت: هو نهر في إمارة البغدان، وحاليا يمثل

الحدود بين رومانيا وملدوفا ويصب في نهر الدانوب بالقرب من مصبه في البحر الأسود. انظر: حسين خوجة: المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٥.

١٠٤- داماد: Damat: كلمة تركية تعني صهر، ومحمود جلال الدين باشا كان زوجاً لابنة السلطان عبد المجيد وأخت السلطان عبد الحميد الثاني. انظر: عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الانجلوا المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م ، ج٣، ص، ١٥٨٧ .

١٠٥- إبراهيم بجوي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٥٢-٢٥٣.

١٠٦- ياش (Yas): هي مدينة رومانية قديمة وعاصمة ولاية البغدان وأطلق أسمها على معاهدة أمضيت فيها بين الدولة العثمانية والروس في ٩ يناير ١٧٩٢م.أنظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص٢٩٢.

١٠٧- فريدون أمجان: المرجع السابق، ص ٢١٢.

١٠٨- نفسه، ص ٢١٣؛ حاجي خليفة: المصدر السابق، ص ٢٨١.

١٠٩- نفس المصدر والصفحة.

١١٠- إبراهيم بجوي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٥٥.

١١١- نفس المصدر والصفحة.

١١٢- سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٢٦٧.

١١٣- فريدون أمجان: المرجع السابق، ص ٢١٣؛ يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج١، ص ٢٧٨.

١١٤- سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٢٦٧.

١١٥- فريدون أمجان: المرجع السابق، ص ٢١٣؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٢٦٧.

١١٦- حسين خوجة: المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٥؛ فريدون أمجان: المرجع السابق، ص ٢١٤.

١١٧- سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٢٦٧.

١١٨- إبراهيم بجوي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٥٥-٢٥٦.

١١٩- يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج١، ص ٢٧٨-٢٧٩.

١٢٠- سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٢٦٧.

١٢١- بيتر شوجر: أوروبا العثمانية (١٣٥٤-١٨٠٤م) في أصول الصراع العرقي في الصرب والبوسنة، ترجمة: عاصم الدسوقي، دار الثقافة الجديدة، ط١، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٣٩، ١٤٢.

١٢٢- إدريس الناصر رائسي: العلاقات العثمانية-الأوروبية في القرن السادس عشر، دار الهادي، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٢٩.

١٢٣- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٣٩-١٤٠,٣٨٠٠٠.

١٢٤- الآقجة: كلمة تركية معناها الضارب، وهي وحدة النقد الأساسية للدولة العثمانية، وهي عمله فضية، وأول من قام بضرب الأقجة هو السلطان أورخان عام ١٣٢٧م. انظر: موسى الحسيني: تاريخ النقود الإسلامية، دار العلوم، ط٣، بيروت،١٩٨٨م، ص١٠٩؛ شمس الدين سامي: قاموس تركي، إستانبول، ١٣١٧هـ، ص٤٤-٤٥.

١٢٥- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٤٣.

١٢٦- رأفت الشيخ وآخرون: إستراتيجية الدولة العثمانية في منطقة الخليج العربي ( ١٨٦٩ – ١٩١٤م )، مركز الحضارة العربية، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢٣؛ حسن أحمد حافظ: سلطنة الحريم في الدولة العثمانية، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٩٠.

١٢٧- ١نفسه، ص ١٤٤.

١٢٨- صوقوللو محمد باشا: ولد عام (٩١١ هـ/ ١٥٠٥م) في بلدة سوكول في البوسنة تولي الصدارة في الدولة العثمانية في عام ٩٧٣ هـ في عهد السلطانين سليمان القانوني وسليم الثاني، وربما كان الحاكم الحقيقي في الدولة حتى وفاة سليم الثاني عام ٩٨٢ هـ وفي عهده حدثت الحرب مع النمسا؛ حيث هزم الأسطول العثماني في معركة ليبانتي الشهيرة فساعد لتحقيق هدف الدولة في قبرص، رقي لرتبة

القائد الأعلى للأسطول عام ٩٥٣ هـ ثم أصبح حاكم الروملي، قاد قوات سليم في صراعه مع أخيه بايزيد (٩٦٧ – ٩٦٩ هـ)، وتزوج ابنه سلمي الثاني، وكان بفضل السلم، وفقد معظم سلطانه بعد موت سليم الثاني، وجرى اغتياله وتوفي عام ٩٩٣هـ وفي إستانبول. انظر علي حسون: المرجع السابق، ص١٢٣-١٢٤ ؛أحمد فؤاد متولي: المرجع السابق، ص ٢٧٧.

١٢٩- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٤٤.

١٣٠- نفسه، ص ١٤٥.

١٣١- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٥٣.

١٣٢- نويل مالكوم: البوسنة، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٠٩-١١٠؛ بول كولز: العثمانيون في أوروبا، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١١٦.

١٣٣- فريدون أمجان: المرجع السابق، ص ٢١٤.

١٣٤- طبقة البويار: هم أصحاب الأطيان الزراعية في الأفلاق والبغدان.

١٣٥- بول كولز: المرجع السابق، ص ١١٦-١١٧.

١٣٦- بول كلز: المرجع السابق، ص ١١٧-١١٨.

١٣٧- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٦٠.

١٣٨- سيد محمد السيد: دراسات في التاريخ العثماني، دار الصحوة، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٢٩.

١٣٩- نفسه، ص ١٣٠.

١٤٠- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٤٥.

١٤١- نفسه، ص ١٤٥-١٤٦.

١٤٢- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٤٦.

١٤٣- نفسه، ص ١٤٧.

١٤٤- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص١٣٥.

١٤٥- تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش: المرجع السابق، ص١٥-١٦.

١٤٦- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٣٦.

١٤٧- تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش: المرجع السابق، ص ١٦.

١٤٨- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٣٦، ١٣٧.

١٤٩- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٣٨.

١٥٠- بول كولز: المرجع السابق، ص ١١٥.

١٥١- بول كولز: المرجع السابق، ص ١١٦.

١٥٢- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٣٨ – ١٣٩.

١٥٣- نفسه، ص ١٤٢.

١٥٤- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٤٢.

١٥٥- نفسه، ص ١٤٩.

١٥٦- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٤٩.

١٥٧- نفسه، ص ١٤٩-١٥٠.

١٥٨- نفسه، ص ١٥٠.

١٥٩- تشارلز بيلافيتش، باربارا بيلافيتش، المرجع السابق، ص ١٩.

١٦٠- تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش: المرجع السابق، ص ٢١.

١٦١- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٥٣.

١٦٢- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٤٨-١٤٩.

١٦٣- نفسه، ص ١٥٠.

١٦٤- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٥٠-١٥١.

١٦٥- نفسه، ص ١٥٢-١٦٠.

١٦٦- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٥٥.

١٦٧- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٥٥ – ١٥٦.

١٦٨- نفسه، ص ١٥٦؛ تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش: المرجع السابق، ص ٢٣.

١٦٩- تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش: المرجع السابق، ص ٢٣.

١٧٠- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٥٧ – ١٥٨.

١٧١- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٥٨.

١٧٢- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٦٠.

١٧٣- نفسه، ص ١٥٩ ـ ١٦١.

١٧٤- نفسه، ص ١٦٢.

١٧٥- تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش: المرجع السابق، ص ٤٩-٥٠.

١٧٦- تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش: المرجع السابق، ص ٩٩.

١٧٧- نفسه، ص ٣٧.

١٧٨- تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش: المرجع السابق، ص ١٠٥.

١٧٩- بول كولز: المرجع السابق، ص ١٩٤؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٠٢؛ يلماز اوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٤٤-٥٤٥.

١٨٠- بول كولز: المرجع السابق، ص ١٩٤.

١٨١- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٥٣.

١٨٢- كارلوفيتز: Carlovitz هي بلدة واقعة على نهر الدانوب، تبعد حوالي ٦٥ كم عن شمال غرب بلغراد. انظر: يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٨١؛ محمد فريد: المجرع السابق، ص ٣١٠.

١٨٣- جلال يحي: تاريخ العلاقات الدولية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص ٥٩٩؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣١٠.

١٨٤- بطرس الأكبر: ولد هذا الإمبراطور الشهير عام ١٦٧٢م، وتولي الملك ١٦٨٢م فنازعه أخوه الأكبر (إيوان) وأخته صوفيا وفي عام ١٦٨٩م اشتغل بالملك بعد استقالة إيه وحجز أخته في أحد الأديرة ومن ذلك الحين أخذ في إصلاح داخليته ثم سافر إلي ممالك أوروبا عام ١٦٩٧م النظر في نظاماتها وتقليد ما ينطبق منها على عوائد بلاده وعاد إلي موسكو بعد عام وأبطل جيش ص الاسترلتز) الذي كان أشبه بعساكر الإنكشارية وجماعات المماليك بمصر وأسس مدينة سان بطرسبورج ونقل إليها عاصمته، وحارب شارل الثاني عشر ملك السويد ومملكة العجم وأخذ منها عدة ولايات مهمة وتوفي في ٨ فبراير عام ١٧٢٥م وخلفته زوجته كاترنية الأولى. انظر: محمد فريد : المرج السابق، ص ٣٠٨.

١٨٥- حسين خوجة: المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣٤-٤٣٦.

١٨٦- الطونة: هي ولاية عثمانية تقع على نهر الدانوب ويحدها شمالا الأفلاق وجنوبا بلاد البلغار. انظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص ١١٦.

١٨٧- يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٩٥؛ سيد محمد السيد: تريخ الدولة العثمانية، ص ١٦٢.

١٨٨- السابق، ص ١٦٣؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص ٢٤٢.

١٨٩- حسين خوجة: المصدر السابق، ج٢، ص ٤٤٠-٤٤١.

١٩٠- إبراهيم حليم: المرجع السابق، ص ١٧٩-١٨٠؛ اسمعيل سرهنك: المصدر السابق، ج١، ص٦٢٩؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ١٨٥.

١٩١- نهر دينيستر: Dhiestr هو نهر يفصل بين أوكرانيا ومولدافيا ويصب في البحر الأسود. انظر محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٣٥.

١٩٢- يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٦٢٤.

١٩٣- محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص ٢٨٦؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ١٨٧.

١٩٤- فوكشان: تقع إلى الجنوب الغربي من بأسي في رومانيا حاليا.

١٩٥- محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٣٧-٣٣٨؛ اسمعيل سرهنك: المصدر السابق، ج١، ص ٦٢٩-٦٣٢.

١٩٦- محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص ٢٩١ ز وللمزيد عن بنود وشروط المعاهدة. انظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٤٢-٣٥٨.

١٩٧- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٦٢-١٦٣.

١٩٨- أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص ٧٧-٧٨، سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٠١؛ بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٦٣.

١٩٩- بيتر شوجر: المرجع السابق، ص ١٦٣.

٢٠٠- يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٦٥٥-٦٥٦.

٢٠١- سيد محمد السيد: دراسات في التاريخ العثماني، ص ٢٤٢.

٢٠٢- محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص ٣٠٨.

٢٠٣- محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٨٧-٣٨٩؛ محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص٣٠٨-٣٠٩؛ اسمعيل سرهنك: المصدر السابق، ج١، ص ٦٥٢-٦٥٦؛ عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٩٨-٢٠٩.

٢٠٤- محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص ٣١٢؛ يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٦٦٨؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٩٥.

٢٠٥- محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص ٣١٣؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ٤٠٠؛ اسمعيل سرهنك: المصدر السابق، ج١، ص ٦٦٣.

٢٠٦- يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٦٦٩؛ محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص ٣١٣؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ٤٠١.

٢٠٧- يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٣، ص ٩.

٢٠٨- نفسه، ص ١١؛ محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص ٣١٦، حسين لبيب: تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، ط١، القاهرة، ١٩٢١ن ص ٦٤-٦٥.

٢٠٩- يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٣، ص١٢؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص ٢٨٤؛ كاميران عبد الصمد: كوردستان العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دار سبيريز للنشر، ط١، العراق، ٢٠٠٢م، ص ١٨٢.

٢١٠- هـ. أ. فشر: تاريخ أوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠م) ترجمة: أحمد نجيب هاشم، وديع الضبع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٣١٩-٣٢٠؛ هشان كون: القومية معناها وتاريخها، ترجمة: أمين محمود الشريف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١١م، ص ١٩٠.

٢١١- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: العلاقات الدولية بني أوروبا والشرق (١٧٨٩-١٩١٩م)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ٢٤٤.

٢١٢- يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٣، ص ٤٨-٥٠.

٢١٣- نفسه، ص ٥٠-٥٣.

٢١٤- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المرجع السابق، ص ٢٤٥؛ فشر: المجرع السابق، ص ٢٢٥.

٢١٥- يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٣، ص ١٠٨.

٢١٦- شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص ٣٠١.

٢١٧- إسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، ص ١٩٢-١٩٣.

٢١٨- نفسه، ص ١٩٥.

٢١٩- تشارلز بيلافينش: بربارا بيلافينش: المرجع السابق، ص ١٠٠.

## قائمة المصادر والمراجع

**أولا: المصادر:**


- إبراهيم أفندي بجوي: التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية، ترجمة: ناصر عبد الرحيم حسين، المشروع القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٦م
- إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية، مصر المحروسة، ١٣١٢ هـ، ج١.
- حاجي خليفة: فذلكة أقوال الأخبار في علم التاريخ والأخبار "فذلكة التواريخ" تاريخ ملوك آل عثمان، ترجمة وتحقيق: سيد محمد السيد، (د.ت)، القاهرة.

- حسين خوجه: بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق: محمد أسامة زيد، دار ابن رجب، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م.
- شمس الدين سامي: قاموس تركي، إستانبول، ١٣١٧هـ.
- ثانيا: المراجع العربية والمعربة:
- إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية (منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي)، دار إيتراك، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ١٩٩٦م.
- أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مكتبة الشروق الدولية، ط١، القاهرة، ٢٠١١م.
- بول كولز: العثمانيون في أوروبا، ترجمة: أحمد عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٣م.
- بول كولز: العثمانيون في أوروبـا، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٩٣م.
- تشارلزييلافيتش، بربارا بيلافيتش: تفكيك أوروبا العثمانية (إنشاء دول البلقان القومية) ١٨٠٤-١٩٢٠، ترجمة: عاصم الدسوقي، دار العالم الثالث، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- جاسم العدول: الدولة العثمانية إبان حكم السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م)، دراسة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤م.
- جلال يحي: تاريخ العلاقات الدولية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- حسن أحمد حافظ: سلطنة الحريم في الدولة العثمانية ، دار الآفاق العربية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٣م.
- حسين لبيب: تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، ط١، القاهرة، ١٩٢١م.
- رأفت الشيخ وآخرون: إستراتيجية الدولة العثمانية في منطقة الخليج العربي ( ١٨٦٩ – ١٩١٤م ) ، مركز الحضارة العربية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٤م.
- سيد رضوان علي: السلطان محمد الفاتح (بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط١، جدة، ١٩٨٢م.
- سيد محمد السيد: تاريخ الدولة العثمانية " النشأة والازدهار "، مكتبة الآداب للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م.
- سيد محمد السيد: دراسات في التاريخ العثماني، دار الصحوة، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م.
- شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن سويدان، دار ابن كثير، ط١، بيروت، ٢٠١١م.
- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: العلاقات الدولية بني أوروبا والشرق (١٧٨٩-١٩١٩م)، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة ٢٠٠٩م.
- عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- عبد المنعم الهاشمي: سيرة محمد الفاتح، دار الإيمان، القاهرة ،(د.ت).
- عبد المنعم الهاشمي: سيرة محمد الفاتح، دار الإيمان، القاهرة، (د.ت).
- على حسون: العثمانيون والبلقان، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٦م.
- على محمد الصلابي: الدولة العثمانية " عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار الدعوة، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.
- فريدون أمجان: سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين (حقائق في ضوء المصادر) ترجمة: جمال فاروق، أحمد كمال، دار النيل، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م.


مقالات

- كاميران عبد الصمد: كوردستان العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دار سبيريز للنشر، ط١، العراق، ٢٠٠٢م.
- كريتوفولوس: تاريخ السلطان محمد الفاتح، ترجمة: حاتم الطحاوي، دار عين للدراسات والبحوث، ط١، القاهرة، ٢٠١٥م.
- محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، كنوز للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م.
- محمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح، دار البشير، ط٢، القاهرة، ٢٠١٣م.
- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٩٨١م.
- موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام الشحادات، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.
- موسى الحسيني: تاريخ النقود الإسلامية، دار العلوم، ط٣، بيروت،١٩٨٨م.
- نويل مالكوم: البوسنة، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م.
- هـ. أ. فشر: تاريخ أوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠م) ترجمة: أحمد نجيب هاشم، وديع الضبع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م.
- هشان كون: القومية معناها وتاريخها، ترجمة: أمين محمود الشريف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠١١م.
- يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية (السياسي والعسكري والحضاري)، ترجمة: عدنان سلمان، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، ٢٠١٠م.


## ثالثا: المراجع الاجنبية:


- Shaw : History of the ottoman empire and modern turkey, vol,1 (Cambridge University press, London) , 1978.
- V.J. parry: The Regions of BayezidII and selismc (1981-1520) , in M.A. cook (editor) , Ahistory , of the ottoman empire to 1370, (campridge , 1976)


## رابعا: المراجع التركية:


- EkremRasat: Osmanli muahedeleri ve kcpitulasigonlari (1300 1920) , ve lozan muahedesi, Turkey, matbaasi, (Istanbul, 1934)




# أَثَرُ الهِجْرَاتِ العَرَبِيَّةِ على شَمَال أفَرِيقِيَّا في العَصْرِ الوَسِيط

د. علي سليمان محمد

كلية الآداب - جامعة المنوفية

مقالات

**مقدمة**

**أُطْلِقَ عَلى هِجْرَةِ بَنِي هِلَالٍ وسُلَيْم إلى شَمَالِ أَفْرِيقِيَّا في القَرنِ الخَامْسِ الهَجريِّ الحَادِيَّ عَشرَ المِيلَاديِّ تَغرِيبةُ بني هِلَال أو التَغْرِيبة فَقط، أو السِيرَةِ الهِلَالِيّة، وهي رِوايَةٌ شَعبيَّةٌ واقِعيَّةٌ غَيرَ ذَاتِ طَابَعِ أَسْطُوريٍّ، لها أهميَّةَ تَارِيخِيَّةَ في إمَاطَةِ اللِثَامِ عن القَومِ الذِيَّن صَدرتْ عَنهُم؛ فَتَعرِضُ صُورَةِ نابِضَةِ جَيَّاشة بالمَشَاعِر الإِنْسَانيَّة، فَهِيِّ تَرْوِي ما دار بين الهِلَاليَّة والزنَاتيين من معارك طَويلَةَ مَلِيئَةَ بالمُغَامراتِ والوَقَائع، وكَانتْ أَخْبَارُ هذه الوَقائع تَصْل إلى البَاقِينَ منهم في مِصْرَ، فيَنْظُمها شُعَراؤُهم في صُورةِ قَصَصٍ شَعبيٍ عَربيٍّ، عُرفَ فيما بعد بقصَة الهَلَاليَّة التي تُعَدُ من أشْهرِ وأجْمَلِ نماذج الأدبِ الشَعبي العربيِّ، في فَصْلٍ خَيالي لإِثرَاءِ النَصِ البطُوليِّ[١].**

كما أبرزَت أيَضا عِلَاقَةَ اليَهُودِ بالمُسْلِمِين فذَكَرتْ أنَّهم عَاشوا أحرَارًا آمنِين، واشْتَغلُوا بالتِجَارةِ والصَيْرَفَة كَعَهدهم في كُلِّ زَمَنٍ، وإنَّ حرصَهم على المَالِ لا يَعدُله حِرْص[٢].

بَدأتُ الحَديثَ عنْ هَذا المَوضُوعِ ببَيانِ أَصْلِ هَؤلاءِ الأعرَّابِ الذِينَ دخَلوا شمَال أَفْرِيقيَّا في القَرنِ الخَامِسِ الهِجْريِّ الحَادِيَّ عَشْرَ المِيلَاديِّ، وأمَاكِنَ إقامَتهم في الجَزيرةِ العَرَبِيَّةِ، ثَمَ سَبب هِجرَتهم وانتقالِهم إلى إفْرِيقيَّة بنَاءً على رغبَة الدولةِ الفَاطِميَّة للتَّخَلص منْ شَرهم، وفي الوقت نَفْسِه تأديبَ بَنِي زِيرِيِّ الذِيَّن شقُّوا عصَا الطَاعةِ الفَاطِميَّة، وبايعوا الخِلافَة العبَاسِيَّة، ولكنَّ هَؤلاء الأعرَّابِ استقروا واستوطنوا في شمَال أَفْرِيقيَّا مما كانَ له آثارًا مُهمةَ على كافةِ نواحِي الحياةِ في البِلاد سواءً من النَاحِيةِ الاجْتِمَاعيَّة أو الاقْتِصَاديَّة أو السِياسيَّة أو العسكريَّة، مما سنوضحه في هذا البحث.

## أولًا: أصلهم

يَنحدرُ بنو هِلالٍ وأبناءُ عُمومَتِهم بنو سُلَيْم من منصور بن قيس عيلان بن مُضر، ومن أكْبر قبائلهم جُشم والأثبج وزغبة ورياح وربيعة وعَدي والزواودة[٣]، لكنَّهم يَخْتلفُون في طَبيعتِهم وأخلاقِهم عن أجدادِهم، الذِيْن كانوا من أعْظَمِ قبائل العرب وأقواها وأبعدها أثرًا في الفتوحاتِ الإسْلاميّة المجيدة خِلالَ القرنِ الأولِ الهِجْريِّ، السَابعِ المِيلاديِّ.

تجمعوا في الحِجاز فنزل بنو سُلَيْمٍ بالقُربِ من المَدِينة المُنورة، وأقام بنو هِلال في جبل غَزْوان عند الطّائف[٤]، وهم يدخلون فيمن يسميهم ابن خلدون بعرب الجيل الرابع أو العرب المستعجمة الذِيْن فقدوا خُلق العرب الأول، وتقطعت وسائل الاتصال بين الإدارة المركزية سواء في المدينة أو دمشق والأقاليم البعيدة عنها فاحتفظ بنو هلال بأعرابيتهم، وكانوا أهل شغب، قليلًا ما يهدأون، ويكرهون النظام أيا كان مصدره، والسلب عندهم غنيمة مشروعة يقوم عليها مجتمعهم، ومن ثم كانوا من خصوم الدولة الألداء يرهبونها وترهبهم.

لم يعد لهم من القوة والقدرة وسلامة العنصر ما يمكنهم من منافسة المتغلبين على الدولة العباسية من الفرس كالبويهيين والترك والسلاجقة وغيرهم، ولهذا انسحبوا إلى وسط شبه الجزيرة وهناك عاشوا على أطراف مناطق الحضر والاستقرار دون أن يؤذن لهم في دخولها وسكناها، وقست عليهم الدول فانحصروا في صحرائهم؛ حيث اشتد بهم الفقر، واعتمدوا في معاشهم على الغارات يشنونها على الحجاز وأطراف العراق والشام، وبلغ من شدة عوزهم أنهم كانوا يهاجمون قوافل الحج وينهبونها، حتى ساءت سمعتهم وهبط قدرهم، وأصبحوا كما وصفهم ابن خلدون "خولا وأتباعا للدول وشرا وبلاء على الحضر[٥]، ولم تستطع الدولة أن تضع حدا لغاراتهم وتقي الناس شرهم.

لم يقف أمر هؤلاء الأعراب عند قطع الطرق وتهديد الأمن، بل تعدوا ذلك كله إلى الانضواء تحت راية كل ثائر يريد الاستقلال بولاية أو غير ذلك، ولعل أخطر حركة من هذا القبيل هي الحركة الدينية المعروفة بفتنة القرامطة فانضموا إليها منفعة للحصول على الغنائم والأسلاب وليس تدينا؛ لأنهم لم تهمهم مسألة العقيدة كثيرا، بل يكتفي الواحد منهم بالصلاة ليكون مسلما تقيا، وبما أنهم أعراب بدو فلم يتمكن الإسلام من قلوبهم، ولذلك عندما قامت حركة الردة بعضهم كانوا من بين المرتدين، وحاربهم الخليفة أبو بكر حتى تمكن من إرجاعهم إلى الطاعة قهرًا، وبعضهم تَرَقب الأمر يُؤخر رِجلًا ويُقدم أخرى كما يقول ابن الأثير[٦]، وعندما انتصر الفاطميون على القرامطة انفصل بنو هلال عنهم، وانضموا إلى الفاطميين فنقلهم العزيز بالله الفاطمي ٣٦٥-٣٨٦هـ / ٩٧٥-٩٩٦م إلى صعيد مصر في الصحراء الشرقية، واشترط عليهم عدم عبور النيل إلى الضفة الأخرى، وكان هدفه من ذلك الحيلولة بينهم وبين الانضمام إلى أعداء الفاطميين في المغرب، وفي الصعيد لحق بالناس منهم أذى شديدًا[٧]، ووقعت الحروب بينهم، وعم

ضررهم وأحرق البلاد والعباد شررهم كما يقول ابن خلدون[٨] وأصبحوا مشكلة كبيرة للدولة الفاطمية؛ لأنهم كرهوا الطاعة والنظام واعتبروه قيدا على حريتهم فهم دائما في صراع مع الدولة متمردين عليها.

### ثانيا: انتقالهم إلى شمال أفريقيا

تكاد تُجْمعُ المَصادر التَاريخيّة أنَّ دخول الهِلَاليّة إلى شَمال أفريقيا هو عُقوبة من الخليفة الفَاطِميِّ المُسْتَنصر بالله ٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م للأمير الزيري المُعز بن باديس[٩] ٤٠٦-٤٥٣هـ/ ١٠١٥-١٠٦١م نائب الفاطميين على شمال أفريقيا الذي أعلن استقلاله ورفضه للمذهب الشيعي وقطع الخطبة للخليفة الفاطمي وأحرق بنوده الخضراء، واضطهد الشيعة، وعاد إلى المذهب السني، وأعلن طاعته للخليفة العباسي[١٠] وكانت الدولة الفاطمية عاجزة عن الانتقام، وهنا خطرت ببال الوزير الفاطمي أبي محمد الحسن بن علي اليازوري[١١] فكرة إقطاعهم شمال أفريقيا ودفعهم إلى محاربة بني زيري، وتحقيق هدفين في الوقت نفسه، الأول: إنْ تمكنوا من القضاء على بني زيري كان ذلك خيرًا للدولة الفاطمية لتأديب المارقين، الثاني: إنْ قضى بنو زيري على هؤلاء الأعراب كان خلاصًا منهم دون أن تخسر الدولة شيئًا[١٢]، واقتنع الخليفة المستنصر بالله بهذا الرأي إذ كان يتحرق شوقا للانتقام من بني زيري، ففوض وزيره اليازوري الذي كان على خلاف شخصي مع المعز في الإشراف والتحضير لنقلهم إلى شمال أفريقيا، فقام الوزير بالتودد إليهم بِخُلَعٍ سَنية وعطايا كثيرة وإصلاح ذات البين بينهم وتسوية خلافاتهم وتَحمّل ما عليهم من ديات بعضهم لبعض[١٣]، ثم أعطى عامتهم بعيرًا وديناراً لكل منهم، وسمح لهم بعبور النيل إلى الضفة الغربية، دون أن يوصيهم بشيء، لعلمه أنهم لا يحتاجون لتوصية[١٤] وذُكِر أن اليازوري قال لهم: "قد أعْطَيتكُم المغرب ومُلْكِ المُعِز بن بُلُكِّين الصِنْهَاجي العَبدُ الآبق فلا تفْتَقرون" ثم كتب إلى المُعِز: " أما بعد فقد أَرسَلنا إليكم خِيولًا، وحَمَلنا عليها رِجَـالًا فُحولًا لِيَقْضِيَّ الله أمْرًا كَانَ مَفْعُولًا"[١٥]، ويذكر مارسية[١٦] أنهم أعْطوا وثائق بتوليةِ المُدن والقُرى بأسَماء شيوخ القبائل، وهى إجراءات تقليديّة عَامة، أما الأعراب من جانبهم فقد رحبوا بفكرة المسير إلى المغرب لتحقيق مصالحهم الخاصة طلبًا للمغنم وليس حُبًا في الفاطميين ومذْهبهَم.

وصلتْ المَوجةُ الأولى من هؤلاء الأعَراب إلى بَرْقَة سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م، وتراوح عددها خمسين ألفًا برجالهم ونسائهم وأطفالهم[١٧]، واقْترعوا على البلاد فنزلت بنو سُلَيْم في برقة ومُحِيطها في حين انطلق بنو هِلال إلى طرابلس وإفريقيّة، واستقروا دون أنْ يَجدوا مقاومَة من السكان، وأرسَلوا إلى بقيتِهم في مِصْرَ أنْ يلحقوا بهم، وتولى قِيادتِهم في هذه المرحلةِ مؤنس بن يحيي الرياحي شيخ بني رياح، وكان شُجَاعًا مُغامرًا له نُفوذ كَبير على قومه[١٨]، فقربه المُعِز ابن باديس منه وزوَّجه إحدى بنَاته وفاوضَه في استدعاء قومِه ليستعين بهم على بني عمِه من بني حَمَّاد[١٩]، فنصحه مؤنس بالعُدولِ عن ذَلك

لعدم اجْتِمَاعِهم على كَلمةٍ، أو انقِيادهم إلى طاعةٍ، لكنه ألح عليه وغلل امتناعه عن استقدامهم بحسده لقومه، فلم يسعْ يحيى إلا جلبهم إلى بلاد المغرب[20]، وهنا يتساءل مارسيه[21] عن عواقبِ هذه السِياسَة التي انتهجها حُكَام المغرب كيف لم يَتبيَّنوا خَطَرها ويَلتمسُ لهم العُذر، ويقول: نَحنُ أنفسنا لا نَعرف المَرمي الحَقِيقيّ للأحداث التي نُشاهدها الآن، واستحالة معرفة التاريخ الذي يحدث أمامنا، يَعرض علينا التسامح تجاه هؤلاء الحكام، وإن كان تصرفهم يعود لإحداثِ التوازنِ بين السُلالاتِ البربريةِ والظرُوف المحيطة بهم، والوَهْم الذي أصابهم باعتبار أنَّ العربَ أصبحوا بالنسبةِ لهم مَرضًا لا غنًى عنه. فكانوا كالمَاردِ الذي فكَّ عِقالَهُ، حيثُ غيَّرُوا وَجْه التَّاريخِ في المَنطقةِ، وَأرْبَكُوا كُلَّ المشاريعِ البربريَّةِ التي حاولتْ صِناعةَ دورًا في الحياةِ السِّياسيَّةِ؛ لذلك كانَ وُصولُهم مُدوِّيًا، واختلطتْ أحداثُه التَّاريخيَّةِ بالأُسطورةِ، وبدا واضحًا أنَّ هذه الهِجْرَة لم تكنْ مُؤَقَّتةً، وأنَّهم لم يخرجُوا من مصرَ ليعودُوا إليها مرَّةً أُخرى، لكنَّ المُؤَكَّد أنَّهم كانوا أكبرَ مَدَدٍ عِرقيٍّ مِنْ جِذْرٍ واحدٍ وصلَ شمال أفريقيا بعد الفتح الإسلاميّ.

يَسْترسلُ ابن خَلْدُون[22] في تفاصيلِ ما أنزله الهلاليون بشَمال أفريقيا من دمار وخراب، والحق أنَّ بني هِلَال هؤلاء يختلفون كُلَ الاختلاف عمن عرفناه من العرب الأُولَ الذين قاموا بالفتوحات الإسلاميّة المجيدة؛ لأن بني هِلَال لم يكونوا جيشا نظَاميا ذا هدفٍ دينيّ أو قومي معنوي واضح، كما رأينا في الفتوحات الإسلاميَّة، وإنَّما كانوا بدوًا وظلوا كَذلك لم يُغيروا طَبعهم البَدوي؛ لأنَّ طُول إقامتهم في البَوَادِي، وقوة الدول عليهم وإخراجها إياهم، من كل نِطَاقِ حَضريٍ جعلهم بدوًا أقحَاحًا، فهم يتحركون ويتصرَّفون جَماعيا، ويُطِيعون رئيس القبيلةِ ولا يعرفون رئيسا غيره، ولا يَرونَ في العُمْرانِ إلاَّ مَجالًا للغَارةِ والنَهب، فهم يُغيرون على المزارع والمنشآت دون أنْ يَنتبهوا إلى أهميتها وقيمتها ويَعيثون فيها فسادا جَهْلًا منهم، فالحجرُ مَثلًا إنَّما حاجتهم إليه لنَصبه أثافي القِدر فيُخرِّبون المباني الجميلة لذلك، والخَشبُ حاجَتهم إليه ليُعَمِدوا به خِيامَهم وإيقَادِ النَّار، فيقتلعون الأبواب والأسقف لذلك، ويطلقون قُطعانهم في المزارعِ تأكلُ الحاصِلاتِ دُون تفكيرٍ فضْلًا عن إساءةِ مُعاملة السُكان، وغير ذلك لكنْ كَانتْ تلك الحلقات هى المرحلة الأولى للهِلاليَّة في شَمال أفريقيا مما يوضح الفرق بينَ حَضارة الحَضَر وحَضارة البَدو[23]؛ أي أنَّ سببَ دُخولهم شَمال أفريقيا كَانَ الانتقام لعدمِ التَبعيَّة والوَلاءِ.

هذا كلُه غَابَ عنْ عقل المُعز بن باديس الذي تصورَ أنَّه يستَطِيع الاستعانةِ بالهِلَاليَّة على بعض خُصومه من صَنْهَاجَة، وأنَّه يسْتطِيع اتخاذهم جُندًا يستغني بهم عن الكُتَاميين وغيرهم، ولهذا رحب بمؤنس الرياحي ودعاه إلى الوفُودِ عليه بقومِه فكانَ في ذلك كالمُستجيرِ من الرَمْضاءِ بالنَّارِ[24]، لكنَّه حِينَ رَأَى ما فعلَه الهِلَاليَّة من تَدميرٍ وتَخريبٍ قَبَض على مؤنس وطلب منه الخروج بقومه من البلاد، لكن الوقت كان قد فات.

## مَوقِعةُ حَيْدَران ٤٤٢هـ/١٠٥١م

اسْتَنجدَ المُعِز بابن عمه حماد صاحب القلعة رغم ما بينهما، فأمده بألف فارس، ومثلها من زناتة(٢٥) وجمع هو جنده وانضم إليه أعقاب العرب البلديين وهم عرب الفتح الأوْل، لكنهم تخلوا عنه وانضموا إلى الهلالية أثناء المعركة عصبية، مما أدى إلى هزيمته وتفرق جيشه وفر إلى القيروان وتحصن بها وقام الهلالية بحصاره فيها، وبعد فترة خرج منها إلى المهدية، ودخل الهلالية القيروان وفعلوا بها مثلما فعلوه بغيرها فعم الخراب البلاد(٢٦)، وتُعْد هذه نِهَايَة بني زيري في إفريقيّة إذ انقسمت البِلاد إلى إقطاعيّات صَغِيرة وضَاعتْ وحدَتها.

### ثالثًا: أثَرُهم على شَمَالِ أفريقيًا

#### الأثَرُ الاجْتِمَاعيُّ

إذَا كَانَ الفَتْحُ الإسْلَاميُّ لشَمالِ أفريقيًا خَلالَ القرنِ الأوَلِ الهجري السَابعِ الميلاديِّ قد حَوَلَه إلى بلدٍ مُسْلمٍ، فإنَّ دُخولَ الهِلاليِّة إليه قد حَوَلَه إلى بلدٍ عَربيَ، فأصبحتْ اللغةُ والثقافةُ العربيَّة هي السائدة في كُلِ مُدنه وقُراه، فَيذكر ابن خَلْدُون(٢٧)، وهو يتكلم عن بني كَهلانٍ من بربر هوَّارة البرانسِ أنَّهم كانوا يظْعنون على عهده مع بني سُلَيْم بأرضِ التِلول، وأنَّهم صَاروا يتشبهونَ بهم في اللغةِ والزيِّ وسُكنَى الخِيامِ وكَسْب الإبلِ وممارسة الحُروبِ وإيِّلاف الرحلتين في الشتاء والصيف قد نسوا رطانة البربر واستبدلوها بفَصَاحة العرب فلا يكادُ يُفَرق بينهم.

مِنْ ذَلك نَرى أنَّ البَرْبَر الذِيِّن اخْتَلطُوا بالعَربِ في السُهولِ والهِضَاب قد هَجروا لُغَتهم وعاداتهم تَدريِّجيًا، واسْتَعربوا مما أدَّى إلى تَغْيِير جَوهَريٍّ في تَوزيعِ الأجنَاس في شمَال أفريقيا، فقد استقر بنو سُلَيْم في برقة وطرابلس واندمجوا مع الأهالي في هذه البلاد في المعاملة والتجارة والمصاهرة حتى أنَّ العديد من قبائل هذه المنطقة تجري في عروقهم الدماء العربية والبربرية؛ ومثال ذلك القبائل التي تنتمي إلى أبي الليل من بني سليم فَجَدُ هذه القبائل أبو الليل تزوج من زناتة واستقر هو وأبناؤه في برقة.

كما أَدّىً الهلالية كذلك خدمة كبرى لعرُوبة أفريقيا، فقد أضعفت جموعهم قوة القبائل الزناتية التي كانت تحاول السيادة على بلاد المغرب بالقوة والعنف، فقد انتشروا في كل ناحية في البلاد الممتدة إلى أحواز المغرب الأقصى، وسكنوا السهول والجبال والسواحل وصاهروا الناس فكان عملهم هذا إكمالا لتعريب شمال أفريقيا، وتحول بفضلهم إلى بلاد إسلامية عربية خالصة فتكلم أهلها العربية، وخفت حدة اللهجات المحلية في القرى والمدن المختلفة؛ لمجاورتهم لهؤلاء الأعراب وعلاقتهم بهم، فلولاهم لما صار شمال أفريقيا عربا على الصورة التي نراها الآن، فإذا كنا نفخر اليوم بالمغرب العربي فإن الفضل في ذلك يعود إلى أولئك البدو الذين غيروا التكوين البشري لشمال أفريقيا، وجددوا كلية ظروف الحياة الخاصة بها، وأدخلوا أسلوب حياة غير مألوف فيها، ورفعوا عدد البدو بنسب من المستحيل تحديدها؛ فأصبحت العروبة أغلب عليهم من البربرية بعد أن اختلطوا بالبربر

فأصبحت البلاد من أكبر بلاد العروبة وأعمقها إسلاما[٢٨].

## الأثرُ الاقتِصاديُ

يَكاد يُجْمعُ المؤرخونَ على المُبَالغةِ في تصوير مَدى الدمَارِ الذي ألحقَه الهِلَاليِّةُ بشمال أفريقيا، بل وأرجعوا سبب كل أزْمَةٍ أوْ كارثةٍ حلَّت به إلى سوءِ سيَاسة العرب عامة منذ مَراحل الفتح الأولى، وبالغ بعض المستشرقين في ذلك وألصقوا بالعرب كل نقيصة وكل حدث سيء مر بشمال أفريقيا حتى ولو كان حدث قبل مجيئهم بقرون فمثلا؛ أرجع بروفنسال ما قامت به الكاهنة حوالي سنة ٧٥هـ من تخريب لشمال أفريقيا أثناء الفتح الإسلامي إلى العرب، وأنهم هم الذين نسبوا إلى بطلة الأوراس هذه الجريمة التي لابد أن نضيفها إلى حسابهم دون أدنى ظل من الشك أو التردد[٢٩].

لا شك أن تحميل الهلالية كامل المسئولية عن هذا التخريب فيه مبالغة كبيرة، لا ننكر أنهم ألحقوا الكثير من الدمار والخراب لشمال أفريقيا، لكن المسئولية تقع أيضا على عاتق أصحاب السلطة الذين استعانوا بهم ضد بعضهم البعض بدلا من أن يحسنوا التعاون معهم.

وكما أن هناك أدلة على تدمير البدو الهلالية لشمال أفريقيا، هناك أيضا بعض الأدلة على الإغراق في المبالغة التي ذكرناها، إذْ أنَّ المعز ابن باديس قد تسبب أيضا فيما حدث لبلاده من تخريب، يبدو ذلك بجلاء في حديث ابن عذاري[٣٠] عن حِصَارِ القَيرَوان: " أمر السلطانُ كافةَ النَّاسِ بانتهاب المزروعات المحيطة بالقيروان وغيرها من المدن، كما أمَر بأنْ ينتقل أهل صَبْرَه إلى القيروان، وتخلو صبره كلها، فارتج البلد لذلك، وعظم الخطب واشتد الكرب، ومد العبيد من رجال صنهاجة أيديهم إلى خشب الحوانيت وسقائفها واقتلعوها، وخربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة، فهذا يوضح بجلاء أن الصنهاجيين وعساكر المعز قاموا بعملية تخريب واسعة، وليس الهلالية وحدهم على الأقل لذلك فاتهامهم وحدهم بتخريب شمال أفريقيا فيه مبالغة.

يبدو أن مظاهر التخريب والدمار الذي نتج عن دخول الهلالية إلى شمال أفريقيا، كان في الفترة الأولى بعد دخولهم، ولكن بعد مرور قرن تقريبًا على ذلك أقام هؤلاء الأعراب البدو علاقات تعاون وحسن جوار مع سكان شمال أفريقيا على سبيل المثال مدينة تونس قام البدو بتموين أهلها وكانت إبلهم تجلب لها القمح والعسل والزبد مما أدى إلى تقدم الصناعة لدرجة أن الحلوى التي كانت تصنع فيها كانت من أجود الأنواع، كذلك مدينة قسطنطينة التي تحدت كل عدوان على ربوتها، وعقدت مع البدو الأعراب اتفاقيات مفيدة وروابط نافعة للطرفين فيما يخص زراعة الأرض وحفظ المحاصيل، بذلك وبعد مرور قرن تقريبًا من ظهور بني هلال أصبح التعاون بين البدو وأهل البلاد هو تعويض طبيعي لخصومتهم الفطرية وقد كان استدراكا للأذى الذي سببه دخولهم أفريقيا.

خدمة أخرى قدمها البدو مقابل تعويض ألا وهى السهر على أمن المسافرين، وكان وجودهم في هذه المنطقة هو سبب هذه الحاجة فبدون إشراف البدو على حركة التنقل من منطقة إلى

أخرى كان الانتقال من مكان إلى آخر مهمة خطيرة[٣١].

كما لعبوا دورًا إيجابيًا في تطور التجارة في شمال أفريقيا إلى حد ما تمثل في تحويل طرق التجارة إلى البحر، وقيام تبادل تجاري مع دول حوض البحر المتوسط، مما أدى إلى زيادة أهمية المدن الساحلية ووفرة مواردها مثل تونس وبجاية وغيرها، وبذلك كان تطور التجارة البحرية نتيجة غير مباشرة لدخول الهلالية إلى شمال أفريقيا، إذ كان شمال أفريقيا يمثل المنافذ الشمالية للطرق الصحراوية؛ حيث يتوافد الذهب وعبيد السودان ولم تكن الخلافة العباسية وحدها هي المسيطرة على هذه المنطقة وإنما كانت الدولة الحمادية في الجزائر وبعض التجار الذين أعلن ابن حوقل عن وجودهم عام ٣٤٠هـ[٣٢].

كما يرجع إليهم الفضل في الاتصال السهل والمستمر بين بلاد الساحل والصحراء؛ لأن التنقلات المستمرة للبدو خلقت اتصالات وسهلت تبادل المواد الغذائية وغيرها بين مدن الساحل والصحراء، فكانوا يمدون سكان الواحات بالقمح الذي ينقلونه من الشمال وفي أسواق الشمال يبيعون البلح وإنتاج قطعان سكان الجنوب[٣٣].

حقق الأعراب ثروات اقتصادية كبيرة في شمال أفريقيا، وفوض إليهم ولاة الأمور أمر تحصيل الضرائب من السكان مقابل إعفاء أراضيهم من الضريبة ولا شك اختيارهم للقيام بذلك يرجع إلى قوتهم ومهابتهم[٣٤]، ويدل على ذلك الغنائم التي غنمها الموحدون منهم بعد هزيمتهم في سطيف عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م إذ وصفها عبد المؤمن بن علي بقوله: لم يسر الموحدون إلا بين إبل رائعة وسائمة وأبقار وأغنام لم تحط بها الأبصار[٣٥].

## الأثَرُ السِيَّاسِيُّ

نَجَح الفَاطِميونَ في الانتقَامِ من المُعِز بن باديس، الذي اضُطرَ إلى العودة للولاء للفاطميين، وبخاصة بعد مقتل اليازوري عدوه، عام ٤٥٢هـ، وأرسل المعز وابنه من بعده الهدايا للقصر الفاطمي، واستعملت السكة الفاطمية منذ سنة ٤٥٤هـ، وتم تبادل الهدايا بين المهدية والقاهرة كدليل على الطاعة والتبعية.

تراوحت علاقة الهلالية ودول شمال أفريقيا بين التقريب أو الإبعاد حسب مصالحها، وفي الوقت نفسه تذبذبت علاقة البدو بهذه الدول بين المعاونة أو المعارضة حسب مصالحهم أيضًا، لذلك اضطربت علاقة هذه الدول بالبدو فإذا كانت الحاجة إليهم قربوا رؤساءهم بالمصاهرة والمجالسة وإقطاعهم الأراضي، وإذا استغنوا عنهم حاولوا قهرهم وتجريدهم من امتيازاتهم، من ذلك أراد بنو حماد الاستعانة بالبدو هؤلاء فروضوهم واستغلُّوهم في حُروبهم ضدَّ أبناءِ عُمومتهم من بني زيري، وضدَّ زناتة والمُرابطين أيضا، واستخدموا معهم السياسةَ الوحيدةَ النَّاجحةَ؛ وهي سياسةُ التَّفريقِ، فمالئوا بعضَهم علي بعضٍ، وارتبطُوا مع بعضِ بُطونهم بحلفِ مثل الإثبج، ورأوا فيهم جُنودًا مُرتزقةً فقط، فكان كُلٌّ منهم يسعَي لِمُحالفةِ فريقٍ مِن العربِ لمُساعدتِهِ في تنفيذِ مآربِهِ ضدَّ الآخرين، وهذا ما يَطلقُ عليه علماءُ الاجتماعِ بالسُّلُوكِ

مقالات

الانقساميّ للقبيلةِ الواحدةِ بين نزعتي الانشطارِ والانصهارِ، ممّا ينطبقُ على البُطونِ الصنهاجيّةِ والبُطونِ العربيّةِ، لكنّ الظُّروفَ خدمتْ العربَ، وقـادتْ إلى نموِ وَعْيِهِمْ السياسيّ ومُضاعفةِ قُدراتِهِمْ الاقتصاديّةِ بشكلٍ لافتٍ(٣٦).

إذًا لم يكنْ وَلاءُ الأعرابِ لبني حمّاد نوعًا من الوفاءِ كما يزعمُ البعضُ، لكنّه كان دفاعًا عن مكاسبِهم السياسيّةِ والاقتصاديّةِ والاجتماعيّةِ التي تمتّعُوا بها في المنطقةِ، فقد سيطرُوا على ضواحِي إفريقيّةَ وتركُوا لبني زيري الحواضِرَ، ولا أدلّ على ذلك من أنّهم كانوا يأخُذون نِصْفَ غلّةِ مملكةِ بني حماد نظيرَ حِمايَتِهِمْ للأراضِي الزّراعيّةِ، ومن ثم فإنّ دُخولَ عُنْصُرٍ قويٍّ مثلِ المُوحّدين في المُعادلةِ السياسيّةِ سوفَ يقضي على مَكاسِبِهم ويُقيّدُ حُريّتَهم، فالعرب كما قيل عنهم:" أولًا وأخيرًا لا تنقادُ لقائدٍ ولا تلينُ في يدِ قاهرٍ، ذهابًا بنفوسها، وطاعةً لأنفتها وإباية عمّا تظنُّه أنّه يضع من شرفها ".

كان وجُود الهِلَاليّة في شمال أفريقيا في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي فاتحة لتاريخ الدول المغربية الكبرى مثل دولتي المرابطين والموحدين، وبذلك انتقل مركز الثقل في شمال أفريقيا من الشرق إلى الغرب، وإعطاء القيادة للمغرب الأقصى الذي أصبح الجبهة الأولى للجهاد دفاعا عن الإسلام في الأندلس(٣٧).

كما لعبوا دورًا مهمًا في المنازعات بين أمراء السلطة في عهد الموحدين إذ استعان الخليفة عبد المؤمن بن علي بزعماء بني هلال في نقل ولاية العهد من عمر الهنتاتي -أحد كبار الموحدين- إلى ابنه محمد سنة ٥٥١هـ؛ وذلك لأن الاتفاق كان يقضي بأن يتولى عمر الهنتاتي الخلافة بعد عبد المؤمن، فلما أنجب عبد المؤمن أبناء كُثر أراد أن يورث ابنه الخلافة فأحضر أمراء الهلالية وأحسن إليهم بالهبات والعطايا، وأوحى إليهم عن طريق بعض رجاله أن يطلبوا منه أن يجعل الأمر من بعده لولده، وفعلًا طلبوا منه ذلك، وهو يمتنع إكرامًا لعمر فلما أدرك عمر حيلته وخاف على حياته، خلع نفسه من ولاية العهد وتمت البيعة لمحمد بن عبد المؤمن(٣٨)، وبعد ذلك شاركوا في الصراع على السلطة بين العادل ت ٦٢٤هـ/١٢٢٦م وأخيه المأمون ٦٢٩هـ/١٢٣١م؛ حيث كان ذلك أول مرة يشارك فيها هؤلاء الأعراب في الصراع على السلطة إلا أنهم بعد ذلك شاركوا بصورة مستمرة ومطردة وقاموا بدور مهم في جميع الأحداث السياسيّة(٣٩).

وفـي شمال أفريقيا كـانـوا يشاركون في المنازعات بين الدول والقبائل؛ لأن كل خصم كان يستعين بهم ضد خصمه، كما شاركوا في المؤامرات التي كانت تحدث للوصول إلى الحكم، وهذا بدون شك من أخطر ما لحق بالبلاد جراء الهلالية، فإذا كانت الأزمات الوراثية هى مرض فطري للإمبراطورية الإسلامية في شمال أفريقيا فوجود البدو فيها يسهلها ويجعلها تتفاقم والمطالب بالعرش الذي يعيش في معسكر البدو يجد لديهم المناصرين له؛ لأنه في حالة نجاحه سيعترف بفضلهم ويمنحهم الامتيازات الكبيرة، وبذلك تدخل البدو في تقلبات الأسر الحاكمة(٤٠).

## الأثَرُ العَسْكَرِيُّ

نتج عن انحسار الدولة الصنهاجية إلى الشمال بسبب دخول بني هلال شمال أفريقيا عناية الصنهاجيين بشؤون البحر مما أدى إلى صراعهم مع النورمان، فأسس تميم بن المعز أسطولًا ضخمًا بدار الصناعة بالمهدية، وقام هو وابنه يحيى بالغارات البحرية المتواصلة على صقلية والسواحل الإيطالية عامة، وقيام كثير من رجال البحر المسلمين القيام بأعمال القرصنة، وكان لهذه الغارات أثرًا في قيام النورمان بتوجيه هجماتهم على المهدية واستيلائهم عليها وعلى بعض المدن الساحلية في أفريقيا(٤١) واستمر احتلالهم لها مدة اثنتي عشرة سنة حتى أجلاهم عنها عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين عام ٥٥٤هـ/١١٤٩م.

كما قدم بنو هلال المساعدة العسكرية لدولة بني زيري عندما هاجم النورمان الساحل الأفريقي، ففي سنة ٥١٦هـ جمع روجار أسطوله المكون من خمسة وعشرين سفينة وهاجم ساحل دولة بني زيري، فاستعد الحسن بن على بن تميم لذلك واستعان بالبدو من بني هلال الذين انتصروا على هذا الأسطول وقضوا عليه ورفضوا منحهم الأمان وقتلوهم عن آخرهم(٤٢).

غَزَا المُوحِّدُون شَمَالَ أفريقيًا بعد استقرارِ الأَعْرَابِ فيها بقرنٍ من الزَّمانِ؛ حيثُ أصبحُوا أَصحَابَ سُلْطانٍ وامتيازاتٍ في المنطقةِ؛ فكان الصِّدامُ بين القُوَّتين لازمًا؛ قوةٌ تُريدُ الحِفاظَ علي مُكتسباتِها؛ وهم الأعرابُ، وأُخرى تُريدُ فرضَ هيمنتِها علي المنطقةِ بِمَنْ فيها، ولأوَّلِ مرَّةٍ يجدُ هَؤلاءِ الأَعْرابِ قُوَّةً مُنظَّمةً قادرةً علي قهرِهِمْ؛ تُحاوِلُ أنْ تَتعامَلَ معهم بقدرٍ مِن الدُّبلوماسيَّةِ حينًا والقُوَّةِ أحيانًا أُخرَى، كان رَدُّ فعلِ الأعرابِ مُرتبكًا مثْلَ الظُّرُوفِ التي أحاطتْ بهم من قبل، قرر المُوحِّدُون الاستفادةَ من القدراتِ القتاليَّةِ للأعرابِ التي يُمكِنُ أنْ تُمثِّلَ فصيلًا مُوازيًا للبربرِ، يكونُ قادرًا علي حفظِ التَّوازُنِ الدَّاخليِّ للدَّولةِ؛ لذلك جاءت دَعوَاتُ المُوحِّدُينَ لهم بالهجرَةِ إلى المغربِ الأقصى؛ والاشتراكِ في جهادِ النَّصارَى بالأندُلسِ، ضمنَ خُطَّةٍ طموحةٍ، تَنُمُ عن عقليةٍ سِيَاسِيةٍ قادرةٍ على الاحتواءِ، ولم يُعْدَمْ المُوحِّدُون المُبرِّراتِ لهجرتِهِمْ، فحاولُوا استمالَتَهم بكافَّةِ الوسائِلِ والتَّقرُّبَ منهم، واصطناعَهم والاستقواءَ بهم من النَّاحيةِ العسكريَّةِ كمُحاربينَ أكفَّاءٍ، وَبَدَا واضحًا رغبتُهُمْ في دُخولِ عُنصرٍ عُروبيٍّ إلى نسيجِ الدَّولةِ البربريَّةِ، بادِّعاءِ زُعماءِ المُوحِّدين انتسابَهم للعربِ.

يقول ابن الأثير(٤٣) إنَّ الخَليفة عبد المؤمن ابن علي لما استرد المهدية من النورمان جمع أمراء البدو من بني رياح وغيرهم، وبين لهم أنَّ المشركين قد استفحل أمرهم في الأندلس، وأنَّ العرب هم النُّد القويُّ لهم، وأنَّ بهم فتحت البلاد في أول الإسلام وبهم يُدفع عنها العدو الآن، وطلب منهم عشرة آلاف مقاتل للجهاد في سبيل الله فأجابوه وأحلفهم على المصحف وخرجوا معه ولكنه علم من أحد أمرائهم وهو يوسف ابن مالك أنَّ العرب كرهت المسير إلى الأندلس وقالوا إنما غرضه إخراجهم من بلاده، ولذلك فلم

يفوا بما أقسموا عليه وصح ما ذكره يوسف بن مالك إذ هرب العرب وتوغلوا في الصحراء، ولم يبق مع عبد المؤمن إلا يوسف هذا لذلك سماه عبد المؤمن يوسف الصادق، لكن عبد المؤمن أفسد خطتهم وأجبرهم على العبور معه إلى الأندلس ولما عبروا أقاموا في الأندلس فبعضهم أقام في نواحي قرطبة وبعضهم في نواحي اشبيلية ويقول المراكشي(٤٤) فهم باقون إلى وقتنا هذا –وهو سنة ٦٢١هـ-، وحقق الموحدون انتصارات كثيرة في الأندلس بفضل معاونة الأعراب لهم، والتي أشاد بها الشعراء وغيرهم(٤٥).

أخيرًا أنه يُمكنُ قِرَاءةُ حادثة دُخول الأعْرَابِ الهلاليةِ إلى شمَال أفْريقيا قِرَاءاتٍ مُتعددةٍ، تَبعًا لخلفيةِ كُل شخص وميوله، وقناعاته، ومن ثم يقوم بالانتقاء والحجب تبعا لما يُراد الوصول إليه، هذه السمات لا يمكن التجرد منها مهما حاول الباحث التحلي بالموضوعية، لكن يجب ألا يكون مفرطًا متجاوزًا حد الإسراف.

## الهوامش

١- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سلسلة الذخائر، ٢٠٠٧، الجزء السادس، ص ١٨-١٩، حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٦٨-١٦٩، جورج مارسية: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ترجمة، محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١، ص٢٤٠.

٢- عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٢٥ وما بعدها، محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٩٠-١٩١.

٣- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص١٦٦، عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، ص٥٢. مَع أنَّ كثيرًا من هؤلاء الأعراب كانوا من بني سُلَيْم، فإن اسم هِلاَل غلبَ عليهم جميعًا، وأنَّهم كانوا أعمق في البَدَاوة وأعنفَ من بني سليم في معاملة الناس وإنزال الضرر بهم، فأصبح الكل يُنسب إلى هلال بن عامر بن صعصعة، وسموا هلالية وأن الرئاسة كانت فيهم، كما أن شهولة اسم هلال ربما له أثر في ذلك أيضا. عبد الحميد بوسماحة: رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، وزارة الثقافة ٢٠٠٨، ص ٦٧.

٤- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص ١٢-١٣، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٥٨٠.

٥- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص١٣. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٦٦.

٦- الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، تحقيق، أبو الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص ٢١٠.

٧- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٦٧.

٨- تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص ١٤.

٩- هو أبو تميم المعز بن باديس ولد سنة ٣٩٩هـ وتولى الحكم وسنه سبعة أعوام وتوفى سنة ٤٥٣هـ، وكانت مدة حكمه ٤٧سنة وقطع دعوة الشيعة من إفريقية وأحيا السنة مرة ثانية. ابن عذاري: البيان المغرب الجزء الأول، ص ٣٢٣. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، نقله إلى العربية، حمادي الساطي، الجزء الأول،

دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص ١٦٧وما بعدها.

١٠- ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الأول، تحقيق، بشار عواد معروف وابنه محمود، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص ٣١٥.

١١- هو الناصر للدين بن غياث المسلمين الوزير الأجل أبو محمد بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري فلسطيني الأصل من قرية يازور استطاع أن يصل إلى خدمة أم الخليفة المستنصر، وكان لها النفوذ القوي فأصبح مديرا لأعمالها ثم ترقى في المناصب حتى تولى الوزارة سنة ٤٤٢هـ، وبلغ من النفوذ أن كتب اسمه على الطراز والسكة وظل اليازوري يملك ناصية الأمور حتى قبض عليه فجاة سنة ٤٥٠هـ، وقتل بتنيس ودخلت مصر بعده في فترة من أحلك فتراتها .

١٢- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص ١٤، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٦٧، جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ص ٢٢٢.

١٣- ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ترجمة، عبد الرحمن حميدة، مراجعة على عبد الواحد ، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٥٢ وما بعدها.

١٤- ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الأول، ص ٣١٥.

١٥- تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص ١٤.

١٦- بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ص ٢٢٣.

١٧- يصعب تقدير أعدادهم وإن كان مارسيه يقدرهم بمليون ويؤكد على المبالغة في هذه الأرقام. بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص ٢٢٣، حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص ١٦٨.

١٨- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص ١٤، حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص ١٦٨

١٩- ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الأول، ٣١٥، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص ١٤-١٥.

٢٠- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٥٨٢، جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ص ٢٢٣.

٢١- بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ص ٢٣٤.

٢٢- تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص١٤-١٦.

٢٣- جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص٢٤٠، حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص ١٧٠.

٢٤- حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٧٠.

٢٥- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص ١٥.

٢٦- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص ١٥-١٦، ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الأول، ص ٣١٦، مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص ٢٢٤-٢٢٥.

٢٧- تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص١٥-١٦.

٢٨- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص ١٦-١٨،ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الأول، ص ٣٤١، مارسية: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص ٢٥٩، حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٧٢، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٥٨٨-٥٨٩.

٢٩- فايزة محمد صالح أمين: غزو بني هلال وسليم للمغرب، رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية، ١٩٨١، ص ١٦١.

٣٠- البيان المغرب، الجزء الأول، ص ٢٩١.

٣١- جورج مارسية : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص ٢٤٤-٢٤٥.

٣٢- أندرية ميكيل: الإسلام وحضارته، ترجمة زينب عبد العزيز، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص ١٤٥.

٣٣- جورج مارسية : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص ٣٢٨

٣٤- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص٤٩، للمزيد راجع، عبد الرحمن بشير: العرب في عصر الموحدين بين الخضوع والتمرد، مقالات دار عين ، القاهرة، شبكة الانترنت.

٣٥- ليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، المطبعة الاقتصادية، رباط الفتح، ١٩٤١، ص ٣٣

٣٦- للمزيد راجع، عبد الرحمن بشير: العرب في عهد الموحدين بين الخضوع والتمرد.

٣٧- جورج مارسية : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص ٢٦٩

٣٨- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الحادي عشر، ص٢١١

٣٩- محمد القبلي: الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ ص٤٦-وما بعدها، عبد الرحمن بشير : العرب في عهد الموحدين بين الخضوع والتمرد.

٤٠- جورج مارسية: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص ٣٢٦.

٤١- ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الأول، ص٣٤١، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٥٨٥.

٤٢- ابن عذاري: البيان المغرب، الجزء الأول، ص ٣٠٨

٤٣- الكامل في التاريخ، الجزء التاسع، ص٤٣١-٤٣٢.

٤٤- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٢٩٣-٢٩٥.

٤٥- للمزيد ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء السادس، ص ٢٠ ، جورج مارسية : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص ٣٢٣ ، عبد الرحمن بشير: العرب في عهد الموحدين بين الخضوع والتمرد.

## المصـادر والمراجع


**المصادر**

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، تحقيق، أبو الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.
- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سلسلة الذخائر، ٢٠٠٧.
- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق، بشار عواد معروف وابنه محمود، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ترجمة، عبد الرحمن حميدة، مراجعة علي عبد الواحد ، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

**المراجع:**

- أندرية ميكيل: الإسلام وحضارته، ترجمة زينب عبد العزيز، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٥.
- الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، نقله إلى العربية، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة،الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
- جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ترجمة، محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١.
- عبد الحميد بوسماحة: رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، وزارة الثقافة، ٢٠٠٨.
- عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٦م.
- عبد الرحمن بشير: العرب في عصر الموحدين بين الخضوع والتمرد، مقالات دار عين ،القاهرة، شبكة الانترنت..
- فايزة محمد صالح أمين: غزو بني هلال وسليم للمغرب، رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية، ١٩٨١.
- محمد حمدي المناوي: الـوزارة والـوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠.
- محمد القبلي: الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
- ليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، المطبعة الاقتصادية، رباط الفتح، ١٩٤١.



# دار سكة سبو
# موقع على حوض نهر سبو نسيه التاريخ

**عبد الرحمن أمل**
باحث من القنيطرة - المغرب



**تقديم:**

**لا يخفى ما لنهر سبو[١] من أهمية ومكانة عند سكان المغرب منذ أقدم العهود، فهو من أعظم أنهار المغرب[٢]، ونسج عبر تاريخه الطويل علاقات جدلية مع محيطيه الطبيعي والبشري. ولن نتعرض لأهمية هذا النهر من حيث المعطيات الهيدرولوجية أو الجيومورفلوجية...، تاركين هذه المهمة لعلماء الجغرافيا والمناخ وذوي الاختصاص، وسنحيد بدورنا إلى جانب اشتغالنا؛ أي التاريخ، وعليه سنحاول التعرض لمنشأة إدريسية حملت اسم: " سبو"، مما يجعل الأمر يظهر إثباتا صريحا بخصوص تفاعل- دينامية- "نهر سبو" ومحيطه، وبخاصة البشري.**

بزغ اسم نهر سبو مع دخول الإسلام إلى المغرب الأقصى، إذ سيطر الأدارسة عند تأسيس إمارتهم على المناطق المتاخمة لحوض نهر سبو، وجهات المغرب الشمالي، وأخذوا بعاملين مهمين، أولهما ارتبط فيه البعدان السياسي والعسكري؛ لوجود من شايعهم من القبائل بالقرب من حوض نهر سبو، واستقرار إدريس الأكبر (١٧٢-١٧٥هـ/٧٨٨-٧٩١م) بمنطقة وليلي بين قبائل فازاز، وكانت قبيلة أوربة أول من بايعه[٣]. وذكر ابن خلدون غيرها مثل زواغة ولواتة وسدراتة وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة[٤]، واستجاشها إدريس الأول[٥]، وبدعمها نشر دعوته وسط القبائل ووسع نفوذه. ويتعلق العامل الثاني بالبعد الاقتصادي، فبالإضافة لغنى حوض سبو بالخيرات الفلاحية، كانت مدينة وليلي مهد الأدارسة الأول مركزا تجاريا مهما منذ العهد الروماني، نظرا لخصوبة ما حولها من الأراضي[٦]، وإلى جانب كونها محطة تجارية

مشهورة، وهذا المعطى الاقتصادي سيمنح الإمارة الناشئة إمكانية التحكم في مجالات فلاحية واسعة، كما سيقدم لخزينتها بعض المداخل نتيجة ما يفرض من ضرائب على المحاصيل الفلاحية، أو على القوافل التجارية العابرة لمجال نفوذها(٧).

## ١- طوبوغرافيا أولية لمراكز السك الإدريسية:

لما تولى إدريس الثاني (١٨٧-٢١٣هـ/٨٠٣-٨٢٨م)، استبحر نفوذ الإمارة الإدريسية في عهده وتطور عمرانها(٨)، وعرفت صحوة اقتصادية، مما حدا بالأمير إلى الشروع منذ توليته بالتفكير في سك عملة باسمه. فأحدث أماكن جديدة لضرب العملة إلى جانب تلك الدور التي تركها أبوه(٩)، في أصيلا والبصرة وتلمسان وتهليط وطنجة والعالية ومريرة وورغة ووزقور ووطيط ويكم، إضافة إلى دار سكة سبو(١٠). وقد حملت مجموعة مهمة من دور الضرب أسماء الأنهار، فمن بين (٢٣) دارا للسك المذكورة بمصنف أوستاش ثبت وجود (٩) دور لضرب العملة على ضفاف الأنهار والوديان(١١)، ومنها دار سكة سبو محور دراستنا(١٢).

توضح هذه المنشآت النقدية السياسة المالية والنقدية للأدارسة، وبخاصة عندما كانت الإمارة في أوج قوتها(١٣)، وقد تركزت هذه الدور على طول المعابر التجارية، أو بالقرب من المجالات الفلاحية وبعض الأسواق، نظرا لحلول المقابضة في التعامل بدلا من المقايضة(١٤). ويفرض تقسيم المجال المغربي في العهد الإدريسي وجود مدن بمحاذاة دور السكة، أو وقوع هذه الدور داخل أسوار تلك الحواضر، ما يرسخ المشروع الحضري للأدارسة للتغلب على البيئة القروية لساكنة المغرب. وربما خفت إشعاع شبكة الحواضر هاته - المتوسطة والصغرى(١٥)- أمام المدن الكبرى المجاورة(١٦)، التي كانت بدورها تبدو أقل تطورا وأهمية من الحاضرة الإدريسية فاس ذات النفوذ السياسي المتزايد لكونها مقر الحكم، والقاعدة الاقتصادية الأولى بالإمارة؛ لاستقطابها التجارة والتجار من كل حدب وصوب، ولأنها أيضا نبراسا للعلم يقصد مدارسها الطلبة من البلاد البعيدة وشتى البقاع.

وتُجمع المصادر على امتداد نفوذ إمارة الأدارسة في عهد إدريس الثاني، وتؤكد اتساع مجال سيطرته، وسلطت الضوء على بعض تحركاته، لكنها لم تحدد معالم هذا المجال في الغالب بدقة، وفي معظم الأحيان نستدل على أسماء الأماكن والمدن التابعة لإدريس الثاني بتفحص أسمائها داخل نقوش النقود التي ضربت باسمه، ومع الأسف طمست معالم عدد مهم منها. فالنقود مصدر موثوق به للتعرف على أسماء البلاد، وعلى مدى امتداد نفوذ الإمارة الإدريسية وحدودها الجغرافية(١٧)، ولو أن بعض أسماء تلك المدن تكون غريبة على النصوص والخرائط "ومن ثم لا بد من القيام بأبحاث تدخل في نطاق **الطوبوغرافيا التاريخية**"(١٨)، للاستدلال عليها وتحديد مواقعها إن أمكن. وتنبه أوسطاش لأمر اختفاء واندثار العديد من دور الضرب الإدريسية

لكونها كانت في الغالب بلدات صغيرة[١٩]، وهذا مآل دار سكة سبو.

وعليه فاختيار مكان دار لضرب النقود -حسب الباحثة بنحساين رجاء- يخضع لاستراتيجية سياسية، وتوفر مجموعة من الشروط مثل الموقع الجغرافي، والدور التجاري والسياسي، لذلك عمل سلاطين الغرب الإسلامي على اختيار مدن السك لأهميتها الاقتصادية والسياسية[٢٠]. ومع نشاط الرواج الاقتصادي على المحاور التجارية، ترتفع أهمية المراكز الواقعة على طولها من مدن وقرى، فتزداد أهمية المنشآت النقدية الواقعة على طول تلك المعابر التجارية داخليا أو عالميا[٢١].

وفي هذا السياق نتساءل عن أسباب ودوافع إحداث دار سكة "سبو"؟ وكيف اندثرت؟

## ٢- سبو حاضرة إدريس الثاني الأولى:

إن الأسباب الأولى المعروفة والتي أمدتنا بها المصادر، هي بحث إدريس الثاني عن موضع لبناء مدينة جديدة ليعوض بها مدينة وليلي التي لم تعد تستوعب ساكنيها: "فلما رأى إدريس رضي الله عنه أن الأمر قد استقام له، وعظم ملكه، وكثر جيشه، وضاقت بهم المدينة، عزم على الانتقال عنها، وأراد أن يبني مدينة يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته"[٢٢]. ومع معطى الاكتظاظ السكاني بدأت عملية البحث عبثا عن مكان ملائم لإحداث مدينة جديدة، وأثناء خروج إدريس الثاني للصيد وقع اختياره على موقع آخر قرب:"... وادي سبو؛ حيث هي حمةُ خولان[٢٣]، فأعجبه الموضع لقربه من الماء، ولأجل الحمة التي هنالك، فعزم على أن يبني به المدينة، **وشرع في حفر الأساس وعمل الجير وقطع الخشب**، وابتدأ **بالبناء**، ثم نظر إلى وادي سبو وكثرة ما يأتي به من المدود العظيمة في زمن الشتاء، فخاف على الناس الهلكة، فبدا له في بنائها ورفع يده عنها ورجع إلى مدينة وليلي"[٢٤]، وكان ذلك في شهر المحرم فاتح سنة ١٩١ هـ[٢٥]. ويبدو أن مدينة صغيرة شيدت فعلا إثر المحاولة الثانية، ويتضمن نص ابن أبي زرع ما يلمح لذلك بقوله:"... **وشرع في حفر الأساس وعمل الجير وقطع الخشب**، وابتدأ **بالبناء**..."[٢٦]، وتتعزز فرضية بناء مدينة "سبو" بما ورد عند الجزنائي عن تقلب إدريس الثاني لبناء مدينته: "وجال جملة من النواحي إلى أن بلغ جبل زالغ فعزم أن يبني به مدينة عظيمة، فظهر له أن الهوام تكثر فيه زمن القيظ فانتقل لوادي سبو، وعزم أيضا أن يبني به مدينة، **فظهر له أن المدود تصل إليها زمن المطر**..."[٢٧]، وفي العبارة الأخيرة تأكيد على بناء المدينة:"... المدود تصل **إليها**" فالجملة في الماضي وليست في المضارع فلو كانت المدينة غير موجودة لجاءت العبارة على الشكل الآتي "...والمدود ستصل إليها"؛ أي أن إدريس قد عاين بنفسه وصول ما يجرفه نهر سبو عند نزول الأمطار، وكون تلك السيول تصل إلى المدينة التي شرع في اختطاطها، وكانت تشكل تهديدا على سلامة الرعية، ما يعلل أسباب

دار سكة سبو موقع على حوض نهر سبو نسيه التاريخ

توقيف البناء وتغيير وجهته صوب منطقة جديدة. وكانت هذه المحاولة الثانية كما سبق الذكر في شهر المحرم فاتح سنة ١٩١هـ، الذي وافق ١٧ نوفمبر ٨٠٦م؛ أي في الأسابيع الأخيرة من فصل الخريف وأزوف دخول فصل الشتاء[٢٨]، ويتضح من خلال الإشارات المصدرية السالفة الذكر، أن تلك السنة قد عرفت تهاطل أمطار غزيرة منذ أواخر فصل الخريف، وصاحبها تدفق السيول نحو موقع سبو، ما أجبر المولى إدريس الثاني على إلغاء مشروعه.

والمرجح أن الموضع المذكور سلفا والذي اختاره الأمير الإدريسي وبدأ في بنائه؛ ليتخذ منه مدينة له، هو نفسه مكان دار سكة سبو الشهير في عهده، هذا هو رأي أوسطاش الذي ذهبنا على مذهبه[٢٩]، كما نتفق معه أيضا بخصوص نقطة عدم توفر معلومات كافية بشأن دار سكة سبو، إذ يشير إلى تفرد المقدسي بذكر تواجد مدينة بالمغرب الأقصى تحمل اسم "سبو"[٣٠]، ويرد ذلك أثناء وصف المقدسي لجهة فاس: " ...ومن مدنها البصرة زَلُول الجاحد سوق الكتامى ورغة **سَبُوا**[٣١] صنهاجة هوارة..."[٣٢]، والمعروف أن المقدسي(٣٣٦-٣٨٠هـ/٩٤٧-٩٩٠م)[٣٣] عاش في أواخر عمر الدولة الإدريسية، وقد أولى في كتابه أحسن التقاسيم اهتماما بالغا لمدن المغرب الأقصى في العهد الإدريسي؛ لكونه دخله في أحد أسفاره، فكان ما ذكره من معلومات بشأن المغرب يحظى بدرجة عالية من المصداقية[٣٤]، وهو ما يعزز فرضية وجود مدينة "أو موقع" تحمل اسم " سبو".

ولا شك أن هذه النصوص تؤكد حقيقة مهمة غيبتها المصادر وحتى الدراسات الحديثة، وهي كون موقع "سبو" شكل أول نواة لأول مدينة أسسها إدريس الثاني وأشرف عليها بنفسه، ومدينة سبو - مشروع مدينة-[٣٥] ربما لو تم إكمال بنائها لتولدت عنها أول حاضرة وعاصمة في عهد إدريس الثاني؛ لأنه خرج بحثا عن مكان لتأسيس عاصمة جديدة على ما اشتهر بالمصادر. وأمام ما سبق ذكره تظل مجموعة من التساؤلات عالقة، يمكن إدراج بعضها على النحو الآتي:

١- لماذا تجاهلت المصادر موقع "مدينة" - سبو- كان من المفترض أن يصبح العاصمة الأولى لدولة إدريس الثاني؟

٢- ولِمَ لم تتوقف عملية بناء المدينة إذ توفرت ضمن تخطيطها على أول دار سكة في عهد إدريس الثاني كما سنتتبع؟.

٣- وما الغرض من تصميم - دار سكة- ذات أبعاد سياسية واقتصادية ودينية مادام الأمير الإدريسي سيغير رأيه في اتخاذها حاضرة له؟

الأكيد أن إنشاء دار سكة سبو[٣٦] يشوبه الكثير من الغموض وعلامات الاستفهام، مثل ذلك الغموض الذي أحاط ببناء مدينة فاس وبمؤسسها الأول؟[٣٧]، ما يجعلنا نقف عاجزين على وضع تصور تقريبي لهندسة المدينة وشكلها العام، وإن كان تخطيطها سيحتفظ في الغالب بشكل المدينة

مقالات

الإسلامية وبملامحها وهويتها، كتشييد الأسوار ودار الإمـارة والمسجد والسوق والمخازن والحمامات...؛ أي تنوع المباني، والامتزاج بين وظائفها الدينية والأمنية والتجارية....، مع وجود بناية ذات خصوصية مهمة، وهي دار لضرب العملة، والتي أصدرت نماذج نقدية لولاها ما علمنا بوجود هذه المدينة، ولا كانت شبه غريبة على خريطة المدن الإدريسية.

وانطلاقا من المعطى الأخير، ثبت بدون جدل كون مصنع سبو أقدم دار سكة أنشأها إدريس الثاني، وأول من أصدر النقود باسمه، بجانب دار سكة وليلة[٣٨]. ونعلم بأن إدريس الثاني لم يقم ببناء دار سكة وليلة بل والده هو من شيدها كما ذكرنا، فهناك قطع نقدية تحمل اسم "إدريس ابن عبد الله" ومكان دار السك" وليلة" وتاريخ ١٧٣هـ[٣٩].

إذًا فدار سكة سبو دشنت إصداراتها النقدية خلال سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م[٤٠]؛ أي بعد سنة من بداية بناء المدينة، فصاحب القرطاس سبق وأشار لتاريخ المحاولة الثانية "شهر المحرم فاتح سنة ١٩١هـ"[٤١]، وسنة من الزمن ربما كانت كافية لتجهيز هذه الـدار وقيامها بسك النقود باسم الأمير الشاب، الذي على ما يبدو لم يهدف فقط إلى تغيير مقر إقامته "وليلي"، واتخاذها عاصمة جديدة كما جاء في المصادر، بل أيضا طمح إلى تأسيس مؤسسات جديدة تكون تحت إشرافه وبعيدة عن مجالات قبائل أوربة" وليلي خاصة"، وهذه القرارات ما هي إلا إعلان واضح وصريح عن عزم الأمير التخلص من سيطرة أوربة. وحسب ذ- عزاوي فربما يكون التنافر الحاصل بين إدريس وأوربة هو السبب في الابتعاد عنها والانتقال من وليلي، بعد بناء فاس كمركز عسكري مهم يساعد على مراقبة ممر تازة والتحرك شرقه[٤٢]. فيكون بذلك الأمير الإدريسي راغبا في خلق سلطة مركزية بعيدا عن سلطة هذه القبيلة، ولخوض هذه التجربة والحفاظ عليها ابتعد إدريس الثاني عن مجالات نفوذها[٤٣].

## ٢- دار سكة سبو واصداراتها النقدية:

لم تحظ مسألة إصدار النقود باسم إدريس الثاني سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٨م بدار سكة سبو، أو حتى النقود التي سكت في عهد أبيه إدريس بن عبد الله، باهتمام بعض الدراسات المشرقية، حتى أننا نستغرب نفي إحداها إصدار الإمارة الإدريسية لأية نقود إلا في سنة ١٩٨هـ/٨١٣م؛ أي عند تأسيس دار سكة فاس " العالية"، وذلك بقول صاحبها: " لقد كانت الدولة تستعمل حتى ذلك الوقت- بالرغم من مضي أكثر من ربع قرن على تأسيسها- الدنانير والدراهم الإسلامية المضروبة في المشرق. قطع الإمـام إدريس الثاني هذه الصلة المادية وأنشأ دارا للسكة في مدينة فاس وضرب الدرهم الإدريسي لأول مرة عام ١٩٨هـ/٨١٣م وبذلك حقق لدولته استقلالها الاقتصادي وعزز مكانتها الدولية"[٤٤]. ومن البديهي أن المعلومات الواردة هنا مخالفة لما هو معروف ومتداول ومؤكد بالحجج الدامغة، بكون

دار سكة سبو موقع على حوض نهر سبو نسبه التاريخ

الأدارسة قد سكوا نقودهم قبل التاريخ المقدم من طرف الباحث، وهو ما يدحض فكرتها جملة وتفصيلا. فقد سبق وأشرنا لسك إدريس بن عبد الله للنقود بالمغرب الأقصى بين سنوات ١٧٢هـ و١٧٦هـ، قاطعا بذلك كل صلة مالية بالخلافة العباسية بالمشرق، وقد انبرت لهذه المهمة دار سكة **وليلة وتدغة**، هذا فيما تعلق بإدريس بن عبد الله، أما خليفته وابنه فقد أصدر بدوره عملاته منذ توليته، وكنا قد تطرقنا للدور التي ضربت النقود باسمه.

واصلت دار سكة سبو إصداراتها النقدية حتى بعد بناء مدينة فاس، ومن المرجح أن تكون دار سكة سبو قد ارتبطت بالعاصمة الإدريسية الجديدة؛ نظرا لقربهما الجغرافي، إذ ستوكل لها مهمة توفير احتياجات فاس من النقود قبل بناء دار سكتها. والواضح مداومة دار سكة سبو نشاطها حتى بعد إنشاء دار سكة فاس "العالية"، التي طبعت أولى عملاتها سنة ١٩٧هـ/١٣-٨١٢ (٤٥). وكما يلاحظ من خلال النماذج النقدية المتوفرة استمراريتها في الاشتغال إلى غاية عهد **علي الأول بن محمد** (٢٢١-٢٣٤هـ/٨٣٦-٨٤٩م)(٤٦)، فضربت بها دراهم حملت اسمه، وحمل أحدها كما جاء بمصنف أوسطاش، تاريخ ٢٢٧هـ/٢-٨٤١م(٤٧).

هذه النماذج النقدية المطبوعة بدار سكة سبو على قلتها، سمحت لنا بالخروج ببعض النتائج الأولية، وعرض جملة من التساؤلات، ومن هنا نصوغ بعض الملاحظات والنقاط:

- الملاحظة الأولى التي يمكن أن تستشف من قراءة النماذج التي وصلتنا من إصدارات دار سكة سبو، هي إبقاء إدريس الثاني على بعض الديباجات التي تخللت نقود أبيه(٤٨)، وبخاصة العبارات الدينية التي وضعت على وجه وظهر مسكوكاتهما وبطوقها ومركزها كشعار للإمارة الإدريسية، فقد استعملت الشهادتان [لا اله إلا الله وحده لا شريك له] و[محمد رسول الله]، نقشت هاتان "الشهادتان" كشعار داخل كل النقود الإدريسية(٤٩)، مع تغييرات بسيطة بين الفينة والأخرى بإضافة التصلية على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فتكتب مثلا عبارة[محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم](٥٠) أو [محمد رسول الله المنتصر بالله](٥١)، هذه الجمل فيها إشارات صريحة إلى التوجهات المذهبية للأدارسة(٥٢).
- أما الملاحظة الثانية فتخص تكرار نفس الآيات القرآنية تقريبا بهذه القطع، خاصة الآية ٨١ من سورة الإسراء ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾(٥٣)، والآية ٣٣ من سورة التوبة "محمد رسول الله أرسله"(٥٤) ﴿ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(٥٥). وتوجد إحدى القطع النقدية الأخرى ضمن مجموعة ببنك المغرب ترجع لعهد علي بن محمد ضربت بسبو سنة ٢٢٥هـ، وتتضمن الشهادتين والآية ٣٣ من سورة التوبة(٥٦)، مع الإشارة إلى أن القطع الموجودة بنفس صفحة

كتاب" كنوز متحف النقود" تتضمن بدورها نفس المعطيات[٥٧].

- أما الملاحظة الثالثة، والمعروفة عند كل المهتمين بتاريخ الإمارة الإدريسية، هي عدم سك أمرائها نقودا ذهبية، واقتصارهم فقط على إصدار دراهم فضية وفلوسا نحاسية[٥٨]، وهي قليلة ونادرة مما يزيد من صعوبة الأمر بالنسبة لدارسي العهد الإدريسي وبخاصة المهتمين بالمجال النقدي والاقتصادي. وهذه هي حالة القطع التي ضربت بمصنع سبو فلم تكن من المعدن النفيس "الذهب"، كما أنها لم ترد نماذج منها بمعظم المصنفات النقدية التي تناولت النقود بالمغرب الإسلامي والتي استعنا بها[٥٩].

- أما الملاحظة الرابعة والأخيرة، وتتمثل في ذكر اسم دار السكة والسنة مع اسم من أمر بضرب العملة[٦٠]، وهو أمر اشتهرت به القطع المضروبة في سبو وما بقي من قطع إدريسية، فبفضلها أصبح بوسعنا تتبع سنوات السكة والمراكز التي عملت أثناء حكم الدولة الإدريسية وأسماء أمرائها[٦١].

## ٤- أسباب اختفاء دار سكة سبو:

نشطت منذ نهاية القرن الثاني وإلى غاية القرن الرابع الهجري عدة مدن في العهد الإدريسي، ولم يطل الزمن ببعضها بسبب جملة من الحيثيات، يتعلق أهمها بالصراع الفاطمي الأموي، والذي كان من أهدافه السيطرة على المغرب الأقصى، فأجهضت على إثر هذا النزاع مسيرة ونمو واستمرار العديد من الحواضر ومعها دور السكة بها. ولا نعتقد أن هذا الصراع كان أحد أسباب اختفاء دار سكة سبو؛ لأن نشاطها قد توقف قبل أن يحتد النزاع بين الدولتين حول المغرب الإدريسي بما يقارب ثمانية عقود. إذن فالحملات التي شنها الفاطميون أو الأمويون على الإمارة الإدريسية لا يد لها في اندثار دار سكة سبو، مما يلغي فرضية تدمير موقع سبو بسبب تلك الحروب التي دارت رحاها بالمغرب حينها.

ويبدو مما قد سلف أن اختفاء دار سكة سبو تزامن والبوادر الأولى لمرحلة الضعف التي مرت منها الإمارة الإدريسية (٢٢١- ٣٧٥هـ). وعلى عكس المساعدة الضعيفة التي تقدمها المصادر المكتوبة بشأن تفاصيل الاختفاء[٦٢]، فإن دور القطع النقدية الإدريسية يسطع، ويمكن من تسليط الضوء على الحالة النقدية العامة بالإمارة الإدريسية، ما سمح بتسجيل ملاحظات أولية متعلقة بزمن اختفاء دار سكة سبو، وبتقديم إجابات عن بعض التساؤلات، وطرح جملة من الافتراضات.

إن الأمر يتعلق بالعديد من الإشارات التي وردت بالمسكوكات، وتخبر بتوقف نشاط دار أخرى قبل دار سكة سبو ببضع سنوات[٦٣]، ونعني بذلك دار سكة وليلي أو "وليلة" كما ينقش ببعض القطع، وكانت هذه الدار قد لعبت دورًا نقديًا مهمًا في مرحلة تأسيس الإمارة الإدريسية. ولمعرفة أسباب اختفاء الدارين، لزم تتبع المشهد

النقدي بكثير من التفصيل، على مستوى المكان والزمان، وبخاصة ما تعلق بالحاضرة الإدريسية الجديدة. نعلم بأن داري "وليلة وسبو" قد سبقتا في تأسيسهما مصنع العالية بفاس، وضربت فيهما النقود باسم الأدارسة قبل إصدارات العالية، وكانت الداران بضواحي العاصمة الجديدة فاس وبقرب مركز سكتها "العلية"؛ فهل في اشتغال دار سكة العالية علاقة بتوقف دار سكة وليلي أولا ثم بعد قرابة عقدين دار "سبو"؟، وهنا تبرز أمامنا مشكلة المبررات وما يدعمها من حقائق. لا توفر المصادر أية معطيات بهذا الخصوص، فلم تفصح لنا لا بمعلومات واضحة ولا مبطنة، وهذا ما يدعو إلى النظر والتفكير، وطرح بعض التساؤلات حول أسباب هذا التوقف والتواري؛ فهل شكل مصنعا سبو وليلي منافسا لدار سكة العالية؟ أم أن الدوافع تكمن وراءها معطيات تقنية؟ والمتعلقة بثقل توفير احتياجات ثلاثة مصانع توجد في دائرة جغرافية متقاربة جدا بالمواد المعدنية الضرورية في عملية ضرب النقود، ومهما تنوعت وتعددت المواقف والأسباب فلا يخامرنا الشك في الحضور القوي لمشكلة تزويد دور السك بالمعادن النفسية. أم تُرى الأمر انحصر حول الحس الأمني والخوف في سقوط دار سكة وليلي وسبو في يد بعض الزعماء القبليين أو الخصوم المذهبيين الذين بدأ بعضهم ينشط بتلك المجالات؟.

سبق الحديث عن محاولة إدريس الثاني التخلص من نفوذ أوربة سياسيا ومجاليا، ولأجل بلوغ هذا الهدف لم يتوقف الأمير الإدريسي هنا؛ حيث نشد التحرر المطلق من أوربة ورغب في الطلاق التام، فأقدم على توقيف العمل بمصنع وليلة الموجود بمنطقة سيطرة أوربة، وفي ذلك إضعاف للقبيلة سياسيا واقتصاديا، فسياسة تقريب العرب أو العناصر البربرية المعادية لأوربة، لم يكن كافيا لقطع كل الصلات بأوربة ولكبح نفوذها على ما يبدو حسب وجهة نظر إدريس بن إدريس، إذ انضاف إلى ذلك الدافع الاقتصادي كإجراء حاسم يلغي كل قوة وهيمنة لقبيلة أوربة.

دفعت هذه الإجراءات الوقائية التي أقدم عليها الأمير الإدريسي أوربة إلى نهج سياسة التآمر، بل وستصبح سندا للأغالبة في صراعهم مع الأدارسة، وحتى يتم كسر شوكة أوربة بصفة نهائية عمد إدريس الثاني إلى تصفية زعيمها؛ حيث: " ثم قتل كبير أوربة إسحق بن محمود سنة اثنتين وتسعين "ومائة" (١٩٢هـ) لما أحس منه بموالاة إبراهيم بن الأغلب"(٦٤)، كنقطة أخيرة في التنافر الحاصل بين الطرفين، وكبرهان إضافي ثابت لجهود إدريس الثاني في تقوية سلطانه بعيدا عن نفوذ أوربة وتنصله التام من روابطه معها. وعلى أية حال فهذا القتل لم يصاحبه توقف العمل بدار سكة وليلي؛ حيث توجد قطعة نقش بها تاريخ ٢٠٩هـ(٦٥)؛ أي استمرار الحياة بهذه الدار لعقد تقريبا فقط بعد إصدار دار سكة فاس لأول قطعها سنة ١٩٧هـ كما سلف وسجلنا. وتوقف دار سكة وليلي عن العمل دخل ضمن الإطار العام لأحداث المرحلة، فهو نتيجة حتمية للنفرة

الحاصلة بين إدريس الثاني وأوربة، الذي لم يرم إنشاء عاصمة جديدة بعيدة عن وليلي وقبيلة أوربة بسبب الاكتظاظ السكاني فقط بل هدف إلى فسخ كل الارتباطات السلطوية التي تجمعه بقبيلة أوربة سياسيا وحتى ماليا[٦٦].

ويظهر أن هذه الدوافع السياسية والعسكرية والأمنية المتسببة في اختفاء دار سكة وليلي، ستكون لها حصة الأسد وراء اختفاء دار سكة سبو بعد بضع سنوات أيضا.

لم تطو صفحات الصراع الإدريسي- القبلي- الصفري؛ لأنه صراع حول المناجم والمدن التجارية والاستراتيجية والثغور الساحلية، فالنعرة القبلية لأوربة قد زكت الصراع المذهبي بين الأدارسة والمعتزلة، ما تسبب في ولادة وظهور بعض التجمعات المستقلة[٦٧]، والتي ترأسها **معزوز بن طالوت ومكابر بن درقم وأبو حفص الزناتي**[٦٨]. وتجب الإشارة إلى أن هؤلاء المناوئين قد عملوا على سك عملات مشابهة للنقود الإدريسية وضربوا عليها أسماءهم؛ وأمام تعدد أسماء هؤلاء الثوار تطل علينا شخصية **معزوز بن طالوت**، والذي تحيط حوله العديد من علامات الاستفهام، ما يحتم طرح بعض التساؤلات:- من هو معزوز بن طالوت هذا؟ - وكيف وُجِدَ في مواقع قريبة جدا من العاصمة الإدريسية فاس؟.

ربما يتساءل القارئ حول دواعي إقحام هذه الشخصية الغريبة في موضوعنا، وما علاقتها بظروف اختفاء دار سكة سبو؟ فما نسعى إلى تأكيد جوابه وتفاصيله حاضر وسط دوائر المسكوكات، فمعزوز بن طالوت هذا ضرب نقودا **بوطيط وييجرهان** القريبتين مجاليا من دار سكة سبو وفاس في سنة ٢٢٣-٢٢٤هـ[٦٩]، وهذا يعني وقوع هذه المصانع الإدريسية في يد هذا الزعيم الخارجي، وحسب خريطة دور السكة الإدريسية فوطيط ويجرهان توجدان في نواحي سيدي قاسم الحالية[٧٠]، ويجرهان أحد فروع نهر سبو، أي المسافة بينهما وبين دار سكة سبو والعاصمة فاس قريبة جدا. فهل يكون الخوف من وقوع دور سك أخرى في يد هؤلاء الخارجين عن الدولة الإدريسية وراء توقف دار سكة سبو؟ قد لا نجانب الصواب إن قلنا إن هذه التغييرات في موازين القوة، وفي توسيع بعض الزعماء لمجالات نفوذهم، ساهم بحظ وفير بخصوص مسألة انقطاع نشاط مركز سبو، إذ لم يعد يصدر النقود في نفس مرحلة ظهور معزوز بن طالوت.

ومشكلة صمت المصادر تقف أمامنا من جديد، فلم تسعفنا في كشف الغموض الذي لف شخصية معزوز بن طالوت[٧١]؛ حيث إن معزوز ابن طالوت المعروف والمشهور بالمصادر شارك في ثورة **ميسرة المطغري** على ظلم عمال بني أموية (بين سنة ١٢٢- ١٢٤هـ)[٧٢]، وقد ورد مثلا ذكره عند ابن خلدون حين كلامه عن برغواطة: " وكان كبيرهم لأول المائة الثانية من الهجرة طريف أبو صبيح وكان من قواد ميسرة الخفير طريف المضفري(المطغري) القائم بدعوة الصفرية ومعهما معزوز بن طالوت"[٧٣]. وبمقارنة زمنية سريعة بين الأرقام

دار سكة سبو موقع على حوض نهر سبو نسبه التاريخ

المنقوشة بالنقود وبنص ابن خلدون يبدو أن الفارق الزمني بين المعزوزين بلغ مائة سنة؛ ليتبين أن الأمر يتعلق بشخصين وليس شخص واحد. هذا الوضع جعلنا مبدئيا أمام افتراضين، وقد ورد ذكرهما عند باحثين قبلنا؛ الافتراض الأول أصدره ذ. محمود إسماعيل حول ظهور تجمعات اعتزالية، وتأكيده على عمل زعمائها ضرب السكة بأسمائهم(٧٤)؛ أي أن أحد أمراء المعتزلة بالمغرب الأقصى قد حمل اسم معزوز ابن طالوت فعلا، وفي ذلك نوع من الرمزية والتعلق بالماضي المجيد للصفرية وتبني اسم أحد روادها وقادتها بالمغرب الأقصى.

أما الافتراض الثاني فتطرق له ذ. مفتاح في بحثه؛ حيث يشير لكون الغرض من نقش اسم معزوز بن طالوت وسط تلك الدراهم هو تخليد ذكرى الزعيم الصفري من طرف أنصاره الخوارج، وإفصاح عملي عن عدم تبعيتهم لا للخلافة بالمشرق ولا للسلطة المركزية الإدريسية القائمة حينها بالمغرب الأقصى، إذ: " يعد ذكر الخوارج لأسماء أمرائهم على السكة بمثابة تعبير عن استقلالهم اتجاه الخلافة العباسية بالمشرق، والإمارة الإدريسية"(٧٥). وعليه فنتيجة الفرضيتين ما هي سوى العلاقة بين مرحلتين، بين عناصر صفرية عاشت في العهد الإدريسي، ورموز تنتمي لهذا المذهب ذاع صيتها، ولما قضت نحبها مجدت بواسطة المسكوكات، فكانت تلك القطع النقدية عبارة عن نماذج تذكارية؛ وعليه فالزمن مختلف ومتباعد، لكن المجال بقي واحدا وهو المغرب الأقصى، ومضامين الدعوة الخارجية لا تزال صورتها حاضرة.

ويبدو أن نجاح تلك الزعامات الخارجية كان محدودا زمنيا ومجاليا، ما أنبأ بسرعة عودة تلك المصانع إلى سك النقود من جديد باسم الأدارسة(٧٦)، ولن نخوض الحديث حول شخص عبد الرزاق الفهري الصفري الذي نجح في بسط سيطرته على المنطقة الممتدة بين مدينة صفرو وفاس، نظرا لتأخر ثورته- حوالي ٢٩٠هـ- عن زمن اختفاء دار سكة سبو(٧٧). لكن ربما تكون تلك الحروب التي دارت بين الأمير يحيى بن القاسم بن إدريس المعروف بالعدام والصفرية قد ساعدت على تدمير ما تبقى من مصنع سبو: "... فكانت له معهم حروب ووقائع كثيرة "(٧٨).

إذن ففرضية القلق والخوف من توسيع دائرة نفوذ تلك الزعامات الخارجية شكلت فزاعة للأمراء الأدارسة، فأوقفوا العمل ببعض دور النقود، وعلى رأسها دار سكة سبو القريبة من مجال نفوذ معزوز بن طالوت السالف الذكر، ومن الغريب أن المصادر لم تحفظ لنا من أفعال تلك الشخصيات سوى أسمائها، ولم تقم بتدوين ما قاموا به من أعمال، وما تسببوا فيه من أحداث وتغيير موازين القوى ببعض المناطق التابعة للأدارسة، فلو لم توجد أسماؤهم منقوشة بتلك القطع النقدية التي ذكرت بها مناطق نفوذهم، لبقيت القواعد التي مارسوا منها نشاطهم السياسي" والدعوي" والعسكري والاقتصادي مجهولة لدينا وخارج تاريخ العهد الإدريسي، ومفصولة عن واقع الأحداث والتحولات التي

عاشها المغرب الأقصى خلال القرن الثالث الهجري.

وصفوة القول إن هذه الحركات وما تمخض عنها من قلاقل قد أثرت على نظرة أصحاب القرار بالإمارة الإدريسية، وبينت عدم قدرتهم التحكم في ثلاثة مواقع لسك النقود متقاربة جدا لا عسكريا ولا تقنيا ولا أمنيا.

بالرغم مما قدمته هذا التساؤلات من تعليلات واستنتاجات يمكن أن تكون قريبة إلى حد ما من الصواب ومسايرة لتسلسل الأحداث، تلوح لنا إضاءة أخرى تذوب ما سلف، وتهدم ما تم بناؤه بخصوص نقط التزود بالاحتياجات المعدنية والدوافع الأمنية؛ فبالتقرب أكثر من المشهد النقدي الإدريسي يظهر أمر هام متناقض ظاهريا مع ما تم طرحه، والمتعلق بتشييد دور لسك النقود في نفس الفترة الزمنية لاختفاء دار سكة سبو، وكلها قريبة مجاليا من العاصمة فاس ودار سكتها العالية. فهل يكون السبب في بناء تلك المدن والمراكز توطيد وتأكيد لقوة الإمارة الإدريسية بتعويض ما فقد من ناحية؟ أم تراه نوع من الحصار وتطويق لهؤلاء الخارجين وتشديد الخناق عليهم بإنشاء مراكز جديدة يكون لها دور اقتصادي وأمني وعسكري؟ أم ترى له أهداف أخرى تتمثل في منح فاس مكانة عالية، وتمديد مجال نفوذها الاقتصادي والمالي على حساب المراكز الصغرى المحيطة بها؟ وهذا القرار يفصح عن تمركز كل الأنشطة السياسية والاقتصادية والدينية والعسكرية والثقافية – الروحية- بمدينة وفضاء واحد؛ أي فاس. نحن نعلم بأن مرحلة حكم **علي بن محمد بن إدريس الثاني** (٢٢١-٢٣٤هـ/٨٣٦-٨٤٩م) هي فترة تدهور الإمارة الإدريسية، فهل هذا الإجراء مطابق لواقع السلطة الإدريسية، إذ نتلمس بواسطته ضعف الاستقرار السياسي، الذي تكتمل لوحته ببداية ظهور نوع من الاستقلال أو "الحكم الذاتي" في الأقاليم[٧٩]. إذن فهذه المبادرة ربما غرضها إعادة تنظيم المجال وتجميع كل السلط والأنشطة تحت نفوذ المركز فاس، خوفا من أي انزلاقات سياسية أو عسكرية مستقبلية.

كما قلنا بالرجوع لبعض نماذج المسكوكات المفهرسة بالمصنفات النميائية، يتضح بأن الأمير علي بن محمد بن إدريس الثاني الذي زامن عهده مرحلة اختفاء دار سكة سبو، قد أنشأ بعض دور السك بالمجال الخاضع لنفوذه، فحسب أوسطاش فدور سك **بهت**، **تاجراجرا**، **سبو**، **ورزيغة**، **وورغة**، هي من بقيت تابعة بشكل مباشر للأمير الإدريسي علي بن محمد- وذلك مؤشر لما سبق وأثرناه بخصوص بداية ضعف الإدارسة-، وباقي دور السك فهي تحت سلطة أعمامه وأخواله الذين كانوا تابعين له، ودور أخرى بيد بعض الجماعات الخارجية التي كانت تحت حمايته حسب قول أوسطاش[٨٠]. وجملة أوسطاش الأخيرة غريبة نوعا ما، إذ لا نعرف مصدره[٨١]، فكيف لعلي بن محمد أن يحمي تلك الجماعات الخارجية ومجال نشاطها متاخم لأسوار عاصمته، وحضورها بالقرب من فاس تهديد صريح له ولحكمه ولرعيته؛ خاصة

دار سكة سبو موقع على حوض نهر سبو نسبة التاريخ

وأن هؤلاء الزعماء قد ضربوا أسماءهم بنقودهم بدون إظهار أي علامة للولاء ولا لتبعية للأمير علي بن محمد هذا. وإن لم تفصح المصادر عن نشوب مواجهات بين الطرفين(٨٢)، فالقطع النقدية قد لمحت لذلك بشكل غير مباشر، فعدد من القطع المنسوبة لعلي بن محمد نقشت بها عبارة - لقب- "المنتصر بالله"(٨٣)، ما يوحي على أنه قد واجه خصومه واستطاع تحقيق بعض الانتصارات، وعليه استحق حمل لقب " المنتصر بالله". صحيح أن مثل هذه الألقاب سلاح ذو حدين، فهي تحمل في طياتها العديد من الاحتمالات، وتتسبب في تقديم طروحات واستنتاجات بعيدة عن الصواب وعن سياق الأحداث؛ إذن فهل تعكس تلك العبارات والألقاب الوقع الحقيقي؟- أم أنها يمكن أن تجمل وتزيف الواقع المعيش لهؤلاء الأمراء؟.

**خاتمة:**

نحن على وعي بشح المعطيات المصدرية، وعدم قدرتها "وقدرتنا معها" على تحديد الصورة الحقيقية التي تقف وراء اندثار دار سكة سبو، هذا الإشكال كبل استنتاجاتنا إلى حد ما. لكن الأكيد أن تتبع مسار هذه الدار وعلاقتها بمحيطها حسب المتوفر بالمصادر المكتوبة، وبخاصة ما جادت به دوائر القطع النقدية التي خرقت ذلك الصمت المصدري، والتي بقيت وفية لعهدها والتزامها بمدنا بمعطيات غاية في الدقة، سمح ببسط الحديث بشأن دار سكة سبو، وفك جزء من الغموض الذي اكتنف تاريخها؛ وبطرح بعض الاحتمالات والتأويلات المتعلقة بظروف تأسيسها، أو تلك التي تتطرق للأسباب المبهمة خلف اختفائها، وعليه نرجو أن تكون تلك الخطوات قد ساهمت في تقريب الصورة، وفي فتح الباب للمزيد من التساؤلات حول دار سكة سبو وتاريخها الغامض، ويكون هذا المقال قد وفق مبدئيا في الإحاطة بجوهر الموضوع، وأعاد الحياة لهذا الموقع الإدريسي "دار سكة سبو" الذي نساه التاريخ ومعه المصادر الكلاسيكية الوسيطية، هذه الأخيرة كما تبين يجب إعادة النظر بخصوص ما ورد بها من روايات تاريخية متناولة للعهد الإدريسي؛ حيث أصبنا بالكثير من الخيبة، فالمعلومات باهتة وشحيحة، كما أنها لم تعر من خلف إدريس بن إدريس اهتماما كبيرا، اللهم إلا إشارة نزيرة وقليلة الأهمية. كل هذه المشاكل كانت ستصبح نفقا مظلما طوله بطول العهد الإدريسي، لولا الإنارة والإضاءة التي جادت بها المسكوكات، فحضورها كان قويا وقيما، فلم تنسخ ما ورد بالمصادر الإدريسية، بل تفردت بنقوشها وأتمت ما ينقص من معلومات مصدرية كما تتبعنا. وانطلاقا من هذه الحقيقة نرجو أن يقوم جماعو النقود- Les collectionneurs- على إخراج ما لديهم للعموم من الباحثين والمهتمين، ونشره إن أمكن في مصنفات(٨٤)، قصد تعميم الفائدة من ناحية، وبغرض التعرف على هذه الكنوز الدفينة من تاريخ المغرب، فبفضلها يمكن الكشف عن حقائق جديدة تهم تاريخ الدولة الإدريسية عامة، وتاريخ المغرب على الخصوص.

## قطعة دار سكة سبو[٨٥]

| بالظهر: | بالوجه: |
|---|---|
| المنتصر بالله<br>محـــــمـــــد<br>رســــــــول<br>الـــلـــــه<br>محمد بن إدريس | لا إلــه إلا<br>الله وحـده<br>لا شريك له<br>علي |
| **بالطوق:** محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[٨٦] | **بالطوق:** بسم الله ضرب هذا الدرهم بسبو سنة خمس وعشرين ومئتين |

دار سكة سبو موقع على حوض نهر سبو نسبه التاريخ

### الحواشي

١- حول نهر سبو يرجع لمعلمة المغرب. عبد الله العوينة، **سبو، معلمة المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، ٢٠٠١/١٤٢٢. ج ١٤. ص. ٤٨٧١-٤٨٧٢ /- عبد الجليل حليم، سبو، معلمة المغرب، ج ١٤. ص. ٤٨٧٢-٤٨٧٣.

٢- فصاحب الاستبصار يقول عنه:"...وهذا الوادي نهر عظيم من أعظم أنهار بلاد المغرب..."- مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥. ص. ١٨٤.

٣- ويذكر صاحب القرطاس القبائل التي بايعته بعد قبيلة أوربة: " ثم بعد ذلك أتته قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر من أهل المغرب منهم زواغة، وزوارة، وزواوة، ولماية، ولواتة وصدراتة، وغياثة، ونفزة ومكناسة وغمارة ". ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ص. ٢٣.- ينظر أيضا.- عزاوي أحمد، **مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي**، الجزء الأول، طبعة ثانية. ٢٠٠٩. الرباط. ص. ١١٨ /- سعدون عباس نصر الله، دولة **الأدارسة في المغرب العصر الذهبي ١٧٢-٢٢٣هـ/٧٨٨-٨٣٥م**، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م. ص. ٧١.

٤- ابن خلدون، **كتاب العبر والمبتدأ والخبر...**، ضبط المتن ووضع الحواشي- خليل شحادة، دار الفكر- بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ج ٤. ص. ١٧/- عزاوي، مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ص. ١١٨.

٥- عند الجزنائي: " فبايعه جميع قبائل البربر، ولما تمت له البيعة وتمكن سلطانه وعلا شأنه اتخذ جيشا عظيما من قبائل البربر". الجزنائي علي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية. ١٤١١هـ/١٩٩١م. ص. ١٢/- روض القرطاس، ص. ٢٤/- سعدون، دولة الأدارسة، ص. ٧٢.

٦- "...خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون". جني زهرة الآس. ص. ١٢.

٧- عن بعض جوانب الحالة الاقتصادية في عهد الأدارسة يمكن الاستئناس بما كتب الباحث سعدون عباس، مع التنبيه لتسرع هذا الكاتب في الكثير من الاستنتاجات. - سعدون عباس، دولة الأدارسة، صص. ١٣٧-١٤٥.

٨- ينظر عن المشهد العمراني للإمارة الإدريسية:- أمليد محمد، **المدن الإدريسية منذ أواخر القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع الهجريين**، دراسة تحليلية تركيبية، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الموسم الجامعي ١٩٩٧/١٩٩٨.

٩- يشير أوستاش على أن داري سكة **وليلة وتدغة** هما المعروفتان بضربهما النقود باسم إدريس الأول بين سنوات ١٧٢هـ و١٧٦هـ (ص. ٢٥)، وأشار للعديد من القطع النقدية الخاصة بتدغة(صص. ١٨٩-١٩٥) ووليلة (صص. ٢٥٨-٢٦٠). وبمصنف لافو قطع سُكت بالمدينتين السالفتين. كما توجد بكتاب ذ. المعمري ومؤلف بنك المغرب " **كنوز متحف النقود**" قطعة ضربت بوليلة، أما الباحث مفتاح فقد أورد قطعة سكت بتدغة./- مفتاح نورالدين، **دراسة لبعض جوانب المسكوكات المغربية من العهد الإدريسي إلى العهد الموحدي، من خلال المجموعة النقدية للسيد رشيد الصبيحي**، بحث لنيل شهادة الدراسات العليا، شعبة الآثار الإسلامية، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، الرباط، السنة الجامعية ١٩٩٩-٢٠٠٠. ص. ٤٣.

- Eustach Daniel, Corpus Des Dirhams Idrisites et Contemporains, Bank Al-Maghrib, Réimpression, Rabat, 2008, pp : 25 et pp : 189-195 et pp : 258-260/- Lavoix (Henri), Catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale (Espagne et Afrique) , Paris, 1891, pp : 371-372-373/- Maamri Lahbib, Monnaies inédites des Idrissides, Editions Post-Modernité. Fès, 2006. p : 45/- Les Trésors du Musée de la Monnaie, Histoire et Patrimoine Du Maroc, Bank Al-Maghrib, Rabat 2006, p : 94.

10 - Eustach, Corpus…, p : 28.

١١ - وهي دور سكة: بهت- تاجراجرا ( بالقرب من أزرو الحالية) – تدغة ( بالقرب من تينغير)- تهليط (على نهر لوكوس)- زيز- **سبو**- وزقور- يجرهان(وادي يجرهان شمال سيدي قاسم)- يكم( وداي يكم بين الرباط والمحمدية).

- Eustach, Corpus…, p : 105.

١٢ - خلال خريطة دور السكة الإدريسية الموضوعة بمصنف أوستاش، تم التعرف على ٢١ دار سكة (ص. ١٨٢)، ونفس الرقم هو المستقى من دراسته حول دور السك بالمغرب، بعد إحصاء تلك التي تعود للحقبة الإدريسية ( ص. ٩٦-١٠٠). نفس خريطة أوستاش اعتمد عليها ذ. المعمري في دراسته للعملات الإدريسية ( ص. ٤٢). وسبق وأشار أوستاش إلى أن قائمة الدور التي ضربت النقود باسم الأدارسة بلغت ٢٣ دارا(ص. ١٠٥). أما ذ. أفا عمر فقد أكد وجود ٢٥ معملا لضرب السكة في العهد الإدريسي، وذلك بدراسة نماذج الخطوط المنقوشة بالنقود الإدريسية ( ص. ٧٦). هذه الأرقام خير دليل على أهمية النشاط النقدي في عهد الإمارة الإدريسية، مع أن هناك دور سك كثيرة لم يتمكن الدارسون من توطينها جغرافيا بكيفية محددة على حسب قول ذ. أفا ( ن. ص).- أفا عمر، **ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، العدد الثامن عشر، ١٩٩٣. ص. ٧٦.

- Eustach, Corpus…, p : 105- p. 182./- Eustach Daniel, Les Ateliers Monétaires Du Maroc, Hespéris-Tamuda, Fas-unique. Vol XI. 1970. Pp : 96-97-98-99-100./- Maamri, Monnaies inédites, op, cit. p : 42.

١٣ - مؤكد أن الكثير من دور السك قد تزايد نشاطها في

مرحلة تقسيم البلاد بين أبناء المولى إدريس بن إدريس، أي في عهد محمد بن إدريس (٢١٣ــ ٢٢١هـ)، حيث أصبح كل أمير يتكلف بسك نقوده بمقر ولايته كنوع من الاستقلال النقدي عن مدينة فاس العاصمة، ويمكن الرجوع إلى مصنف أوسطاش ولكتاب ذ. المصري للوقوف على أسماء تلك الدور، وأسماء من سكت النقود بأسمائهم من أبناء إدريس الثاني ومن تولى الحكم بعدهم من ذريتهم. ويجب التنبيه على تجاهل بعض الدراسات لهذا المعطى المالي والنقدي، فجلها انكب اهتمامها حول البعد السياسي لذلك التقسيم وما ترتب عنه من مشاكل.

١٤ - محمود إسماعيل، **الأدارسة (١٧٢-٣٧٥هـ) حقائق جديدة**، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م. ص. ٧٥.

١٥ - لاحظ ذ. أفا توزع دور ضرب السكة "...بين مناطق حضارية وأخرى بدوية مع الإشارة إلى وجود عسر في ضبط الفرق بين هذين المجالين بدقة". - أفا، ملامح من تطور الخط المغربي، ص. ٧٦.

١٦- إن المهتم بمدن العصر الوسيط يرتبط ذهنه بالحواضر التي استمر إشعاعها مثل فاس ومراكش، " وقد يغفل أو يتجاهل المدن المتوسطة والصغرى، أو تلك المدن التي اندرست أو تضاءل دورها بعد أن لعبت أدوارا هامة في سيرورة التمدين وفي تشكيل الشبكة الحضرية المغربية". (المدينة في العصر الوسيط. ص. ٥). وهذا حال موقع سبو الذي كما سنتتبع سيلعب دورا مهما مع انطلاق حكم إدريس الثاني لينساه الزمن بعد ذلك. ولم ينل هذا الموقع حظه من الدراسة برسالة الأستاذ:- أمليد محمد المخصصة للمدن الإدريسية.- عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات، **المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤. ص. ٥.

١٧- كما نعرف فالإشارات التي تمنحها النقود كثيرة ومفيدة، فهي وسيلة سياسية أساسية لمعرفة أسماء وألقاب الملوك والأمراء، وواسطة دينية ومذهبية عن طريق ما نقش فيها من آيات قرآنية أو شعارات مذهبية، وهي مرآة قوية للحالة الاقتصادية للبلاد من خلال نوع المعدن المسكوكة منه ووزنها وصفائها....، وهي أيضا مصدر جغرافي موثوق به كما سبقت الإشارة. بجانب هذا كله فإن النقود لعبت دورا بالغ الأهمية في تدعيم عملية تعريب المغرب ونشر اللغة العربية داخله في تلك المراحل المتقدمة من تاريخه الإسلامي، حيث إن كل ما ضرب بداخل نقود الأدارسة (ومن سبقهم أومن تلاهم) وظفت فيه اللغة العربية، هذا الجانب الأخير المتعلق بدور المسكوكات في عملية تعريب المغرب الأقصى لم يحظ باهتمام كبير، وإن على قلة العبارات المنقوشة وسط دوائر النقود، فالأكيد أن ذلك الأمر ترك بصمته في أوساط الرعية، وإن بشكل أقل مما قامت به المساجد والمدارس ومنابر العلم المختلفة.

١٨- دنيال أوسطاش، **تاريخ النقود الإسلامية وموازينها في المشرق وبلاد المغارب منذ البدايات الأولى إلى الآن**، ترجمة محمد معتصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: نصوص وأعمال مترجمة رقم ١٤. الطبعة الأولى ١٤٢٣/٢٠١١. ص. ٢٢.

١٩- نفسه. ن. ص.

20 - Ben Hsain (Rajae), " Approche quantitative de l'or monnayé en Occident musulman (450/1058-59 à 830/1426-27) ", thèse de la nouveau Doctorat, sous la direction de professeur: Jean Devisse, Université de Paris I, année 1994. T 1, p: 24.

٢١- حالة مدينتي سجلماسة وسبتة مثلا.

٢٢- ابن أبي زرع، بروض القرطاس. ص. ٣٥./- الجزنائي، جنى زهرة الآس. ص. ١٨. /- الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء. ١٩٥٤. ج ١. ص. ١٦٤-١٦٥/ ينظر أيضا:- السنوسي الخطابي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة الشباب بمصر، ١٣٤٩هـ. ص. ٦٩.

٢٣- خولان: هي حمة سيدي حرازم المشهورة والتي تبعد عن مدينة فاس بحوالي ١٥ كلم إلى الجنوب الشرقي. ينظر الهامش ٤٧ بروض القرطاس. ص. ٣٧. وبخصوص سيدي حرازم يرجع إلى

دار سكة سبو
موقع على حوض نهر سبو نسبه التاريخ

معلمة المغرب- محمد حجي، **حرازم(سيدي)**، معلمة المغرب، ١٤١٩/١٩٩٨. الجزء ١٠. ص. ٣٣٥٣.

٢٤- روض القرطاس، ص. ٣٧.

٢٥- روض القرطاس، ص. ٣٧. /- الدرر السنية، ص. ٦٩.

٢٦- لا يفوتنا التذكير بالعامل الزمني هنا، فالمصادر المعتمدة جلها متأخر عن زمن الدولة الإدريسية، ومعظمها ألف خلال العهد المريني، والأصول التي نقلت عنها هاته المعطيات مفقودة.

٢٧- والجزنائي، جنى زهرة الآس. ص. ١٨.

٢٨- رجعنا لموافقة التاريخ الهجري الوارد هنا بالتاريخ الميلادي إلى قوائم ذ- الملكي.- الملكي(المالكي)، **موافقة التاريخين الهجري بالميلادي**، مجلة تاريخ المغرب، العدد الثاني، السنة الثانية، ١٩٨٢. ص. ١٠٣.

٢٩- وموضع دار سكة سبو يوجد بالقرب من حمة خولان " سيدي حرازم".

- Eustach, Corpus Des Dirhams..., p. 144.

30 - Eustach, op, cit, p. 144.

٣١- تجدر الإشارة إلى وجود اختلاف بسيط في كتابة ورسم كلمة" سبو" بين مجموعة من المصادر الكلاسيكية خاصة الجغرافية منها، فالمقدسي مثلا كتبها "سبوا"(ص. ٢١٩). بينما ابن حوقل يطلق عليه اسم "وادي سُبُه".(ص. ٨١-٨٢). والبكري أحيانا كتبها " وادي سبو"(ج ٢. ص.٢٧٢-٣٠٠)، أو" نهر عظيم يسمى سبو"(ن.ج. ٢٩٤)، ومرة كتبها " نهر سبوا"(ج ٢. ص.٣٣٢). ويسميه صاحب كتاب الاستبصار "وادي سبُو" (ص. ١٨٤-١٨٥). ومن الإشارة السالفة يلاحظ سقوط هاته المصادر في مأزق ثاني بجانب كيفية كتابة الاسم، والمتعلق بتحديد هل "سبو" نهر أم وادي؟ ويمكن معاينة ذلك خاصة من خلال الفقرة الواردة بالاستبصار: " وموضع وادي فاس بوادي سبُو على ٣ أميال من المدينة. وهذا **الوادي نهر عظيم** من أعظم أنهار بلاد المغرب"(ص.١٨٤)؟/- المقدسي البشاري، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، القاهرة. الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ-١٩٩١م. ص. ٢١٩/- ابن حوقل، **صورة الأرض**. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت. ١٩٩٢. ص. ٨١-٨٢/- البكري، **المسالك والممالك**، حققه ووضع فهارسه، جمال طلبة، الطبعة الأولى، دار الكتاب العلمية، لبنان. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م. المجلد الثاني. ص. ٢٧٢-٢٩٤-٣٠٠-٣٣٢./- مجهول، كتاب الاستبصار، ص. ١٨٤-١٨٥.

٣٢- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص. ٢١٩.

٣٣- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، الجزء ٥. مايو ٢٠٠٢. ص. ٣١٢./- كراتشوفسكي، **تاريخ الآداب الجغرافي العربي**، نقله إلى اللغة العربية، صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الأول، موسكو- لينينغراد، ١٩٥٧.ص. ٢٠٨-٢١٥.

٣٤ - لذلك اعتمد على كتابه الكثير ممن جاؤوا بعده من رحالة ومؤرخين.

٣٥ - لا ننسي أن نشير إلى اختلاف مفهوم المدينة في تلك العصور، عن المفهوم الحالي للمدينة حسب علم الجغرافيا وبقية العلوم الأخرى التي تدخل ضمن دراساته للمجال الحضري.

٣٦ - هناك صعوبة في تحديد المفاهيم، هل نؤكد على وجود مدينة كاملة المؤسسات، أم أن الأمر تعلق بمجال قروي صغير مع تضمنه لدار السكة، وأمام هذا الإشكال سنتعامل مع مؤسسة " دار السكة" فيما تبقى من صفحات هذا المقال، وعدم التركيز على مصطلح المدينة وغيره، مادامت تنعدم لدينا أبحاث شافية وكافية تعرف بمدينة تحمل اسم "سبو"، إذ أن المتوفر يثبت وجود موقع به دار سكة سبو من خلال النقود المكتشفة.

٣٧ - كتب الكثير حول هذا الاختلاف ويمكن الاستئناس بما جاء في أحد هوامش كتاب "أعمال الأعلام" لابن الخطيب.- ابن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق، أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء. ١٩٦٤، الهامش ٢. صص. ١٩٨-٢٠١/- محمد حجي، **من تاريخ الدولة الإدريسية: قضايا في سيرة إدريس الأزهر وتأسيس مدينة فاس**، ضمن متنوعات محمد حجي، دار الغرب الإسلامي،

١٩٩٨. صص. ١٧٧-١٨٤/- الحربي أكتيتخ، **إشكالية المصادر المتعلقة بتاريخ مدينة فاس قبل العصر المريني وما بعده**، مجلة أمل عدد بعنوان: "**التغذية والأزمة في تاريخ المغرب**". العدد ١٧، السنة السادسة ١٩٩٩. صص: ٨٧-٩٣./- أمليد، المدن الإدريسية، صص. ٦٦- ٨١.

- Provençal (L), La fondation de Fès, in A.I.E.O, t 4. Alger 1938.

38 - Eustach, op, cit, p. 144.

39 - Eustach, op, cit, p. 258.

40 - Eustach, op, cit, p. 144 et p. 201.

٤١- روض القرطاس، ص. ٣٧.

٤٢- عزاوي، مختصر...، ج١. ص. ١٢١.

٤٣- حول سخط أوربة على انتقال إدريس الثاني إلى مدينة فاس يمكن الرجوع مثلا ل: - محمود إسماعيل، الأدارسة، صص. ٧٦- ٧٩.

٤٤- سعدون عباس، دولة الأدارسة....، ص. ١٤٥.

45 - Eustach, op, cit, p. 147 et p. 204.

46 - Eustach, op, cit, p. 144.

47 - Eustach, op, cit, p. 202.

٤٨- قام أوسطاش في مصنفه بوصف دقيق لما جاء بالدراهم الإدريسية. يمكن الرجوع إلى تلك الصفحات.

Eustach, op, cit, pp. 59-88. -

٤٩- ينظر صورة الفلس الإدريسي المضروب بسبو، وما جاء من عبارات بداخل طوقه ومركزه.- أوسطاش، تاريخ النقود الإسلامية، ص. ٧٢.

٥٠- ضربها إدريس الثاني ببعض نقوده، كما جاءت بقطعة ضربت بوزفور سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨-٩م.

- Eustach, op, cit, p. 241.

٥١- ووردت في بعض ما ضرب علي الأول ابن محمد بالعالية سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩-٤٠.

- Eustach, op, cit, p. 217.

٥٢- فعدد من المصادر كما هو معروف تقول بتبني إدريس الأول عند دخوله للمغرب الدعوة الزيدية، وتؤكد على اعتناق إدريس الثاني المذهب السني المالكي، وقامت الدراسات الحديثة بتكرار ما ذكرته تلك المصادر، ولم ترجع للبحث فيما تضمنته النقود الإدريسية من إشارات دينية ومذهبية، والتي كما يبدو فيها تلميحات على اعتناق الأدارسة للمذهب الزيدي وأيضا السني. وبنظرة أولية للعملات الإدريسية نسجل بوضوح تكرار نقش اسم "**علي**"- نسبة لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه- في جل النماذج المعروفة (يرجع لأوسطاش والمعمري مثلا)، لكن بعض النماذج الغريبة المذكورة بمصنف أوسطاش فاجأتنا بشارات شيعية، مثل قطعة تنسب لإدريس الثاني سكت **بتهليط** سنة ١٩٧هـ، ورد فيها: "ادريس- محمد رسول الله- **والمهدي** ادريس- بن ادريس- **علي**"(ص. ١٩٩- اللوحة VI). وأخرى تنسب ليحيى بن محمد(٢٣٤-٢٤٩هـ) ضربت بيهت سنة ٢٤٦هـ نقش بها: " محمد- خاتم النبين صا- دق- **علي خير الناس بعد النبي كره من- كره ورضي من رضي**"(أوسطاش، ص. ١٨٦- اللوحة XXXIX). ويبقى عيسى بن إدريس الثاني(٢٤٥/٢٧٠هـ) أكثر تمسكا بالعبارة الشيعية الأخيرة حيث تكرر استعمالها بمسكوكاته، مثلا بقطعة سكت بورزيغة (أوسطاش، ص. ٢٣٨)، وأخرى بوزفور(أوسطاش، ص. ٢٥٢-٢٥٤). وعند المعمري هناك دراهم لعيسى هذا ضربت بالعالية تحمل نفس الشعار( المعمري، ص. ٦٧ و٦٨و ٧٠و٧١). ويبدو من خلال هاته المعطيات على أن العملات الإدريسية في حاجة لدراسة تحليلية مركزة ربما تفضي لظهور بعض الحقائق الجديدة.

- Eustach, op, cit, p. 199. Et p. 186-238-252-254/- Maamri, op, cit, p. 67-68-70-71.

٥٣- فالآية محملة برسالة دينية وسياسية موجهة إلى القوى المعطية الخارجية خاصة برغواطة والخوارج.

- مفتاح، دراسة لبعض جوانب المسكوكات...، ص.٤٣.

٥٤- لقد تنبه أوسطاش إلى وجود اختلاف في العبارة الأولى من الآية، فالآية كما هو مثبت بالمصحف الكريم تبدأ ب" هو الذي أرسل رسوله بالهدى...". (التوبة، الآية: ٣٣).

- Eustach, op, cit, p. 62.

دار سكة سبو موقع على حوض نهر سبو نسبه التاريخ

٥٥ - هذه الآية الكريمة تكرر ذكرها في العملات الأموية بالمشرق والأندلس والعباسية والممولكية...، وطبعا كما عاينا فالأدارسة أيضا عملوا على اقتباسها. يمكن الرجوع إلى المصنفات النقدية.

٥٦- سنرجع لهذه القطعة وما نقش بداخلها (القطعة تحمل رقم ٢٢٦ بكتاب كنوز متحف النقود). ينظر الصورة المرفقة المقتبسة عن:

- les Trésors du Musée de la Monnaie, op, cit. p. 98.

٥٧- ضمنها قطعة أخرى لعلي بن محمد (القطعة رقم ٢٢٨) وثانية ليحي بن محمد(٢٣٤/٢٤٩هـ/٨٤٨-٨٦٣م)(القطعة رقم ٢٢٩).

- les Trésors, op, cit.

٥٨- أوسطاش، تاريخ النقود الإسلامية، ص. ٧٠.

٥٩- لا توجد بمصنف **لافو** أية قطعة تعود لهذه المرحلة التي سكت فيها دار سبو النقود باسم الأدارسة، أي ما بين عهد إدريس الثاني وعلي بن محمد. نفس الأمر بالنسبة لمصنف بريط فهو لم يشر لوجود دار سكة سبو بالقائمة التي قدم فيه أسماء دور السكة الإدريسية المعروفة. كما لم نجد بالجزء الخامس من مصنف لاين بوول المخصص للنقود بإفريقية والأندلس ذكر للعملة الإدريسية. نفس الأمر عند هازرد فلم يذكر البتة بدوره المسكوكات الإدريسية بمصنفه، وهذه أيضا حال ميتشنير فمجموعته لا تتوفر فيها أية قطعة لدار سكة سبو. أما ذ. المعمري في دراسته للنقود الإدريسية فلم يقدم أي نموذج لمسكوكات دار سبو. فقط هناك قطعة وحيدة في دراسة الباحث مفتاح نورالدين، والظاهر أنها نفس القطعة المستعملة في كتاب "تاريخ النقود الإسلامية" السابق الذكر.= =/- أوسطاش، تاريخ النقود، ص. ٧٢./ - مفتاح ، دراسة لبعض جوانب المسكوكات المغربية... ص. ٥٤-٥٥.

- Lavoix, Catalogue , op, cit, pp. 374-390./- Brèthes (J.D), Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques, Casablanca, sons date, p : 76 /- Lane( Poole), Catalogue of Oriental Coins, Coins of The Moors of Africa and Spain, British Museum, Printed by Order of Trustees, tome V, London, 1880./- Hazard, H.W, The Numismatie History OF Late Medival North Africa, Numismatic Society ", New York, 1952./- Mitechiner (M), Oriental Coins And Their Values, The World of Islam, Hawkins Publications, London, 1977. /- Maamri, op cit.

٦٠ - طبعا عمل الزمن عمله فطمس معالم الكثير من القطع، فلم يعد في الإمكان التعرف على اسم من سكها ومتى وأين.

٦١ - مع التأكيد على ضرورة إعادة دراسة هاته النقود الإدريسية.

٦٢ - كما سبق الذكر عملت المصادر المكتوبة على تجاهل ظروف إنشاء دار سكة سبو، وكررت نفس الإشكال بحجبها عنا معلومات تخص ملابسات اختفائه.

٦٣ - ينظر أوسطاش ولافوا والمعمري.

٦٤ - كذا عند ابن خلدون " ابن محمود" وهو إسحاق ابن محمد بن عبد الحميد. وعند الناصري هو " إسحق بن محمد الأوربي". ابن خلدون، العبر...، ج ٤. ص. ١٨./- الاستقصا، ج ١.ص. ١٦٤.

٦٥- يبدو أن ما تنتجه هذه الدار قد قل، خاصة بعد تأسيس دار سكة سبو سنة ١٩٢هـ، التي أخذت المشعل.

- Eustach, op, cit, p. 164, et p. 266.

٦٦ - لم تكن هذه المعطيات هي السبب الوحيد، فقد التحق بها معطى تأسيس دار سكة سبو، التي أخذت المشعل من وليلى التي شاب إصدارتها بعض الفتور والنقص.

- Eustach, op, cit, p. 164.

٦٧ - في هذا المقام يقول ذ. محمود إسماعيل: "... مثل هذا السخط في إذكاء حركات الانتزاء ذات الطابع العنصري من ناحية وفي تكوين تجمعات اعتزالية مستقلة من ناحية أخرى؛ كتلك التي ترأسها معزوز بن طالوت ومكابر بن درقم وأبو حفص الزناتي. وليس أدل على استقلال هؤلاء عن الأدارسة من ضربهم السكة بأسمائهم". محمود إسماعيل، الأدارسة، ص. ٩٤.

٦٨ - نفس. ص.

69- Eustach, op, cit, p. 309-310-311-312.

70 - Eustach, op, cit, Watit, p. 160. Izerhan, p. 172.

٧١ - هو مغرور بن طالوت عند لافوا، كما أنه نسب تلك القطعة المضروبة سنة ٢٢٤هـ إلى عبد الله بن إدريس. ويبدو أن بريط قد قرأ اسمه الوارد بقطعة بجرهان مثل لافوا وسماه كذلك مغرور "Maghrour"، والقطعة سكت سنة ٢٢٣هـ.

- Lavoix, Catalogue, op, cit, p. 393. /- Brèthes, Contribution, op, cit, p: 84.

٧٢ - حول ثورة الخوارج يمكن الاستئناس بما كتبه ذ- محمود إسماعيل وأورده بدراسته من مصادر بهوامش بحثه. – محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب. الطبعة الثانية ١٤٠٦/١٩٨٥. صص. ٦٠- ١٠٧.

٧٣ - ابن خلدون، العبر...، ج ٦. ص: ٢٧٦. هذه النسخة وردت بها كلمة " ومعها" بدل " معهما" التي صوبناها من نسخة أخرى من العبر...، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى. ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. ص. ٢٤٥.

٧٤ - محمود إسماعيل، الأدارسة، ص. ٩٤.

٧٥ - مفتاح، دراسة لبعض جوانب المسكوكات المغربية... ص. ٦٧. تجدر الإشارة لورود بعض القطع النقدية المنسوبة لمحزوز بن طالوت بدراسة ذ- مفتاح. دراهم ضربت بوطيط. صص. ٦٦-٦٧-٦٨. دراهم ببجرهان. صص.٦٩. وهناك قطعة له أيضا بكنوز متحف النقود ببجرهان القطعة رقم ٢٣٦ ص.٩٩.

- les Trésors du Musée de la Monnaie, op, cit . p. 99.

٧٦ - توجد قطع بمصنف أوسطاش باسم علي بن محمد سكها بوطيط سنوات ٢٢٥هـ و ٢٣٤هـ(ص. ٢٥٧).

- Eustach, op, cit, p. 257.

٧٧ - روض القرطاس، ص. ٩٤-٩٥/- الاستقصا، ج١: ١٨٠-١٩٧/- محمود إسماعيل، الخوارج...، ص. ١٣٨.

٧٨ - الاستقصا، ج ١: ١٨٠.

٧٩ - عزاوي، مختصر...، ج ١: ١٢٥.

80 - Eustach, op, cit, p. 35.

٨١ - لم نجد ذكرا لأي معلومات بهذا الشأن، المعطى الوحيد المتوفر هو التشابه الحاصل بين القطع النقدية الإدريسية ونظيرتها المسكوكة من قبل هؤلاء الخارجين عن سلطتها، مع بعض الاختلافات البسيطة. فالقطع تتضمن الشهادتين وباستثناء ذكر اسم محزوز وعبارة " العدل لله". فعلي بن محمد بن إدريس هذا لم تفصل المصادر حوله القول، فالبكري مثلا خصص له حوالي سطر فقط. أما صاحب روض القرطاس فحباه بثمانية أسطر، ونقلها عنه ابن القاضي في جذوته، ولم يمنحه ابن الخطيب سوى أربعة أسطر.- البكري، **المسالك والممالك، الجزء الخاص ببلاد المغرب**، دراسة وتحقيق زينب الهكاري، مطبعة الرباط نيت، الرباط. ٢٠١٢. ص. ٢٣٦/- البكري، المسالك...، جمال طلبة، ج ٢: ٣٠٩/- روض القرطاس...، ص. ٦٧/- ابن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعـلام**، تحقيق وتعليق، أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء. ١٩٦٤. ص.٢٠٧. /- ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط. ١٩٧٣. ج ٢: ٤٥٩ /- الاستقصا، ج ١: ١٧٤-١٧٥/- **معلمة المغرب**، مقال حول علي بن محمد بن إدريس، ذ- محمد المغراوي، ١٤٢٤-٢٠٠٣. ج ١٨: ٦١٧٤.

٨٢ - بالمصادر السالفة الذكر مثلا صاحب القرطاس والناصري يقولان بأن الناس في أيامه عاشوا في أمن ودعة، وهذا ما نقله عنهم الباحثون بدون تمحيص. روض القرطاس، ن. ص./- الاستقصا، ن ج. ص.

دار سكة سبو موقع على حوض نهر سبو نسبه التاريخ

83 - Eustach, op, cit, p. 216-217-218-219-220-221.../- Maamri, op cit. p. 54.

٨٤ - نحن مدركون للصعوبات التي تعترض هؤلاء الجماعيين إن رغبوا في نشر ما لديهم من مسكوكات، سواء تعلق الأمر بالجانب التقني أو المادي...، لهذا يجب أن تقدم لهم مساعدات من طرف الجهات الرسمية مثل وزارة الثقافة أو بنك المغرب ومتحف المسكوكات التابع له، وغيرها من هيئات ومؤسسات الدولة، خدمة للمصلحة العامة وللتاريخ والحضارة المغربيين.

٨٥ - الصورة مقتبسة عن كتاب كنوز متحف النقود، القطعة رقم ٢٢٦:

- les Trésors du Musée de la Monnaie, op, cit . p. 98.

٨٦ - سبق وأشرنا للتغيير الحاصل بالآية القرآنية.

## المصـادر والمراجع

**مراجع بالعربية:**


- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ابن حوقل، **صورة الأرض**. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت. ١٩٩٢.
- ابن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق، أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء. ١٩٦٤.
- ابن خلدون، **كتاب العبر والمبتدأ والخبر...**، ضبط المتن ووضع الحواشي- خليل شحادة، دار الفكر- بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط. ١٩٧٣. ج ٢.
- أفا عمر، **ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، العدد الثامن عشر، ١٩٩٣.
- أمليد محمد، **المدن الإدريسية منذ أواخر القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع الهجريين، دراسة تحليلية تركيبية**، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الموسم الجامعي ١٩٩٧/١٩٩٨. (مرقونة).
- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، الجزء ٥. مايو ٢٠٠٢.
- دنيال أوسطاش، **تاريخ النقود الإسلامية وموازينها في المشرق وبلاد المغارب منذ البدايات الأولى إلى الآن**، ترجمة محمد معتصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: نصوص وأعمال مترجمة رقم ١٤. الطبعة الأولى ١٤٢٣/٢٠١١.
- سعدون عباس نصر الله، **دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي ١٧٢-٢٢٣هـ/٧٨٨-٨٣٥م**، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات، **المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.
- عبد الجليل حليم، مقال حول **"سبو"، معلمة المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، الرباط. ١٤٢٢/٢٠٠١. ج ١٤.
- عبد الله العوينة، مقال حول **"سبو"، معلمة المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، الرباط. ١٤٢٢/٢٠٠١. ج ١٤.
- عزاوي أحمد، **مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي**، الجزء الأول، طبعة ثانية، الرباط. ٢٠٠٩.
- كراتشوفسكي، **تاريخ الآداب الجغرافي العربي**، نقله إلى اللغة العربية، صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الأول، موسكو- لينينغراد، ١٩٥٧.
- مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥.

- محمد حجي، **من تاريخ الدولة الإدريسية: قضايا في سيرة إدريس الأزهر وتأسيس مدينة فاس**، ضمن متنوعات محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨.
- محمد حجي، مقال حول " **حرازم(سيدي)** "، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، الرباط. ١٤١٩/١٩٩٨. الجزء ١٠.
- محمد المغراوي، مقال حول علي بن محمد بن إدريس، **معلمة المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، الرباط. ١٤٢٤-٢٠٠٣. ج ١٨.
- محمود إسماعيل، **الأدارسة (١٧٢-٣٧٥هـ) حقائق جديدة**، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب. الطبعة الثانية ١٤٠٦/١٩٨٥.
- مفتاح نورالدين، **دراسة لبعض جوانب المسكوكات المغربية من العهد الإدريسي إلى العهد الموحدي، من خلال المجموعة النقدية للسيد رشيد الصبيحي**، بحث لنيل شهادة الدراسات العليا، شعبة الآثار الإسلامية، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، الرباط، السنة الجامعية ١٩٩٩-٢٠٠٠. (مرقونة).
- البكري، **المسالك والممالك**، حققه ووضع فهارسه، جمال طلبة، الطبعة الأولى، دار الكتاب العلمية، لبنان. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م. المجلد الثاني.
- البكري، **المسالك والممالك، الجزء الخاص ببلاد المغرب**، دراسة وتحقيق زينب الهكاري، مطبعة الرباط نيت، الرباط. ٢٠١٢.
- الجزنائي علي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط. الطبعة الثانية. ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- السنوسي الخطابي، **الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية**، مطبعة الشباب بمصر، ١٣٤٩هـ.
- المقدسي البشاري، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، القاهرة. الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- الملكي(المالكي)، **موافقة التاريخين الهجري بالميلادي**، مجلة تاريخ المغرب، العدد الثاني، السنة الثانية، ١٩٨٢.
- الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء. ١٩٥٤. ج ١.

**مراجع أجنبية:**

- Ben Hsain (Rajae), " Approche quantitative de l'or monnayé en Occident musulman( 450/1058-59 à 830/1426-27) ", thèse de la nouveau Doctorat, sous la direction de professeur: Jean Devisse, Université de Paris I, année 1994.
- Brèthes (J.D), **Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques**, Casablanca, sons date.
- Eustach Daniel, **Corpus Des Dirhams Idrisites et Contemporains**, Bank Al-Maghrib, Réimpression, Rabat, 2008.
- Eustach Daniel, Les Ateliers Monétaires Du Maroc, Hespéris-Tamuda, Fas-unique. Vol XI. 1970.
- Hazard, H.W, **The Numismatie History OF Late Medival North Africa, Numismatic Society "**, New York, 1952.
- Lane( Poole), **Catalogue of Oriental Coins, Coins of The Moors of Africa and Spain**, British Museum, Printed by Order of Trustees, tome V, London, 1880.
- Lavoix (Henri), **Catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale (Espagne et Afrique)** , Paris, 1891.
- **Les Trésors du Musée de la Monnaie, Histoire et Patrimoine Du Maroc**, Bank Al-Maghrib, Rabat 2006.
- Maamri Lahbib**, Monnaies inédites des Idrissides**, Editions Post-Modernité. Fès, 2006.
- Mitechiner (M), **Oriental Coins And Their Values, The World of Islam**, Hawkins Publications, London, 1977.
- Provençal (L), La fondation de Fès, in A.I.E.O, t 4. Alger 1938.

# بيوغرافيا المؤلّفين الجزائريين في اللغة العربية خلال الحكم الفرنسي للجزائر

**إعداد: د/ علي بوشاقور**
جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف

مقالات

**مقدمة**

**يعود اهتمامي بموضوع "إسهامات الجزائريين في اللغة" إلى سنة ١٩٩٦م حينما كنت طالبا في قسم الماجستير في "مشروع التراث اللغوي في الجزائر" لصاحبه الأستاذ الدكتور مختار بوعناني، ومنذ هذه السنة انطلقت في مسار البحث عن المؤلفين الجزائريين الذين كتبوا في اللغة، فقد عثرت على مجموعة من المخطوطات سنة٢٠٠٣.وترجع معظمها إلى فترة الحكم الفرنسي للجزائر.**

**أملك حاليا خمسة عشر مؤلَّفا في اللغة لمؤلِّفين جزائريين عاشوا جميعا تلك الفترة، وسأعرض في هذا المقال ترجمة لبعضهم مع ذكر مؤلفاتهم، لعلها تعطينا صورة واضحة عن جهودهم في ميدان اللغة حتى وأمتنا تعيش أحلك الظروف.**

## بيوغرافيا المؤلفين الجزائريين في اللغة خلال الحكم الفرنسي للجزائر

### التّعريف بعبد القادر المجّاوي التّلمساني

حياته: ولد عبد القادر المجّاوي في تلمسان بالغرب الجزائري سنة١٢٦٧هـ من أب يدعى محمد بن عبد الكريم[1]، وبعد دراسته في مسقط رأسه انتقل لمتابعتها في المغرب الأقصى، في كل من فاس وطنجة وجامع القرويّين على الخصوص، ثم عاد إلى الجزائر سنة ١٢٩٢هـ، وقد أدّى فريضة الحجّ ليتولى التّدريس أوّلا في قسنطينة حيث أقام، وتزوّج فيها وأنجب، وعلّم في كلّ من جامع الكتّاني

ابتداء من سنة ١٢٩٢هـ، والمدرسة الحكومية سنة١٢٩٥هـ بالإضافة إلى نشاطه خارج عمله الرّسمي كمدرّس ومحاضر في المدارس الحرّة والمساجد، كالمسجد الأخضر، فأحدث تأثيرا قويّا في الأوساط الفكريّة والشّعبيّة، بدروسه، ومحاضراته العامة .أمّا دروسه الرّسميّة فقد تنوعت في المنطق والبيان، والمعاني، واللغة، والنّحو، والفلك، ويبدو أنّه مما كان يدرّسه في الفلك منظومة محمد بن يحيى ابن أحمد التسوسي المرغيني وشرحها، وفي سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٨م) انتقل المجّاوي إلى العاصمة للتّدريس في مدرستها العليا (مدرسة الثّعالبي) كما عُيّن إماما خطيبا بجامع(سيدي رمضان ) بالعاصمة سنة١٣٢٦هـ وبقي في قمّة نشاطه: إماما قديرا، وأستاذا متمكّنا ومؤلّفا نشيطا، ورجل إصلاح في جميع الحالات.

وقد تخرّج على يده في التّدريس كثير مثل: (حمدان الونّيسي) و(أحمد الجيباتي) و(المولود بن الموهوب)[٢] وهم من الذين كان لهم تأثيرهم في الحياة الاجتماعية، والفكرية.

## ثقافته وإسهاماته:

اتّسم عبد القادر المجّاوي بالموسوعيّة في الثّقافة، وقد وصفه الأستاذ سعد الدين ابن أبي بصاحب المعرفة الواسعة، فقد كان متمكّنا من ناصيّة اللغة، فقيها، متضلّعا، مشاركا في كثير من العلوم، ومنها علم الكلام، وعلم الاقتصاد السياسي، وعلم التّربية، وعلم البيئة، عكف على التّدريس فتخرّج على يده مجموعة من التّلاميذ، أصبحوا بدورهم أساتذة[٣].

وقد أسهم إسهاما جيّدا في حدود إمكانيّاته من أجل نهضة ثقافته، كما شارك في إحياء اللغة العربيّة، والعلوم الإسلاميّة، وبذل جهدا كبيرا في سبيل ارتقاء مستوى الجزائر الثّقافي حسب اتّجاهات جيله الشّريف.

وقد كان الشّيخ أحد قادة الإصلاح في الكتلة المحافظة، وكان يتمتّع بشعبيّة واحترام كبيرين بين الجزائريّين في وقته، فقد كان أستاذ اللغة العربيّة، والقانون الإسلامي، في المدرسة الجزائريّة الفرنسيّة بالعاصمة، مدّة سنوات كثيرة[٤].

وقد أصبح المجّاوي على معرفة كبيرة وعميقة بالمجتمع الجزائري، والعالم الإسلامي، وقد كانت معظم كتاباته موجّهة ضد الآفات الاجتماعية، والخرافات والعادات القديمة.

## وفاته:

وقد توفي الأستاذ عبد القادر المجّاوي بقسنطينة في ٦أكتوبر ١٩١٤م وبها دفن، تاركا وراءه أثرا طيّبا في بعض شباب تلك الفترة، وشيوخها، كما ترك مؤلّفات اختلفت نوعا وكمّا، لكنّها جميعا جاءت من وحي ما علّم للطلاب، وما تدارس مع تلامذته وزملائه، تجاوزت هذه المؤلّفات خمسة عشر عملا في اللغة، والنّحو، والبلاغة، والدّين، وكذا علم الفلك، وسنتوقّف عند بعض منها.

**مؤلّفاته:**

١- "إرشاد المتعلّمين": وهو كتاب في اللغة، والنّحو، والبلاغة، طبع بمصر وقدّم له في الصفحة الأولى أحد المثقّفين السوريّين في مصر بقوله: "قد اطّلعت من هذا الكتاب على ألفاظ رفيعة، ومعاني رشيقة، وآداب فائقة، وحكم رائقة تدلّ على ما لمؤلّفه من البراعة التّامة، والمعرفة العامة، وتشهد له بخلوص النيّة، وحسن الطويّة، وقد أدى واجبه في نصح المسلمين، وإرشاد المتعلّمين".

أمّا الفصل الأوّل في علوم اللسان، وبعد المقدّمة من هذا الكتاب فإنّ المجّاوي يبدأه بقوله: "إنّ اللغة العربيّة هي أقدم لغات العالم المستعملة الآن وأوسعها، وفضلها عن غيرها، يشهد لها كل من يعرفها، ولو كان أعجميّا، فهي أفصح اللغات منطقا وبيانا، وأكثرها تصرّفا في أساليب الكلام، وأقبلها تفنّنا في النّثر، والنّظم، قد ملأها الله من الآداب، والحكم فنالت من الأمثال القديمة والحديثة ما لم ينله غيرها"(٥).

٢- "نصيحة المريدين": وهي رسالة توجيهيّة نشرت في تونس.

٣- " شرح شواهد ابن هشام": وهو كتاب في النّحو واللغة والأدب، طبع في قسنطينة.

٤-"شرح اللامية المجراديّة في المسائل النّحويّة": نشرها بعنابة سنة ١٨٩٤.

٥-"الدّرر البهيّة على اللامية المجرادية في الجمل": وهي شرح مختصر عن سابقه في ٦٤ صفحة.

٦-"نزهة الطّرف في المعاني والصّرف": ٣٧ صفحة.

٧-"الدّرر النّحوية على المنظومة الشبراوية": في اللغة والنّحو٥٧ صفحة.

٨-"شرح الجمل النّحوية ": وهي الجمل المعروفة بالكبرى والصغرى.

٩-"الإفادة لمن يطلب الاستفادة" يضم مسائل فقهية وبلاغية في ٦٤ صفحة.

١٠-" شرح منظومة البدع ": وهي منظومة أخلاقيّة إصلاحيّة من تأليف تلميذه المولود بن الموهوب، شرحها الأستاذ تشجيعا لتلميذه، وتقديرا له وإعجابا به.

١١-"القواعد الكلاميّة": هذا الكتاب من أكثر كتبه غزارة وأهمية استغرق ١٥٧ صفحة يقول المؤلّف في تقديمه:(أمست الحاجة إلى تأليف رسالة في علم التّوحيد تكون سهلة المأخذ قليلة الكلفة).

١٢-"كتيب": شرح فيه منهج تعلّم النّحو، وهو منهج تعليمي يجمع بين الدّين الإسلامي، واللغة العربيّة والعلوم الحديثة، نشر ملخّصة في جريدة "المبشر" وقد سمّته الصحافة الفرنسية "كتاب شر" un livre nuisible جريدة «لبروقري دو لاست» progres de lést (٦).

التعريف بالشّيخ الطيّب المهاجي

هو الطيّب بن المولود بن مصطفى بن محمد بن مصطفى بن الفريح، ولد في ربيع الأوّل سنة ١٣٠٠هـ الموافق لسنة ١٨٨١م، وقد عرفت هذه السنة ثورة الشيخ بوعمامة[٧] انطلاقا من جنوب وهران ضدّ الاحتلال الفرنسي الغاشم أمّا عن مكان ولادته فيعرف بأرض " القعدة " وهي من قبيلة أولاد علي، وهي إحدى قبائل بني عامر بني زغبة، المعروفين بعروبتهم.

ينحدر الطيّب المهاجي من أسرة عرفت بطلب العلم، وحفظ كتاب الله عزّ وجلّ، فأبوه كان ينسخ المصاحف بيده، كما كان يعلّم القرآن مقابل أجرة نظرا للفقر الذي مرّ به، ولكثرة حكمته كان سكّان المنطقة يحكّمونه في النّوازل، كما اشتهر بإتقانه كتابة الوثائق، أمّا جدّه فهو سيدي مصطفى الذي أخذ العلم من عمّه سيدي الطيّب بن الفريح على الشّيخ " أبي راس النّاصري" كما عرف عن والد جدّه، وهو "سيدي محمد السني"، وهو من كبار العلماء الذين أحيوا السنن، وقاوموا البدع وعرف بالسنّي، قرّبه باي وهران "عثمان الكبير" إلى الجامع الأعظم، وجعله من خواص مجلسه، وبقي بوهران إلى أن توفي في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، ودفن بمقبرة سيدي البشير خارج وهران في الجانب الشّرقي بوصيّة منه.

ويعد "الطيب المهاجي" أصغر خمسة أبناء للمولود الأب، والّذي بذل جهدا في تعليمهم، حتى كان له ذلك بتحفيظهم القرآن الكريم، وكانت وفاته غرة المحرم من سنة ١٣٢٣هـ الموافقة لسنة ١٩٠٥م[٨].

وكانت ولادة الطيّب المهاجي مقترنة بظهور ما عرف بـ"قانون الأندجينا cod de lindi-genat الذي صدر في ٢٦جوان١٨٨١م، وهو عبارة عن مجموعة من النّصوص الاستثنائية التي فرضت على الشّعب الجزائري منذ عام ١٨٤٧م، والذي يقتضي الطّاعة العمياء للمستوطنين، وبقي هذا القانون ساري المفعول حتى عام ١٩٤٤م[٩].

## حياته العلمية

بدأت حياته العلمية في بيت أبويه حيث كان والده يعلّمه ألفاظ الشّهادة، وشرحها له شرحا بسيطا، كما كان يحفّظه بعض قصار السور، فحفظ من سورة الضحى إلى سورة الناس، وابتدأ القراءة في اللّوح من سورة الليل، فحفظ سورا من القرآن الكريم بدأها من سورة البقرة إلى سورة النّور، وكانت ختمته للقرآن حفظا، وله من العمر تسع سنوات كما أتبع ذلك بإحدى عشرة ختمة موزّعة على الشّيوخ الآتية أسمائهم:

- الشّيخ محمد بن قدور بن الأقرع.
- الشّيخ محمد بن عبد الله اللعباني المعروف بإتقان القرآن حفظا ورسما.
- الشّيخ محمد المولود بن إبراهيم (ت١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، المشهور بمعرفته

بيوغرافيا المؤلّفين الجزائريين في اللغة العربية خلال الحكم الفرنسي للجزائر

للرّسم العثماني للقرآن الكريم.

- الشّيخ عبد السّلام بن صالح الغريسي: والذي أتمّ على يديه القرآن الكريم في مرات، بقراءة نافع عن رواية ورش، كما أخذ عليه «الدّرر واللوامع» لابن البر في التّجويد، وتصوير الهمز من «مورد الضمآن « للشريسي « المعروف بالخرّاز، كما أخذ عنه متن الآجرومية بشرح الشّيخ خالد الأزهري، وحاشيته لابن حمدون مع شرح أبيات الألفيّة لابن مالك، بعد ذلك توجّه إلى متابعة الدّروس على يد ابن عمّه الشّيخ محمد بن فريح من مختصر الشّيخ خليل لمدّة خمسة سنوات[10].

كما درس على الشّيخ « محمد ابن العربي الشرفي» باب المواريث من «مختصر خليل» تمّ على الشّيخ « محمد القندوز التّنسي «، القادم من مدينة سيق للتّعليم والتّدريس بطلب من أعيان المدينة. ولأجل الاستفادة من هذا الشّيخ أقام الشيخ الطيّب المهاجي بهذه المدينة مدّة سنة، أين أخذ عنه معظم مختصر خليل والآجرومية، وقطر النّدى لابن هشام، وألفية ابن مالك، كما أخذ عليه لامية الأفعال في الصّرف، والسّمرقنديّة في البيان.

وسافر بعدها إلى مدرسة الشّيخ «الشعيبي « بقبيلة صبيح[11] التّابعة لمدينة تنس سابقا؛ حيث التحق بها، فدرس على يد شيخها العالم الذي كان يحمل لواء الزّعامة العلميّة بالقطر الجزائري.

## شيوخه

١- **الشّيخ محمد الشيباني** (١٩٠٦-١٩٨٦م) جلس هذا الشّيخ لتحفيظ القرآن الكريم ستّين (٦٠) عاما مجّانا بلا مقابل، وكان حسن الخط، وله نسخة خطيّة من القرآن الكريم، وقد انتهى من كتابتها عام ١٢٨٢هـ.

٢- **الشّيخ سيدي محمد بن المولود بن ابراهيم،** وهو من أبناء عمومة الشّيخ المهاجي، عرف بإتقانه لرسم القرآن الكريم وفق المصحف العثماني، كما كان موصوفا بحسن الصّوت في القرآن.

٣- **الشّيخ سيدي محمد بن عبد الله اللعباني** فنى هذا الشّيخ جلّ حياته في تعليم الصّغار القرآن الكريم في كثير من قرى بلده توفي سنة ١٣٢٠هـ.

٤- **الشّيخ سيدي عبد السّلام بن صالح الغريسي** أجازه بكل ما تلقّاه من خلال إقامته بمدرسته.

٥- **الشّيخ سيدي محمد بن الفريح** لازمه الشيخ المهاجي خمس سنوات ويعد الغريسي من أشهر الذين حفظوا مختصر خليل ودرسوه. أبتلي في آخر حياته بالعمى.

٦- **الشيخ محمد بن العربي فريح** وهو أحد خريجي مدرسة مازونة القريبة من الشلف(الأصنام سابقا) درس عليه الشّيخ المهاجي باب المواريث من مختصر خليل.

٧- **الشّيخ أبو شعيب الدكالي** وهو الذي أجاز الشيخ المهاجي إجازة عامة في علوم الحديث، وقد

توفي عام ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م.

٨- الشيخ أبو العباس أحمد البلغيثي العلوي ثم الفاسي، وقد أجاز الشّيخ المهاجي على طريقة جديدة حيث كان ذلك بالشّعر فقال فيه:

أجزتكم بكلّ ما مني وصل قبلتكم أو بعد عندكم حصل من علمي المنقول والمعقول وكلّ ما عرفت من مقولي وكانت وفاته -رحمه الله- سنة ١٣٤٨هـ[12].

٩- الشّيخ شعيب الجليلي وهو قاضي الجماعة بتلمسان، وهذا الآخر أجاز المهاجي في شكل نظم ومطلعها:

إلـى بـنـي الأطـيـب الـمـهـاجـي

مـن علمه فـي الـنّـفـع كـالـنّـجـاح.

١٠- الشّيخ القاضي سيدي أحمد بن الحسن المختاري وهو من قرابة الأمير عبد القادر -رحمه الله- التحق بمنصب القضاء بوهران وتوفي سنة ١٣٤٤هـ.

١١- الشيخ محمد بدر الدين[13] وهو محدث الشام بدار الحديث النّبوي الشّريف بدمشق، أجاز المهاجي عندما زار دمشق.

١٢- الشّيخ أحمد الشّريفي السنوسي الخطّابي (ت١٣٥١هـ ١٩٣٣م) المعروف بالفضل، ذو المقام الرّفيع، والمكانة السّامية، وقد أجازه إجازة مشافهة إجازة عامة، وذلك بمكة المكرمة.

١٣- الشّيخ خليل التّكروري والشّيخ أحمد الأمين بن عزوز وهما من علماء المدينة[14].

## تلامذة الشّيخ الطيب المهاجي

لقد كثر عدد تلامذته ونذكر منهم:

١- الشّيخ بن مشري عبد القادر (١٩٣٨م)، والشّيخ رحلي نعيم(١٩٣٩م) وابنه الشّيخ زدور محمد إبراهيم القاسم (١٩٢٣م)، والشّيخ عبد الرّحمن بن زيّان، والشّيخ عبد القادر بوجلال (١٩١٥م)، والشّيخ مصطفى ابن زيّان توفيّ سنة(١٩٧١م)، والشّيخ المولود المهاجي (١٩٠٩م)[15].

وبالإضافة إلى ما ذكرناه عن الشّيخ الطيّب المهاجي فقد عرف عنه أيضا كثرة ترحاله، وسوف نذكر أهم رحلاته التي قادته إلى عدّة بلدان إسلامية.

## رحلات الطيب المهاجي

### أولا رحلته إلى الحرمين الشريفين

وذلك لأداء فريضة الحج سنة١٣٥٠هـ بعد تسلّمه الرّخصة، وقد طلب منه بعض الأعيان أن يعلّمهم مناسك الحج، فلبى الشّيخ طلبهم، وصار يعلمهم إيّاها في اليوم صباحا ومساءا إلى أن وصل إلى جدة، وخلال مدة إقامته اجتمع بعلماء منهم الشّيخ أبو السمح إمام المسجد الحرام، وخليل التّكروري والسّنوسي الخطّابي؛ حيث استفاد منهم كثيرا، وقد دامت مدّة إقامته بالحرمين إحدى وثلاثين يوما(٣١) استفاد من خلالها الشّيخ دروسا وعبرا.

## ثانيا رحلته إلى تونس

وذلك سنة ١٣٤٨هـ واستطاع أن يزور خلالها جامع الزّيتونة الذي التقى فيه بالشيخ بيرم وبقاضي المالكيّة الشيخ الصادق النيفر، كما زار مجلس القضاء وأثناء إقامته بتونس كان يتردّد على مجالس الدّروس بالزّيتونة، ومن بين الدّروس التي حضرها، درس في النّحو من ألفية بن مالك، وآخر في أصول الفقه، وقد شارك من خلال ذلك بتوجيهات قيّمة، ثمّ حضر مجلسا علميّا آخر في التّفسير للشّيخ ابن يوسف الحنفي(١٦).

كما قام الشّيخ المهاجي بزيارة المدرسة الخلدونيّة، أين قابله مديرها بالتّرحيب، وطاف به على حجرات تعليم التلاميذ، فأثنى على المدير وأساتذة المدرسة، وشكر لهم حسن اعتنائهم بتربيّة النشء، ثم توجّه بكلمة إلى تلاميذ هذه المدرسة قال فيها: "وطنكم يفرض عليكم أن ترفعوا مستواه حتى يتبوّأ مركزا ساميا يليق به"(١٧).

## ثالثا رحلته إلى قسنطينة

وكانت أثناء عودته من سفره إلى وهران؛ حيث زار الشّيخ عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر، وقد دار بينهما حديث حول مسائل مختلفة في العقيدة(١٨).

## رابعا رحلته إلى المغرب

زار الطيّب المهاجي المغرب سنة ١٣٦٨هـ، بدعوة من أحد علماء فاس الذي استضافه في منزله، ولما كانت هذه الزيارة مصادفة للعطلة الصّيفية لم تمنح للشّيخ فرصة لحضور درس من دروس القرويّين (الكلية) وغيرها من المعاهد العلميّة، كما زار أيضا مدن مكناس، الرّباط، وسلا، وعند رجوعه إلى وهران نزل بمدينة وجدة؛ حيث صلى بها الجمعة، وانتهت رحلته إلى المغرب(١٩).

## خامسا رحلته إلى الحجاز

رحل الشّيخ المهاجي إلى الحجاز في سنة١٩٦٨م؛ أي قبل وفاته بسنة رفقة زوجته، وولده الأكبر الشّيخ محمد الشّريف المهاجي؛ حيث التقى بفضيلة الشّيخ حسن إبراهيم الشّاعر عضو رابطة العلماء بالمدينة المنوّرة، وقد قدّم له هديّة تمثّلت في رسالة بعنوان: "تحفة الإخوان في بيان أحكام تجويد القرآن"(٢٠).

## أعمال الشّيخ الطيّب المهاجي

أسهم كثير من الجزائريين في مواجهة الاستعمار؛ حيث تصدّى الشّيخ للتّعليم، والتّدريس، وحصوله على رخصة تؤهّله لذلك، رغم تعنّت الاستعمار.

كما اشترك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، فكان من أعضائها الدّائمين برتبة مستشار.

وقد أسهم أيضا في تربيّة رجال، ساهموا في حركة النّهضة ضدّ الاستعمار منهم ابنه القاسم زدور ابراهيم الذي توفيّ شهيدا، كما كان يمثّل المفتي الرّسمي لمجاهدي منطقة وهران.

اشتغل الشّيخ المهاجي بالإمامة بعدّة مساجد منها مسجد الباشا (الترك) والمسجد يحمل اليوم اسمه[٢١].

## مميّزات الشّيخ الطيّب المهاجي

لعلّ أبرز ما يميّزه هو تمتّعه بفكر إسلامي شديد، والتّحصيل، والوعظ والإرشاد، كما تميّز بثقافة عربيّة عالية، والّتي ساهمت في رفع عماد الدّين وإحياء الشّخصية الوطنيّة الجزائريّة، إضافة إلى تميّزه بنشاط علمي خارق واستمرّ دائما في تتبّع واستقصاء، وتمكن من القديم والحديث، فلقد كانت شخصيّته القويّة تتصدّى للاستعمار من خلال فتح مدرسة للتّدريس في المدينة الجديدة بوهران.

ولقد استطاع الشّيخ الطيّب المهاجي – رحمه الله- بفضل من الله عزّ وجلّ أولا، ثم بما تميّز به من تفقّه في الدّين، وغزارة كرمه أن يؤثّر في محيطه الذي كان يسوده الجهل، والخرافات، وذلك بالقضاء عليه؛ حيث أنشأ مدرسة دينيّة لتعليم أبناء أمّته العلوم اللغوية والفقهية، وهذا من أجل إبقاء كلمة الله العليا.

توفي الشّيخ رحمه الله يوم الأحد١٧ أكتوبر ١٩٦٩م بوهران عن عمر يناهز ٨٨سنة، ودفن بمقبرة مول النومة بحي الصنوبر، وقد شيّع جنازته حوالي ٥٠ألف شخص مما يدلّ على سمعته الطيّبة، ومكانته بين الأوساط وقد ألقى الشّيخ المهدي البوعبدلي كلمة تأبينيّة؛ حيث أشاد بخصال الشّيخ الإيمانيّة والعلميّة فرحم الله عزّ وجلّ الشّيخ المهاجي وجزاه عن الإسلام خير جزاء.

## التّعريف بعبد الرحمان الديسي

اسمه ونسبه: هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الطيّب بن عبد القادر بن أبي القاسم بن محمد بن سيدي إبراهيم الغول الديسي نسبة إلى قرية "الدّيس"[٢٢].

مولده ونشأته: ولد سنة ١٢٧٠هـ الموافق لسنة ١٨٥٤م، نشأ يتيما إذ مات والده بأيّام قليلة بعد ولادته، وتربى في أحضان والدته خديجة[٢٣]

أدخلته والدته إلى الكتّاب في قريته، وأصيب بالجدري فكفّ بصره ورغم ذلك فقد أتمّ حفظ القرآن سماعا، وأتقن أحكامه[٢٤]، ثم انتقل إلى زاوية ابن أبي داود بجبل زواوة[٢٥] ليواصل تعليمه حيث أجيز وسمح له بالتّدريس، ثم انتقل إلى قسنطينة ليتلقى العلم عن مشايخه، ثم رجع إلى بلده واعتكف عل حفظ المتون العلمية[٢٦]. وبعد هذا انتقل إلى زاوية الهامل، وأخذ العلم عن مؤسّسها امحمد بن أبي القاسم[٢٧]، ولازم الزاوية تلميذا وأستاذا[٢٨].

تزوّج الدّيسي في قريته، وحينما انتقل إلى زاوية الهامل تزوّج امرأة من الأسرة القاسمية، فكان له من الأولى أحمد ابن داود، وكان له من الثّانية الصدّيق[٢٩].

نشاطه العلمي: لقد أعجب شيخ زاوية الهامل فقرّبه واستعان به للتّدريس في المعهد،

فكان ينوب الدّيسي عن شيخ الزاوية وينهض بأعباء التدريس معه إلى أن توفي الشيخ فأصبح هو شيخ الزّاوية[٣٠].

وعرف الدّيسي باتّساع علمه فاشتهرت مؤلّفاته بين تلامذته ومعاصريه، وقد حفظ نحو الخمسين متنا في الفقه، والأصول والنحو واللغة، والصّرف والمنطق والتّجويد والحكمة ومنها: الشّيخ خليل في الفقه، وجمع الجوامع في الأصول، والآجرومية، والأزهرية، والقطر، وشذور الذّهب، والألفية، ومتن الجوهر المكنون في الثّلاثة فنون في النحو، ومتن البنا، ومتن لامية الأفعال، في الصّرف، والسلّم في المنطق، والمقولات العشر في الحكمة[٣١].

وفاته وأثاره: توفي الدّيسي يوم ٢٢ من ذي الحجّة سنة ١٣٣٩هـ الموافق ليوم ٢٧ أوت ١٩٢١م.

ترك آثارا لم يطبع منها إلا القليل[٣٢]، فقد خلّف مؤلّفات كثيرة في شتى العلوم والفنون ومنها:

- إفحام الطّعن بردّ المطاعن[٣٣].
- بذل الكرامة لقراء المقامة[٣٤].
- تحفة المحبّين بشرح أبيات القطب الأكبر محي الدّين[٣٥].
- تنوير الألباب بمعاني الشّهاب[٣٦].
- تفضيل البادية بالأدلّة الواضحة البادية[٣٧].
- تهويت القول المكتين[٣٨].
- جواهر الفوائد وزواهر الفرائد[٣٩].
- الزّهرة المقتطفة[٤٠].
- الحديقة المزخرفة في حواشي القهوة المرتشفة[٤١].
- السّاجور للعادي العقور عاشور[٤٢].
- درّة عقد الجيد في عقائد علم التّوحيد[٤٣].
- سلّم الوصول إلى علم الأصول[٤٤].
- القصد في الفصد[٤٥].
- العقيدة الفريدة[٤٦].
- شرح البديعة[٤٧].
- شرح الرّجز الكفيل وذكر عقائد أهل الدّليل[٤٨].
- فوز الغانم في شرح ورد سيدي بلقاسم[٤٩].
- فتح العلام في شرح صلوات القطب عبد السلام[٥٠].

## الهوامش

١. تعريف الخلف برجال السلف. الحفناوي ج٢ ص١٩٧.
٢. المصدر نفسه ج٢ ص٤٤٩.
٣. النهضة العربية الحديثة مجلة كلية الآداب العدد الأول ص٥٧.
٤. الحركة الوطنية الجزائرية: أبو القاسم سعد الله دار الآداب ط١ ص١٧٢.
٥. مجلة الثقافة السنة الثامنة العدد٤٨ ص١١٦.

6. المصدر نفسه ٤٦-١٤٧٨ ص٦١.
7. توفي بدائرة وجدة بالمغرب الأقصى يوم ٠٧أكتوبر ١٩٠٨م.
8. يراجع الطيب المهاجي: أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر صفحة١١٣-١١٦-٣٧ نقلا عن: الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري تصنيف وترتيب: الأستاذ الهواري ملاح، مراجعة عبد المجيد بن نعيمة.
9. يراجع المختصر في تاريخ الجزائر: د/ صالح فركوس,صفحة٢٢٦ .
10. الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري. صفحة٠٧.
11. المصدر نفسه,صفحة٠٧.
12. يراجع ا الشيخ الطيب المهاجي سيرته وجهاده ص٧٣.
13. يراجع الآثار العلمية ص٠٨.
14. المصدر نفسه ,صفحة٦٨.
15. المصدر نفسه:ص٦٩-٧٠-٧١.
16. نقلا عن ابنه محمد المهاجي يوم الأحد ١٧أكتوبر ٢٠٠٤. يراجع الآثار العلمية ص٦٣.ويراجع عبد الملك مرتاض :الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر.ص٣٢.
17. يراجع الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري: صفحة١٢.
18. يراجع الثقافة العربية في الجزائربين التأثير والتأثر ص٣٣.
19. يراجع المصدر نفسه ص٣٤-٣٥.
20. يراجع:ابن باديس حياته وآثاره ٤/١٨٥.
21. يراجع المصدر نفسه ص ٤/١٨٥
22. يراجع تعريف الخلف برجال السلف تأليف أبي القاسم محمد الحفناوي ، مؤسسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّزيع ، ط٢، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ج٢ص٤٠٧، ويراجع معجم المؤلّفين تأليف عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنانج٣ص١٣٣، ويراجع معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين ، تأليف عادل نويهض ، المكتب التّجاري للطّباعة والنّشر والتّوزيع بيروت لبنان ط١، ١٩٧١، ص١٥٦، ويراجع المشرب الرّاوي تقديم ص٦. وتقع قرية (الدّيس ) على بعد (١٢) كلم من مدينة بوسعادة بالجنوب الجزائري
23. يراجع المصادر السّابقة والصّفحات نفسها.
24. يراجع تعريف الخلف برجال السلف ص١٦.
25. تقع قرية (زواوة ) بولاية تيزي وزو شرق الجزائر العاصمة على مسافة كلم.
26. يراجع الدّيسي ، حياته وآثاره وأدبه تأليف عمر ابن قينة ، الشّركة الوطنية للنشر والتّزيع ب ت، ص١٦.
27. توفي ١٣١٥هـ/١٨٩٧م
28. يراجع تاريخ الجزائر الثقافي تأليف أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٨م ج٧ص٧٣.
29. يراجع الديسي، حياته وآثاره وأدبه ص٢٥
30. يراجع نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة. تأليف محمد علي دبوز ط١، المطبعة العربية، الجزائر ١٩٦٩، ج١، ص٤٣
31. يراجع تعريف الخلف برجال السّلف، ج٢ ص٤٠٧، ٤٠٨.
32. يراجع الديسي حياته وآثاره وأدبه ص٢٦.
33. يراجع الديسي حياته وآثاره وأدبه ص٤٣، ويراجع المشرب الراوي تقديم ص١٢
34. يراجع الديسي حياته وآثاره وأدبه ص٤٣، ويراجع المشرب الراوي تقديم ص٧٤، ويراجع المشرب الرّاوي. تقديم ص١٢
35. يراجع المصدر نفسه ص٧٧، ويراجع المشرب الرّاوي ص١٢
36. يراجع المصدر نفسه والصّفحة نفسها.

بيوغرافيا المؤلّفين الجزائريين في اللغة العربية خلال الحكم الفرنسي للجزائر

٣٧. يراجع معجم أعلام الجزائر ص١٥٦، ويراجع المشرب الرّاوي ص١٢.

٣٨. يراجع الدّيسي حياته وآثاره وأدبه ص٦١. .

٣٩. يراجع المصدر نفسه ص٢٩

٤٠. يراجع المصدر نفسه، ويراجع معجم أعلام الجزائرص١٥٦، ويراجع المشرب الرّاوي .تقديم ص١٣

٤١. يراجع المشرب الرّاوي. تقديم ص١٣.

٤٢. يراجع الدّيسي.حياته وآثاره وأدبه ص٤٩، ويراجع المشرب الرّاوي. تقديم ص١٣.

٤٣. يراجع الدّيسي.حياته وآثاره وأدبه ص٤٩، ويراجع معجم أعلام الجزائرص١٥٦ ويراجع المشرب الرّاوي. تقديم ص١٣.

٤٤. يراجع الدّيسي.حياته وآثاره وأدبه ص٧٢، ويراجع معجم أعلام الجزائرص١٥٦ ويراجع المشرب الرّاوي. تقديم ص١٣.

٤٥. يراجع الدّيسي.حياته وآثاره وأدبه ص٧١، ويراجع المشرب الرّاوي. تقديم ص١٤.

٤٦. يراجع الدّيسي.حياته وآثاره وأدبه ص٧٢، ويراجع معجم أعلام الجزائرص١٥٦ ويراجع المشرب الرّاوي. تقديم ص١٤.

٤٧. يراجع الدّيسي.حياته وآثاره وأدبه ص٧٧ ويراجع المشرب الرّاوي. تقديم ص١٤.

٤٨. يراجع الدّيسي.حياته وآثاره وأدبه ص٧٨، ويراجع المشرب الرّاوي. تقديم ص١٤.

٤٩. يراجع الدّيسي.حياته وآثاره وأدبه ص٨٠، ويراجع المشرب الرّاوي. تقديم ص١٤.

٥٠. يراجع الدّيسي.حياته وآثاره وأدبه ص٨٢، ويراجع المشرب الرّاوي. تقديم ص١٤.

## المصادر والمراجع


- الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري تصنيف وترتيب: الأستاذ الهواري ملاح، مراجعة عبد المجيد بن نعيمة، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، الجزائر.
- أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، الطيب المهاجي، مخطوط بزاوية بطيوة، آرزيو المنطقة الصناعية، وهران، الجزائر.
- تاريخ الجزائر الثقافي، تأليف أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٨م
- تعريف الخلف برجال السلف تأليف أبي القاسم محمد الحفناوي ، مؤسّسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
- الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، عبد المالك مرتاض
- الحركة الوطنية الجزائرية، أبو القاسم سعد الله ط١دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان١٩٩٢ م
- الدّيسي.حياته وآثاره وأدبه، شترة خير الدين، دار شردادة، الجزائر ٢٠١٤
- المختصر في تاريخ الجزائر، د/ صالح فركوس
- مشائخ خالدون وعلماء عاملون، محمد إسماعيلي ط٢، مطبعة الكاهنة، الدويرة، الجزائر ١٤٢٠ه -١٩٩٩م
- المشرب الرّاوي في شرح منظومة الشبراوي، تصنيف محمد بن عبد الرحمان الديسي، رسالة ماجستير، إعداد عبد الله عيدي جامعة الجزائر٢٠٠٥
- المصنفات اللغوية للأعلام الجزائرية عبر القرون، د/ مختار بوعناني، مطبعة هومة، الجزائر.
- معجم أعلام الجزائر هن صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ط١٤٠٠،٢ه-١٩٠٠م
- معجم المؤلّفين تأليف عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان.


مقالات

# خطاطات من الغرب الإسلامي

بقلم: عبد الحكيم حمادي خلفي
الناظور - المغرب



**مقدمة:**

**لم تكن المرأة في الغرب الإسلامي بمعزل عن الحركة العلمية والثقافية التي عرفتها المنطقة عبر العصور، إذ نجد أنها أدلت بدلوها في كل فن، ورشفت من معين كل علم، فتتلمذت على كبار العلماء وأُجيزت، كما انتصبت للتدريس وأَجازت، فبرزت في الفقه والفتوى، وعلوم القرآن والإقراء، وتركت بصمتها في التفسير والحديث، والأدب والشعر، كما في النحو واللغة، وتقدمت في الطب والصيدلة، وعلم الفلك والحساب، وغيرها من الفنون.**

**ومن بين الفنون التي كان للمرأة فيها إسهام كبير؛ ما يتعلق بفن الكتابة والنسخ والوراقة، فنجد أن عددا من النساء ذاع صيتهن، واشتهرت أسماؤهن بما عرف عنهن من حسن الكتابة، وجمال الخط ونسخ الكتب، مع اتقانهن وضبطهن، حتى قام بعضهن بأصعب وأَجَلّ ما يكلف به كاتب، ويُشَرف به خطاط؛ ألا وهو كتابة المصحف الشريف، فيذكر لنا صاحب "المعجب" أنه بلغ بالرُّبض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة، كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي؛ هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها.[1]**

لا جرم أن البحث في موضوع يخص خطاطات من الغرب الإسلامي لا يخلو من صعوبات، وبخاصة عندما نشهد غيابا للمؤلَّفات التي اعتنت بترجمات الخطاطين عموما، والخطاطات على وجه الخصوص، إضافة إلى قلة الاهتمام بأهل هذا الفن في هذا القطر الإسلامي، زد على ذلك شح المعلومة المتعلقة بنشاط الكتابة والنسخ عندما يُترجم لهن، وبخاصة عندما يُعرف عن بعضهن اتقانهن لفن آخر غير الكتابة؛ كالشعر أو الأدب أو الفقه أو الحساب. فإنه غالبا ما يتم التغاضي عن هذا الفن؛ ليتطرق المترجم إلى غيره من الفنون.

ورغم ذلك، وإسهاما مني في التعريف بهؤلاء النساء، فإني عقدت العزم على القيام بتتبع

ترجمات من كان لهن إسهام في مجال الكتابة والنسخ والوراقة، -دون أن أدعي حصرهن؛ لأنه أمر متعسر- فتيسر لي جمع ما يزيد عن ثلاثين ترجمة، قمت باختصارها وترتيبها زمنيا حسب تاريخ الوفاة، فجاءت هذه الترجمات على الشكل الآتي:

### ١) فضل الكاتبة: (ت بعد ٢٩٥ هـ): [٢]

هي الحافظة الكاتبة فضل مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد، كتبت مصحفًا جليلاً بخطها الجميل سنة ٢٩٥ هـ، وهو المحفوظ بمكتبة جامع عقبة ابن نافع بالقيروان، وقد أتقنت رسمه وتزويقه وتهذيبه، وضم ورقته الأخيرة نص توقيفها بخطها، فجاء فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما حبست فضل مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد رحمه الله طلبا لثواب الله والدار الآخرة. رحم الله من قرأ فيها (أي الختمة) ودعا لصاحبتها. وكتبت فضل بخطها في المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين). توفيت رحمها الله بعد ٢٩٥ هـ.

### ٢) قلم أم أبان ( ق ٢ هـ ): [٣]

قلم أو علم، جارية الأمير عبد الرحمن الأوسط (ت ٢٣٨ هـ) وأم ابنه أبي الوليد أبان، وهي أندلسية الأصل، كانت تتقن جميع فنون الأدب، فصيحة اللسان، راوية للشعر، حافظة للأخبار، اضافة إلى ما عرفت به من حسن الخط والكتابة.

### ٣) رقية بنت الوزير تمام ( ق ٢ هـ ): [٤]

رقية بنت الوزير تمّام بن عامر (ت ٢٨٣هـ)،[٥] كانت كاتبةً لابنةِ الأمير المنذر بن محمد (ت ٢٧٥ هـ).

### ٤) البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم (ت ٣٠٥ هـ): [٦]

هي الزاهدة العابدة المتبتلة الخيرة، البهاء بنتُ الأمير عبد الرّحمن بن الحَكَم بن هشام بن عبد الرّحمن (ت ٢٣٨ هـ)[٧]، عرفت بكتابة المصاحف وتحبيسها في سبيل الله، ويُنسب إليها المسجد الذي بربَض الرُّصَافة. كانت وفاتها رحمها الله في رجب سنة ٣٠٥هـ.

### ٥) زمرد ( ت ٣٣٦ هـ ): [٨]

زمرد، عرفت بأنها كانت كاتبةً حاذقة. توفيت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.

### ٦) مزنة الكاتبة ( ت ٣٥٨ هـ ): [٩]

مزنة، كاتبة الخليفة عبد الرحمن الناصر[١٠]. كانت حاذقة بالكتابة من أخط النساء. توفيت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

### ٧) نظام الكاتبة: (ت بعد ٣٩٢ هـ) [١١]

نظام الكاتبة بقصر الخلافة من قرطبة أيام هشام بن الحكم (ت ٤٠٣ هـ)[١٢]، كانت بليغة مدركة محبرة للرسائل، وكان من إنشائها الخِطابُ الذي عَزّى فيه المظفَّرُ عبدَ الملِك ابنَ المنصور محمدِ بن أبي عامرٍ عن أبيه وجدّد له العهدَ بولايتِه سنة اثنينِ وتسعينَ وثلاثمائة.

### ٨) لبنى الكاتبة (٣٩٤ هـ):[13]

هي كاتبة المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر (ت ٣٦٦ هـ)، أمير الأندلس[14]، كانت حاذقة بالكتابة، صاحبة خط مليح، خطاطة جدا، كما كانت نحوية شاعرة، بصيرة بالحساب، مشاركة في العلم، ويذكر أنه لم يكن في القصر أنبل منها، وتوفيت رحمها الله سنة أربع وتسعين وثلاثمائة.

### ٩) كتمان (ت ق٤هـ):[15]

الجارية كتمان القرطبية، من الجواري المتّصفات بالفهم بقصر الخلافة بقرطبة، وهي كانت الكاتبة عن الناصر عبد الرّحمن (ت ٣٥٠ هـ) صاحب الأندلس.

### ١٠) جارية الحكم المستنصر (ت ق ٤ هـ):[16]

هكذا ذكرت دون اسم، من جواري قصر الحكم المستنصر بالله، وصفت بالذكاء والفهم، وتعلمت التعديل وخدمة الاسطرلاب وما يجري مجرى هذا وحذقته، إضافة إلى أنها كانت كاتبة.

### ١١) عائشة بنت أحمد القرطبية (ت ٤٠٠ هـ):[17]

عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية، ذكر أنه لم يكن في الأندلس في زمانها من يعدلها فصاحة وحصافة، وأدبا وعفة، وعلما وشعرا، وكانت ذات مكانة لا ترد شفاعتها، كما عرفت بحسن خطها، فكانت تكتب المصاحف والدفاتر، وتجمع الكتب، وتعنى بالعلم، ولها خزانة علم كبيرة حسنة، توفيت رحمها الله سنة أربعمائة وهي عذراء.

### ١٢) صفية بنت عبد الله الريي (ت ٤١٧ هـ):[18]

هي الأديبة الشاعرة صفية بنت عبد الله الرّيّي. كانت موصوفة بحسن الخط. ومن شعرها ردها على امرأة عابت خطها، قائلة:

وعائبة خطي فقلت لها اقصري
فسوف أريك الدر في نظم أسطري

ونـاديـت كـفي كـي تـجود بخطها
وقربـت أقلامي ورقي ومحبري

فـخطـت بـأبيــات ثـلاث نظمتها
ليبدو بها خطي فقلت لها انظري

توفيت رحمها الله وهي دون ثلاثين سنة، في آخر سنة سبع عشرة وأربعمائة.

### ١٣) راضية مولاة عبد الرحمن الناصر لدين الله (ت نحو ٤٢٣هـ):[19]

راضية مولاة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله، عرفت بنجم، أعتقها والده الحكم، وتزوجها لبيب الفتى، وحجت معه سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة. ومما عرف عنهما أنهما كانا يقرآن ويكتبان، روى عنها أبو محمد بن خزرج (ت ٤٧٨ هـ)، وقال: عندي بعض كتبها. توفيت في حدود سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة. وسنها مائة وسبعة أعوام.

### ١٤) فاطمة بنت زكريا (ت ٤٢٧ هـ):[20]

فاطمة بنت زكريا بن عبد الله الكاتب، المعروف بالشبلادي، مولى بني أمية، كانت

كاتبة جزلة متخلصة، تكتب الكتب الطوال رغم بلوغها سن الأربع وتسعين سنة وتجيد الخط، وتحسن القول. توفيت رحمها الله بكرا سنة سبع وعشرين وأربعمائة، ودفنت بمقبرة أم سلمة، بقرطبة.

### ١٥) العَبّاديّة جارية المعتضد (ت ق ٥ هـ):[٢١]

العَبّاديّة جارية المعتضِد عَبّاد بن محمد (ت ٤٦١ هـ) صاحب اشبيلية[٢٢]، كانت أديبة شاعرة، صاحبة فصاحة وطرافة، ملمة بضروب الغناء، كما عرف عنها أنها كانت كاتبة حسنة الكتابة.

### ١٦) أميمة الكاتبة ( ت ق ٥ هـ ):[٢٣]

أميمة الكاتبة، هكذا ذكرها صاحب "الذيل" وصاحب "التكملة" كانت جارية للحسين بن حيي، وكانت ممن يحرس هشام بن الحكم المؤيد أيام تغيبه.

### ١٧) طونة بنت عبد العزيز (ت ٥٠٦ هـ ):[٢٤]

طونة بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر ابن مناع. وتكنى بحبيبة. زوج أبي القاسم بن مدير المقرئ (ت ٤٩٥ هـ). كانت فاضلة دينة، ولدت سنة ٤٣٧ هـ، أخذت وكتبت عن أبي عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) الحافظ كثيرا من كتبه وتواليفه، وأبي العباس العذري (ت ٤٧٨ هـ)، وسمع زوجها أبو القاسم المقرئ بقراءتها عليهما، وكانت حسنة الخط، جيدة الكتابة، ضابطة لما تكتب. توفيت رحمها الله سنة ست وخمسمائة.

### ١٨) ورقاء بنت ينتان الحاجة (ت بعد ٥٤٠ هـ ):[٢٥]

هي الحاجة ورقاء بنت ينتان الطليطلية أصلا، الفاسية سكنا، كانت أديبة شاعرة صالحة حافظة للقرآن بارعة الخط، وتوفيت بعد سنة ٥٤٠هـ.

### ١٩) حفصة الركونية ( ت ٥٨٦ هـ ):[٢٦]

حفصة بنت الحاج الركونية، من أهل غرناطة، كانت أديبة زمانها، وشاعرة متفننة في أساليبه، ذكية سريعة الخاطر بالشعر، وليت تعليم النساء في دار المنصور؛ حفيد السلطان عبد المومن بن علي،[٢٧] وقد عرفت بحسن الخط وجودته، وهي التي قالت ارتجالا بين يدي أمير المؤمنين عبد المؤمن (ت ٥٥٨ هـ):

**يا سيد الناس يا من**
**يؤمل الناس رفده**
**أمنن علي بطرس**
**يكون للدهر عده**
**تخط يمناك فيه**
**الحمد لله وحده**

مشيرة بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحدين التي كان يكتبها السلطان بيده بخط غليظ في رأس المنشور: الحمد لله وحده. توفيت رحمها الله في مراكش سنة ٥٨٦ هـ.

### ٢٠) فاطمة بنت حسين الصدفي (ت بعد ٥٩٠ هـ ):[٢٨]

هي فاطمة بنت أبي علي حسين بن محمد

الصدفي المرسي،[٢٩] ولدت عام ٤٠٩ هـ عرفت بالصلاح والزهد، ومطالعة الكتب وحفظ الأحاديث وحسن الخط، كانت تحفظ القرآن وتقوم عليه، توفيت رحمها الله بعد ٥٩٠ هـ وقد نيفت على الثمانين.

### ٢١) عائشة بنت الفقيه عمارة (ق ٦ هـ):[٣٠]

عائشة بنت الفقيه عمارة بن يحيى عمارة الشريف الحسني، الأديبة الأريبة الفصيحة، شاعرة من شواعر المغرب في القرن السادس الهجري، وصف الغبريني خطها بالحسن، قال: رأيت كتاب يتيمة الدهر للثعالبي بخطها في ثمانية عشر جزءا، وهي نسخة خطية ثمينة ما رأيت أحسن منها ولا أصح، وقد رأيت من هذا نسخا كثيرة منتقدة إلا هذه النسخة، ولهذا يجب أن تكون هذه النسخة أصلا لهذا الكتاب حيث كان. (انتهى)، وقد كتب في خاتمة سفر منه قطعة شعر من نظم والدها موجودة بالخزانة السلطانية ببجاية.

### ٢٢) زوجة أحمد الحطيئة الفاسي وابنته (ت ق ٦هـ):[٣١]

زوجة وابنة الفقيه أبي العباس أحمد الحطيئة الفاسي (ت ٥٦٠ هـ)،[٣٢] تعلمتا الكتابة منه واشتغلتا معه بالنساخة، فكانتا تكتبان مثل خطه، ونسختا معه الكثير من الكتب بالأجرة، وكانوا إذا شرعوا في نسخ كتاب أخذ كل واحد جزء وكتبوه فلا يفرق بين خطهم إلا الحاذق.

### ٢٣) سعيدة وأختها بنتا محمد بن فيره (ق ٦ هـ):[٣٣]

سعيدة بنت محمد بن فيره الأموي التُّطِيلِيّ، من بيت خير وصيانة، سكنت مع أختها الصغرى مراكش، وجاورتا أبا العباس بن الصقر،[٣٤] فتعرف منهما الخير والفضل والذكاء والنبل، كانت سعيدة تنسخ الكتب نافذة فيما تكتب أو تخاطب به، وتزوجت، وكانت أختها ملازمة للقراءة والنسخ وفعل الخير إلى أن توفيت شابة.

### ٢٤) أم هانئ الغرناطية (ت ق ٦ هـ):[٣٥]

أمة الرحمن بنت عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٢ هـ)،[٣٦] أم هاني أو أم الهناء الغرناطية، أخذت عن أبيها وأُخذ عنها، وكانت من أهل الفهم والعقل، جيدة الخط حاضرة النادرة سريعة التمثل، ولها مصنف في القبور، وآخر في الأدعية.

### ٢٥) حمدة بنت زياد (ت نحو ٦٠٠ هـ):[٣٧]

حمدة بنت زياد بن تقي العوفي، الكاتبة الأندلسية، من واد أشن بالأندلس، عرفت بالأدب والتصوف والغزل العفيف، ولقبت بخنساء المغرب، وهي صاحبة قصيدة: وقانا نعمة الرمضاء واد.

### ٢٦) أم العلا سيدة بنت عبد الغني العبدرية (ت ٦٤٧ هـ):[٣٨]

هي العالمة الحافظة، سيدة بنت عبد الغني بن علي العبدري الغرناطي، تكنى أم العلا، توفي أبوها وهي صغيرة، فنشأت بمرسية، وتعلمت القرآن وبرعت في ذلك، وعلمته في ديار

الملوك، وانتقلت بين غرناطة وفاس وتونس، وعلمت بقصرها، وعُرفت بجودة الخط، ونسخت إحياء علوم الدين للغزالي من أصله وغيره من الكتب، كما عرفت بأعمال الخير والبر، فكانت تتبرع بكل ما تتقاضاه من أجر تعليمها لفقراء أسارى المسلمين، وكانت مداومة على تلاوة القرآن والأدعية والأذكار، إلى أن اقعدت بسبب زمانة أصابتها ثلاث سنين، وخلفتها على التعليم بنتان لها كبرى وصغرى، توفيت رحمها الله في محرم سنة ٦٤٧ هـ، ودفنت بمقبرة المصلى خارج تونس.

### ٢٧) سارة بنت أحمد الحلبية ( ت بداية ق٨هـ)[٣٩]

سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية نزيلة المغرب، دخلت إفريقية والأندلس ومراكش ووفدت على المستنصر بالله الحفصي (ت ٦٧٩ هـ)،[٤٠] وأبي عبد الله محمد ابن الأحمر (ت ٦٩٩ هـ) أول ولايته[٤١] وأبي يوسف يعقوب المريني (ت ٦٨٥ هـ)،[٤٢] ودخلت سبتة في آخر المائة السابعة ومدحت رؤساءها وخاطبت كتابها وشعراءها، وُصفت بالأديبة الشاعرة والطبيبة الماهرة، تجيد التصرف في جميع الصناعات، وعرفت بإتقانها للوراقة، فكانت تكتب الخط المستحسن، وتحل الذهب بصياغة رائقة فتكتب به، توفيت رحمها الله بفاس.

### ٢٨) خديجة بنت عثمان (ت ٧٢٤هـ):[٤٣]

هي المحدثة خديجة بنت عثمان بن محمد الهوري كانت تعرف بجودة الخط والإنشاء، تكتب بخطها الإجازات. توفيت رحمها الله سنة ٧٣٤ هـ.

### ٢٩) فاطمة بنت علي المنالي الزبادي (ت ١١٤٢ هـ ):[٤٤]

الشريفة فاطمة بنت علي بن محمد المنالي الزبادي الفاسي، أخت الشيخ عبد المجيد الزبادي الشهير (ت ١١٦٣ هـ)،[٤٥] كتبت بخطها من القرآن الكريم ما يربو عن ٣٥ مصحفا، ولها شقيق اسمه محمد بن علي كتب عدة مصاحف أيضا توفيت رحمها الله سنة ١١٤٢ هـ.

### ٣٠) عائشة بنت أحمد بن عاشر الأندلسي السلاوي ( ت بعد ١١٤٦ هـ )[٤٦]

عائشة بنت أحمد بن عاشر الأندلسي السلاوي، وقف المؤرخ محمد بن محمد بن علي الدكالي بخزانة الشيخ أبي العباس أحمد حجي بسلا على مخطوطة من كتاب التوشيح للسيوطي، وهي منتسخة بخط السيدة السلاوية، وفرغت من كتابتها في فاتح شعبان عام ١١٤٦ هـ.

### ٣١) لالة غيلانة التطوانية ( ت ١١٨٩ هـ ):[٤٧]

آمنة بنت الفقيه الصالح محمد غيلان التطوانية، عالمة ومفتية نساء تطوان، يشار لها بالصلاح، نسخت كتاب الاكتفا للكلاعي، علمها والدها القرآن الكريم والحديث والعربية والفقه، توفيت رحمها الله سنة ١١٨٩ هـ.

### ٣٢) آمنة بنت الحاج (ت بعد ١٢٢٧ هـ)[٤٨]

آمنة بنت الحاج عبد اللطيف بن أحمد حجاج المدعو غيلان الشريف التطواني، عرف لها محمد المنوني منتسخين، أولهما: السفر الرابع

وهو الأخير من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، فرغت من كتابته بعد صلاة العصر من يوم السبت الأخير من ربيع الثاني ١٢١٧هـ. وثانيهما: مصحف شريف ذيلته هكذا: "كمل المصحف المبارك، الحمد لله حق لحمده (هكذا)، والصلاة والسلام على محمد وآله: ضحى يوم الجمعة من شهر الله عاشوراء، يوم ستة وعشرين، عام سبعة وعشرين ومائتين وألف، على يد كاتبته الحقيرة الذليلة، المذنبة الخطيئة (هكذا)، أمة الله وأقل أمتهن وأحوجها إلى الله فيما مضى من عمرها وما بقي: آمنة بنت الحاج عبد اللطيف بن أحمد غيلان الشريف.." ووصف خطها أنه مغربي مبسوط واضح مليح مشكول في غالبه، مجدول، منوع التلوين.

### ٢٣) عائشة بنت الحاج مبارك الشلح التكي (ت بعد ١٢٤٥هـ)[٤٩]:

عائشة بنت الحاج مبارك الشلح التكي، هكذا سمت نفسها في مصحف شريف خطته أناملها، يوجد بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم ٤٢٢٥، وقد وصف محمد المنوني خطها أنه بدوي واضح متوسط مشكول ملون، وفي هامش آخر المصحف تاريخ انتساخه الذي كان عام ١٢٣٧هـ كما يوجد أيضا منتسخان بخطها بنفس المكتبة، الأول كتاب مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، اسم الشرح الصغير لدلائل الخيرات للجزولي، لمحمد المهدي الفاسي، فرغت من نسخه صبيحة الجمعة ٢٢ جمادى عام ١٢٣٧ هـ، (تحت رقم ٤٠٨٧)، وكتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل، اسم تفسير القرآن الكريم لعبد الله النسفي، في سفرين، فرغت من نسخه يوم الأحد ٢٢ ذي القعدة ١٢٤٥ هـ، (تحت رقم ٥٠٦١)، وسمت نفسها في هذا المخطوط: عائشة بنت مبارك بن أحمد نجل الحسين الشيخ، التكي الغشي الحسنوي.

### ٢٤) فاطمة (ت بعد ١٣٢٦هـ)[٥٠]:

فاطمة، هكذا ورد اسمها غفلا في ذيل مخطوطة من (الفقهية) لأبي السعود الفاسي كتبتها بخطها، توجد بالخزانة الحسنية بالرباط (رقم: ٩٩٠٧)، بخط مغربي مبسوط مشكول، يميل قليلا إلى وضع الخط المراكشي، وكانت هذه المخطوطات وفرغت من انتساخه متم ربيع الثاني ١٣٢٦هـ.

### ٢٥) فاطمة بنت محمد بن الطيب البدوي زويتن الفاسي (ق ١٤هـ)[٥١]

فاطمة بنت محمد بن الطيب البدوي زويتن، زوجة عبد السلام بن عبد الله الوزاني الفاسي، وصفها صاحب الروض المنيف بالفقيهة والنساخة، ويقول: رأيت بخطها كتاب "الشفا" لسيدي القاضي عياض في غاية الجودة، وقل مثلها في الخط والمعرفة من النساء.

### ٢٦) فاطمة بنت الشيخ أحمد البدوي زويتن (ت ق ١٤هـ)[٥٢]

فاطمة بنت الشيخ أحمد البدوي (ت ١٢٧٥هـ)[٥٣] بن أحمد الشهير بزويتن الفاسي، الفقيهة الكاتبة، كتبت نسخة من صحيح البخاري في خمسة أجزاء ولوعا منها بالحديث، رأى منها المؤرخ محمد بن علي الدكالي جزء بالقرويين

خطاطات من الغرب الإسلامي

من فاس عام ١٣٠٤ هـ ، ووصف خطه بالجيد، وكان قريب العهد بالكتابة، وبآخره ما نصه: (كتبته خديمة العلم فاطمة بنت أحمد البدوي)، وعلى طرر الكتاب تقاييد مفيدة، فسأل الطالب الذي كان بيده الجزء المذكور: من تكون هذه السيدة الكاتبة لهذه النسخة؟ فقال: إنها بنت الشيخ سيدي أحمد البدوي زويتن، صاحب الزاوية بسويقة ابن صافي من طالعة فاس.

## خاتمة

يتبين لنا من خلال هذه التراجم دور المرأة وإسهامها الكبير في الحركة العلمية والثقافية التي شهدها الغرب الإسلامي، من خلال نشاطها في مجال الكتابة والنسخ، فتنوعت مجالات الكتابة عند هؤلاء النساء، فنجد منهن من كانت تكتب المصاحف، ومن عرفت بكتابة الكتب الطوال، ومن ولعت بكتابة كتب الحديث، ومن كانت تحبر الرسائل، ومن اشتغلت بالنساخة، ومن كانت وراقة تخط وتزوق بالذهب، ومن اتخذت من النساخة موردا للعيش.

ورغم اكتفاء بعض من ترجم لهؤلاء النساء اللاتي خدمن الإسلام من خلال هذا الفن، بأن يشير إلى نشاط بعضهن في مجال الكتابة والنسخ بقوله: "فلانة الكاتبة"، دون الحديث عن مجال كتابتها، أو عدد الكتب التي نسختها، إلا أننا يمكن أن نستشف من لفظ "الكاتبة" أن المترجَم لها كانت متمكنة ضابطة متقنة لما تكتب، كما يمكن أن تدل أيضا على أنها كانت تمارس الكتابة كوظيفة؛ إما في قصور الأمراء والخلفاء، أو باتخاذ الكتابة موردا للعيش عندما يكون النسخ بالأجرة.

ومما لا شك فيه أن من عُرف بجودة الخط وكثرة النسخ من نساء الغرب الإسلامي أكثر مما ذكر في كتب التراجم، وأن ما أثبتناه في هذا البحث لا يعدو أن يكون محاولة أولى للتعريف بنساء خدمن الإسلام بما خطت أناملهن من كتابات، كما يمكن أن نعده لفتا لانتباه الباحثين المهتمين بتراث الغرب الإسلامي، وتحفيزا لهم على النبش والتفتيش عن خطاطات أسهمن في الحركة العلمية والثقافية التي شهدها هذا القطر الإسلامي.

## الحواشي

١- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، ص: ٢٦٦-٢٦٧.

٢- انظر آداب المتعلمين لمحمد بن سحنون، ص: ٣٩. وشهيرات تونسيات، ص: ٣٠. والبرنس في باريس لمحمد مقداد ورتتاني، ص: ١١٧.

٣- التكملة لكتاب الصلة، ٢٤١/٤. موسوعة شهيرات النساء، ص: ٢٠٣. وفي ص: ١٧٧، ذكرها باسم: علم المدينة.

٤- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة لمحمد المراكشي، ٤٨٥/٨.

٥- هو أحد النقباء القائمين بدولة عبد الرحمن بن معاوية بعد دخوله الأندلس، وَولي لَهُ الحجابة والقيادة وولي خطة الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن وولديه الأمير بن الْمنذر وَعبد الله وَعمر عمرا طَويلا.

توفي سنة ٢٨٣ هـ. الحلة السيراء، لابن الابار، ص: ١٤٤.

٦- انظر الذيل والتكملة ٤٨٤/٨. والتكملة لكتاب الصلة ٢٤٣/٤.

٧- هو أبو المطرف، رابع ملوك الأندلس، ولد عام ١٧٦ هـ، وبويع سنة ٢٠٦ هـ، وتوفي سنة ٢٣٨ هـ. انظر سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢٦٠/٨. والأعلام للزركلي ٣٠٥/٣.

٨- الذيل والتكملة ٤٨٥/٨. التكملة لكتاب الصلة ٢٤٦/٤.

٩- الصلة لابن بشكوال ٩٩٢/٣. وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأبي جعفر الضبي، ص:٥٤٦.

١٠- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر لدين الله، صاحب الأندلس، بقي في الإمرة خمسين سنة إلى أن توفي سنة ٣٥٠ هـ. تاريخ الإسلام للذهبي، ٨٩١/٧.

١١- الذيل والتكملة ٤٩٣/٨. التكملة لكتاب الصلة ٢٤٩/٤.

١٢- هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر، أبو الوليد، بويع سنة ٣٦٦ هوعمره اثني عشر عاما، فاستأثر وزير أبيه ابن أبي عامر بتدبير مملكته، ثم ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر، ثم ابنه الثاني الملقب بالناصر. سير أعلام النبلاء ٢٧١/٨. الأعلام للزركلي ٨٥/٨.

١٣- الصلة، لابن بشكوال، ٩٩٢/٣. وبغية الملتمس للضبي، ص: ٥٤٦. وتاريخ الإسلام للذهبي ٧٤٥/٨. والذيل والتكملة ٤٩٢/٨. والتكملة لكتاب الصلة ٢٤٧/٤. وموسوعة شهيرات النساء، ص: ٢٢٠.

١٤- ولي الخلافة بعد أبيه سنة ٣٥٠ هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٩/٨. تاريخ الإسلام للذهبي ٢٤٠/٨. الأعلام للزركلي ٢٢٧/٢.

١٥- الذيل والتكملة ٤٩١/٨. والتكملة لكتاب الصلة ٢٤٧/٤.

١٦- الذيل والتكملة ٣٩٥/٨. والتكملة لكتاب الصلة ٢٤٧/٤

١٧- الصلة لابن بشكوال ٩٩٢/٣-٩٩٣. ونفح الطيب ٢٩٠/٤. والدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ص: ٢٩٢. وأعلام النساء ٦/٣. والوافي بالوفيات لخليل الصفدي، ٣٤٧/١٦. وموسوعة شهيرات النساء، ص: ١٦٥.

١٨- الصلة لابن بشكوال، ٩٩٣/٣-٩٩٤. وبغية الملتمس للضبي، ص: ٥٤٣.

١٩- الصلة لابن بشكوال ٩٩٤/٣.

٢٠- الصلة لابن بشكوال ٩٩٤/٣. تاريخ الإسلام للذهبي ٤٢٧/٩.

٢١- الذيل والتكملة ٣٩٦/٨. ونفح الطيب ٢٨٣/٤. وأعلام النساء ٢٢٧/٣. والتكملة لكتاب الصلة ٢٥١/٤-٢٥٢. والدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ص: ٣٢٧.

٢٢- ولي الأمر بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٣ هـ. سير أعلام النبلاء ٢٥٦/١٨. الأعلام للزركلي ٢٥٧/٣.

٢٣- الذيل والتكملة ٤٨٣/٨. التكملة لكتاب الصلة ٢٥٠/٤.

٢٤- الصلة لابن بشكوال ٩٩٦/٣-٩٩٧. التكملة لكتاب الصلة ٢٥٣/٤-٢٥٤. تاريخ الإسلام للذهبي ٧٦/١١.

٢٥- انظر التكملة لكتاب الصلة ٢٥٦/٤. والذيل والتكملة ٤٩٣/٨. وجذوة الاقتباس لابن القاضي، ص: ٥٣٣. وتاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، ص: ٣٨. والأعلام للزركلي ١١٤/٨.

٢٦- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ص: ١٦٥-١٦٦. ونفح الطيب ١٧١/٤. التكملة لكتاب الصلة ٢٦٠/٤-٢٦١. وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي، ١١٨٢/٣. وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام لبشير يموت، ٢١٥/١. والأعلام للزركلي، ٢٦٤/٢.

٢٧- عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي، تولى الإمارة بعد المهدي بن تومرت سنة ٥٢٤ هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٦٦/٢٠. والأعلام للزركلي، ١٧٠/٤.

٢٨- التكملة لكتاب الصلة ٢٦٣/٤. والذيل والتكملة ٤٨٩/٨. وتطوان عاصمة الشمال ومنبع اشعاعها، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: ١٨٦.

٢٩- هو الإمام الحافظ أبو علي حسين بن محمد بن فيرة بن حيون الأندلسي، استشهد سنة ٥٢٤ هـ. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني ٥٦/٢.

٣٠- الكُتاب في الحضارة الإسلامية لعبد الله محمد الحبشي، ص: ٤٨. وعنوان الدراية ص: ٤٧. وشهيرات التونسيات، ص: ٧٩. وتعريف الخلف برجال السلف، لأبي القاسم محمد الحفناوي، القسم الثاني، ص: ٢٨٩. وأعلام النساء ١٨٢/٣.

٣١- الكُتاب في الحضارة الإسلامية لعبد الله محمد الحبشي، ص: ٤٨. والوافي بالوفيات لخليل الصفدي ٨٠/٧. وانباه الرواة على أنباه النحاة لابن القفطي ٧٤/١. وتاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، ص: ٢٤.

٣٢- الإمام الصالح الفقيه المقرئ الناسخ، ولد سنة ٤٧٨ هبفاس، وتوفي بمصر. سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٤/٢٠. وتاريخ الإسلام للذهبي ١٦٦/١٢. وسلم الوصول إلى طبقات الفحول ١٥٦/١.

٣٣- الذيل والتكملة، ٤٨٧/٨ و ٣٩٤/٨. والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للسملالي ١٥٤/١٠. وتاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، ص: ٣٨.

٣٤- أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري، من سرقسطة، استوطن مراكش، ت ٥٦٩ هـ. تاريخ الإسلام للذهبي ٤٠١/١٢. والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون، ٢١١/١.

٣٥- الذيل والتكملة ٤٧٧/٨-٤٧٨. والتكملة لكتاب الصلة ٢٥٧/٤.

٣٦- القاضي المفسر الفقيه، صاحب المحرر الوجيز، تاريخ الإسلام للذهبي ٧٨٧/١١. والأعلام للزركلي ٢٨٢/٣.

٣٧- موسوعة شهيرات النساء لخليل البدوي، ص: ١٠٢-١٠٣. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ص: ١٧٠-١٧١. الأعلام للزركلي ٢٧٤/٢. الذيل والتكملة ٤٨٥/٨.

٣٨- انظر التكملة لكتاب الصلة ٢٦٥/٤. والذيل والتكملة ٤٨٧/٨-٤٨٨. وجذوة الاقتباس لابن القاضي، ص: ٥٢٢. وتاريخ الإسلام للذهبي ٥٧٩/١٤. وأعلام النساء ٢٧٥/٢. وشهيرات التونسيات، ص: ٧٣.

٣٩- جذوة الاقتباس لابن القاضي ٥٢٢/٢. وانظر الأعلام للزركلي ٦٩/٣. وشهيرات التونسيات، ص: ٧٤-٧٦. وتاريخ الوراقة المغربية للمنوني، ص: ٥٩.

٤٠- صاحب افريقية، الأعلام للزركلي ١٦٦/٨.

٤١- صاحب الأندلس، تولى الإمارة سنة ٦٧١ هـ. تاريخ الإسلام للذهبي ٩٣٥/١٥.

٤٢- صاحب مراكش، تاريخ الإسلام للذهبي ٥٦٣/١٥.

٤٣- أعلام النساء ٣٣٦/١.

٤٤- قبس من عطاء المخطوط المغربي، لمحمد المنوني ١٧/١، و ٣٤/١. وتاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، ص: ١٢٢-١٢٣.

٤٥- من فقهاء المالكية، له عدة منظومات ومؤلفات. الأعلام للزركلي ١٤٩/٤.

٤٦- تاريخ الوراقة المغربية للمنوني، ص: ١٢٤.

٤٧- انظر اتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، لعبد السلام بنسودة ٤٠/١. ومختصر تاريخ تطوان لمحمد داود، ص: ٢٩١. وتاريخ الوراقة المغربية للمنوني، ص: ١٢٤. ومعجم المحدثين، ص: ٢٨.

٤٨- تاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، ص: ٢٠٦-٢٠٧.

٤٩- قبس من عطاء المخطوط المغربي، لمحمد المنوني، ١٧/١. وتاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، ص: ٢٠٧-٢٠٨.

٥٠- تاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، ص: ٢٦٢.

٥١- الروض المنيف في التعريف بأولاد مولاي عبد الله الشريف، لعبد الله بن الطيب الوزاني، ص: ٢١٩. وتاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، ص: ٢٦١-٢٦٢.

٥٢- تاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، ص: ٢٦١. وتطوان عاصمة الشمال ومنبع اشعاعه، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: ١٨٦. ومعجم المحدثين، ص: ٢٩.

٥٣- انظر ترجمته في: اتحاف المطالع، ص: ٢١٥. وزهر الآس في بيوتات أهل فاس، لعبد الكريم الكتاني ٤٧٧/١.

٥٤- انظر المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي، لمحمد خير رمضان يوسف، ص: ١٨.

## لائحة المصادر والمراجع


أ

١. اتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، لعبد السلام ابن سودة، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢. آداب المتعلمين، لمحمد بن سحنون، تحقيقات: حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة وتعليق: محمد

العروسي المطوي، الشركة التونسية لفنون الرسم ١٩٧٢م.

٣. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٤. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٥. انباه الرواة على أنباه النحاة لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦/١٩٨٢.

٦. الأعلام، لخير الدين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ماي ٢٠٠٢م.

٧. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن ابراهيم السملالي، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية- الرباط، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

ب

٨. البرنس في باريس، لمحمد مقداد ورتتاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-دار السويدي، الناشر الرقمي: مركز القائمية بأصفهان للتحريات الكمبيوترية.

٩. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، دار الكاتب العربي – القاهرة، عام النشر: ١٩٦٧م.

ت

١٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

١١. تاريخ الوراقة المغربية لمحمد المنوني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٢. تطوان عاصمة الشمال ومنبع اشعاعها، لعبد العزيز بنعبد الله، ١٤٢٦هـ.

١٣. تعريف الخلف برجال السلف، لأبي القاسم محمد الحفناوي، مطبعة بيير فونتانة الشرقية-الجزائر، ١٩٠٦م.

١٤. التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥/١٩٩٥.

ج

١٥. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط، ١٩٧٣م.

ح

١٦. الحلة السيراء، لابن الابار، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

د

١٧. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، لزينب بنت

علي بن حسين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣١٢هـ.

١٨. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

ذ

١٩. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لمحمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٤م.

ر

٢٠. الروض المنيف في التعريف بأولاد مولاي عبد الله الشريف، لعبد الله بن الطيب الوزاني الحسني، تحقيق: لطيفة الوزاني الطيبي، بحث لنيل شهادة الدكتوراه الوطنية، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-تطوان، ٢٠٠٨/٢٠٠٩.

ز

٢١. زهر الآس في بيوتات أهل فاس، لعبد الكريم بن هاشم الكتاني، تحقيق: علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

س

٢٢. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، عام النشر ٢٠١٠م.

٢٣. سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المشرف على التحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة٣، ١٤٠٥/١٩٨٥.

ش

٢٤. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام لبشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٢/١٩٣٤.

٢٥. شهيرات تونسيات، لحسن حسني عبد الوهاب، المطبعة التونسية ١٣٥٣هـ.

ص

٢٦. الصلة، لابن بشكوال خلف بن عبد الملك، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصرية-القاهرة، ودار الكتاب اللبناني-بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

ع

٢٧. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأحمد الغبريني، تحقيق: عادل نويهض، ذخائر التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

ق

٢٨. قبس من عطاء المخطوط المغربي لمحمد المنوني، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٩م.

ك

٢٩. الكُتاب في الحضارة الإسلامية، لعبد الله محمد الحبشي، دون طبعة ودار نشر.

م

٣٠. المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي، لمحمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

٣١. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، لعبد الواحد ابن علي التميمي المراكشي، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة ١، ١٤٢٦/٢٠٠٦.

٣٢. معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى، المحمدية، مطبعة فضالة، ١٩٧٢م.

٣٣. موسوعة شهيرات النساء لخليل البدوي، دار أسامة للنشر، عمان-الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

ن

٣٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

و

٣٥. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠/٢٠٠٠.



# منظومة في
# الفرائض والسّنن
# على مذهب الإمام مالك

صالح بن أحمد السمعوني الجزائري الدمشقي

(١٢٤٠هـ - ١٢٨٥هـ)



تحقيق

د. عبد القادر باجي

الجـزائـر

## المبحث الأول: دراسة حياة المؤلف:[1]

هو: صالح بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم، المغربي، الجزائري أصلاً، السّمعوني[2] مولدًا، الدّمشقي وفاة، المالكي مذهبًا، الخلْوتي[3] طريقة.

ولد في بني وغليس آيت وغليس، وهو عرش ببجاية؛ وذلك سنة: ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م أو ١٨٢٥م.

ونشأ بقريته، وأخذ عن علمائها، وجهابذتها، واستقام بها عودُه الفكري والعلمي حتّى بلغ اثنتين وعشرين سنة[4].

ولـمّا دهم الجزائر ما دهمها من حادثة الاستعمار الفرنسي سنة ١٨٣٠م، هاجر الشّيخ صالح مع الهجرة الجزائريّة الأولى التي أتت إلى دمشق برئاسة الشّيخ محمّد المهدي السّكلاوي الزواوي المغربي. وفي تلك الهجرة هاجر ما يقارب ٥٠٠ أسرة جزائريّة، استوطنت دمشق بعد ذلك. وكانت

---

(١) انظر ترجمته في:
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزّركلي خير الدّين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م، ١٨٩/٣.
- إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ٥٨٢/٢.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثّالث عشر، عبد الرّزّاق البيطار (ت١٣٣٥هـ)، تحقيق: محمّد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩١م، ٧٣٣/٢، ٧٣٤.
- الشّيخ الطّاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، حازم زكريّا محيي الدّين، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٢٢، ٢٣.
- فهرس مخطوطات مكتبة مكّة المكرّمة، إعداد: محمّد الحبيب الهيلة وغيره، إشراف: الشّيخ عبد الملك بن عبد القادر طرابلسي، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٢٤٥.
- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ٥٢٢/٥.
- كنوز الأجداد، محمّد كرد عليّ، أضواء السّلف، دمشق، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ص٥.
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٠٠، ١٠١.
- معجم المؤلّفين، تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، عمر رضا كحّالة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، رقم: ٦١٢١، ٢٨٢/١.
- منتخبات التّواريخ لدمشق، محمّد أديب آل تقيّ الدّين الحصني، المطبعة الحديثة بدمشق، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ٦٦٤/٢.

(٢) نسبة إلى سمعون ببني وغليس ببجاية من أعمال الجزائر. انظر: تاريخ الجزائر الثّقافي، ١٨٦/٣.

(٣) نسبة إلى طريقته الخلْوتيّة. وشيخه في ذلك هو المهدي الزّواوي. حيث أشار إلى ذلك ابنه الشّيخ طاهر الجزائري؛ فقال: «شيخه ووسيلته إلى ربّه شيخ الطّريقة وإمام الحقيقة، السّالك المسلك، الشّيخ المهدي الزواوي». انظر: مختصر في الفرائض والسّنن، صالح السّمعوني، مخطوط مكتبة مكّة المكرّمة، النّسخة [أ]، اللّوحة: ١و.

(٤) انظر: حلية البشر، ٧٣٣/٢. الأعلام للزّركلي، ١٨٩/٣. معجم أعلام الجزائر، ص١٠٠. الشّيخ طاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، ص٢٢.

هذه الهجرة عام: ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م[1].

وبعد أن استقرّ الشّيخ صالح بدمشق، بدأ يتردّد على مجالس علمائها، فذاع علمه، وعُرِف فضله، فأُسند إليه منصب إفتاء المالكيّة في دمشق؛ وأصبح يعيد درس صحيح البخاري للشّيخ أحمد مسلم الكزبري تحت قبّة النّسر في الجامع الأموي في الأشهر الثّلاثة من كلّ سنة: رجب، شعبان، رمضان[2].

كما كان له باع طويل في العلوم العصريّة، منها علم الفلك، وقد انفرد به بدمشق حتّى عُرف به، وتخرّج عليه بعض العلماء؛ منهم ابنه الشّيخ طاهر الجزائري[3].

وبقي بدمشق مفيدا للطّلبة إلى أن توفّي لثلاث بقين من شهر جمادى الآخرة، سنة: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، ودفن في مقبرة باب الصّغير، قرب قبر المرحوم العلاّمة الشّيخ محمّد الكزبري رحمهم الله أجمعين[4].

وترك الشّيخ مؤلّفات في بعض الفنون كالفقه والتّاريخ والفلك؛ ومِمّا ذكره له المترجمون:

- منظومة في الفقه[5]: وهي محلّ الدّراسة، وسيفصّل القول فيها لاحقًا.
- شرح عليها- أي على منظومته في الفقه-[6]:
- حاشية على شرحه على منظومته في الفقه[7]: وأشار ابنه الشّيخ طاهر الجزائري -في سياق شرحه لنسبة السّمعوني- إلى هذه الحاشية وتاريخ الفراغ من تأليفها ؛ فقال: "قال العلاّمة والدي صالح الجزائري في حاشيته على شرح منظومته.. وكان فراغه من هذه الحاشية سنة: ١٢٧٦هـ، في أوائل ذي القعدة"[8].

---

(١) انظر: حلية البشر، ٧٣٣/٢. الأعلام للزّركلي، ١٨٩/٣. معجم أعلام الجزائر، ص١٠٠. الشّيخ طاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، ص٢٢. تاريخ الجزائر الثّقافي، ١٨/٣. ٥٢٢/٥. كنوز الأجداد، ص٥.

(٢) انظر: الشّيخ طاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، ص٢٢، ٢٣. كنوز الأجداد، ص٥.

(٣) انظر: منتخبات التّواريخ لدمشق، ٦٦٤/٢. تاريخ الجزائر الثّقافي، ٥٢٢/٥.

(٤) انظر: حلية البشر، ٧٣٤/٢. الشّيخ طاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، ص٢٣.

(٥) انظر: الشّيخ طاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، ص٢٣.الأعلام للزّركلي، ١٨٩/٣ .معجم المؤلّفين، ٢٨٢/١.

(٦) انظر: الشّيخ طاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، ص٢٣. الأعلام للزّركلي، ١٨٩/٣ .معجم المؤلّفين، ٢٨٢/١ .تاريخ الجزائر الثّقافي، ٨٢/٧. فهرست معلمة التّراث الجزائري بن القديم والحديث، ص١٢٧.

(٧) انظر: الشّيخ طاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، ص٢٣.معجم المؤلّفين، ٢٨٢/١. تاريخ الجزائر الثّقافي، ٨٢/٧. فهرست معلمة التّراث الجزائري بن القديم والحديث، ص١٢٧. معجم أعلام الجزائر، ص١٠١. حلية البشر، ٧٣٣/٢.

(٨) مختصر في العبادات، صالح السّمعوني، مخطوط مكتبة مكّة المكرّمة، النّسخة [أ]، اللّوحة: ١و.

- رسالة في اختلاف المذاهب[1]: وتضمّ الرّسالة في بعض المسائل التي تحلّ عند الحنفيّة وتحرم عند المالكيّة. وكذلك بعض المسائل التي تحلّ عند الشّافعيّة وتحرم عند المالكيّة.
- رسالة في علم الميقات[2]: ألّفها على منهج السّوسي من المغاربة".
- تاريخ على طريق الرّمز والإشارة[3]: وصل فيه إلى ولاية رشدي باشا الشّرواني[4] على الشّام؛ أي إلى سنة: ١٢٧٩هـ.

## المبحث الثّاني: دراسة المنظومة الفقهية:

### المطلب الأوّل: التّحقيق في نسبة المنظومة للمؤلّف:

كلّ من ترجم للشّيخ نسب له هذا النّظم، كالزّركلي وكحّالة ونويهض والبغدادي وأبو القاسم سعد الله.[5]

وقد ورد في بداية المخطوط النّسخة [أ] ما يثبت أنّ هذا النّظم للشّيخ صالح الجزائري؛ فجاء فيه: "هذا مختصر لطيف نظم الفاضل الأديب، الكامل الأريب، الشّيخ محمّد صالح في العبادات".[6]

كما ورد بخطّ ابنه طاهر الجزائري ما يثبت هذا النّظم لوالده، فقال: "قال العلاّمة والدي صالح الجزائري السّمعوني في حاشيته على شرح منظومته..". فقد أثبت هنا أنّ له منظومة وشرحا عليها وحاشية على شرحه.[7]

---

(١) انظر: فهرس المخطوطات العربيّة لمجموعة معهد دراسات الثّقافة الشّرقيّة بجامعة طوكيو، جمع وترتيب، أبو وردان العلوي الوهراني، ص٢٦٢. الشّيخ طاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، ص٢٣. الأعلام للزّركلي، ١٨٩/٣. معجم أعلام الجزائر، ص١٠٠. معجم المؤلّفين، ٢٨٢/١. تاريخ الجزائر الثّقافي، ٨٢/٧. فهرست مكتبة التّراث الجزائري بين القديم والحديث، ص١٢٧.

(٢) انظر: الشّيخ طاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، ص٢٣. الأعلام للزّركلي، ١٨٩/٣. معجم المؤلّفين، ٢٨٢/١. معجم أعلام الجزائر، ص١٠١. حلية البشر، ٧٣٣/٢. تاريخ الجزائر الثّقافي، ٢٨٠/٧.

(٣) انظر: الشّيخ طاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، ص٢٣. معجم المؤلّفين، ٢٨٢/١. حلية البشر، ٧٣٣/٢. تاريخ الجزائر الثّقافي، ٣١٥/٧. معجم أعلام الجزائر، ص١٠٠.

(٤) الشّرواني هو: محمّد رشدي باشا الشّرواني الدّاغستاني، والي الحجاز سابقًا. كان عالمًا صالحًا، وكان في سلك العلميّة، كان صديقاً للصّدر الأعظم فؤاد باشا، فأعطاه رتبة الوزارة، وأدخله في سلك الملكيّة وولي الصّدارة بعد علي باشا ومحمود نديم. توفّي بالطّائف، سنة: ١٢٩١هـ. انظر: أعلام المكّيّين من القرن التّاسع إلى القرن الرّابع عشر الهجري، عبد الله بن عبد الرّحمن المعلمي، مؤسّسة الفرقان للتّراث الإسلامي، فرع مؤسّسة مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، رقم التّرجمة: ٨٨١، ٥٥٦/١.

(٥) انظر: الأعلام للزّركلي، ١٨٩/٣. معجم المؤلّفين، ٢٨٢/١. معجم أعلام الجزائر، ص١٠١. إيضاح المكنون، ٥٨٢/٢. تاريخ الجزائر الثّقافي، ٨٢/٧.

(٦) نظم في الفرائض والسّنن، مخطوط النّسخة [أ]، ٢و.

(٧) نظم في الفرائض والسّنن، النّسخة [أ]، اللّوحة: [١و]. وكذلك ورد هذا الإثبات في النّسخة [ب].

وجاء في أوّل شرح هذه المنظومة ما يأتي:"يقول العبد الفقير إلى ربّه الغنيّ، محمّد صالح بن أحمد السّمعوني -لطف الله به-: هذا شرح مفيد على منظومتي في الفرائض والسّنن وغيرهما"[1].

وفي آخر الشّرح على هذه المنظومة ورد ما يأتي:"يقول جامعه محمّد صالح بن أحمد السّمعوني: تمّ في أواخر جمادى الثّانية، عام اثنتين وسبعين ومائتين وألف، والمنظومة قبل ذلك عام سبعين".[2]

**المطلب الثّاني: التّحقيق في عنوان المنظومة:**

ذُكرت عناوين متقاربة لهذا النّظم، من ذلك: منظومة في العبادات.[3] منظومة في العبادات على مذهب مالك.[4]

منظومة في فقه السّادة المالكيّة[5]. منظومة في الفقه المالكي[6].

أمّا المصنّف فلم يذكر عنوانًا خاصًّا بها، فلم يقل مثلاً: سمّيتها.. كذا، على عادة بعض النّاظمين. فقال في أوّل المنظومة: "هاك نبذة مختصرة لزُبد معتبرة".[7]

وجاء في أوّل مخطوط المنظومة قبل بدية النّظم: "هذا مختصر لطيف نظم الفاضل الأريب..". [8]

وجاء في بداية شرح المنظومة -النّاظم والشّارح نفسه-: "هذا شرح مفيد على منظومتي في الفرائض والسّنن".[9]

وهذا العنوان الأخير: "منظومة في الفرائض والسّنن" هو أقرب إلى اختيار النّاظم، وكأنّه أراد لها ذلك العنوان. ولكن يمكن إضافة عبارة: على مذهب الإمام مالك، حتّى يتجلّى المذهب الذي تندرج تحته هذه المنظومة.

فالعنوان المناسب هو: "منظومة في الفرائض والسّنن على مذهب الإمام مالك".

**المطلب الثّالث: تاريخ تأليف المنظومة:**

ورد في آخر الشّرح على هذه المنظومة على يد ناسخ الشّرح أحمد بن محمّد البليدي ما يأتي:"يقول جامعه محمّد صالح بن أحمد السّمعوني: تمّ في أواخر جمادى الثّانية، عام اثنتين وسبعين ومائتين

---

(١) شرح على نظم في الفرائض والسّنن، النّسخة [أ]، اللّوحة: [٥ظ].
(٢) شرح على نظم في الفرائض والسّنن، النّسخة [أ]، اللّوحة: [٢٠ظ].
(٣) انظر: فهرس مخطوطات مكتبة مكّة المكرّمة، ص٢٤٥.
(٤) انظر: إيضاح المكنون، ٥٨٢/٢.
(٥) انظر: حلية البشر، ٧٣٣/٢.
(٦) انظر: معجم أعلام الجزائر، ص١٠١.
(٧) منظومة في الفرائض والسّنن، مخطوط [أ]، ٢ظ.
(٨) منظومة في الفرائض والسّنن، مخطوط [أ]، ٢و.
(٩) شرح على المنظومة في الفرائض والسّنن، مخطوط [أ]، ٥ظ.

وألف، والمنظومة قبل ذلك عام سبعين". [1]

فتبيّن بهذا أنّ هذا النّظم وضعه صاحبه سنة: ١٢٧٠هـ.

وورد تعليق في هامش الشّرح من النّسخة [أ] يؤكّد هذا التّاريخ، فجاء ما يأتي: "قوله: عام سبعين. قال المؤلّف حفظه الله: قد كنت أشرت إلى تاريخها وعدد أبياتها بقولي: أبياتها عزّ وعامها شرع :: مصلّيا على النّبيّ ومن تبع. فالشّين بألف على طريقة المغاربة"؛ أي أنّ عبارة "شرع" = ١٢٧٠، وهو تاريخ نظمها. [2]

**المطلب الرّابع: الدّافع على تأليفه المنظومة:**

لم يذكر المؤلّف سبب وضعه لهذا النّظم؛ لكن كعادة النّاظمين يمكن حصر ذلك فيما يأتي:

- ليسهل حفظها واستظهارها من طرف الطّلبة، وبخاصّة المبتدئين منهم.
- لتكون لهم عونًا على قراءة المطوّلات في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك.
- لتقريب الفقه المالكي بواسطة النّظم؛ لأنّه أسهل من النّثر.

وقد ذكر في آخر شرحه على المنظومة بعض هذه المعاني؛ فقال: "وإنّي أسأل الله تعالى أن ينفع بها كلّ من حفظها أو قرأها أو كتبها" [3].

**المطلب الخامس: منهجيّة المؤلّف في منظومته:**

لـمّا كان هذا النّظم فقهيًّا فقد انتهج ناظمه منهج الفقهاء في تآليفهم، فيبدؤون باب الطّهارة ثمّ الصّلاة، الزّكاة، الصّوم والحجّ. وأضاف شيئًا آخر في الأخير، وهو باب في فرائض الكفاية، وذلك حتّى يميّزها عن سابقتها؛ لأنّ الفرائض الأولى: الطّهارة، الصّلاة .. هي من فروض العين.

كما استعمل نظام الأبواب والفصول، فذكر خمسة أبواب وتسعة فصول. وهو تقسيم جرى عليه المنهج العلمي، وهذا يدلّ على أنّ النّاظم على دراية بتلك التّقسيمات.

كما امتازت المنظومة بسهولة في الألفاظ يستوعبها أقلّ المختصّين بعلم الفقه.

لكن من المآخذ على منهجيّته في هذه المنظومة أنّه ذكر في تقسيماته باب الطّهارة في الأوّل وجعل خمسة فصول تحته؛ وجعل الصّلاة فصلاً من باب الطّهارة، وكان الأولى أن يجعل للصّلاة بابًا خاصًّا، وهو ما قمت بالتّعليق عليه عند ذلك الفصل في قسم التّحقيق.

كما جعل تحت فصل الصّلاة فصلين، وهذا مخالف للمنهجيّة المتعارف عليها. ثمّ أقحم فصلاً للسّنن المؤكّدة تحت الباب الأوّل وهو باب الطّهارة.

---

(١) شرح على المنظومة في الفرائض والسّنن، المخطوط [أ]، اللّوحة: [٢٠ظ].

(٢) شرح على المنظومة في الفرائض والسّنن، مخطوط [أ]، اللّوحة: [٢٠ظ].

(٣) شرح على المنظومة في الفرائض والسّنن، مخطوط [أ]،٢٠ظ.

وكان الأولى أن يجعل السّنن المؤكدة بابًا في الأخير بعد باب فروض الكفاية؛ لأن المنهجيّة تقتضي أن تكون فروض العين، ثمّ فروض الكفاية، ثمّ السّنن. لكنّه جعل السّنن المؤكّدة تحت باب الطّهارة، بعد فصل فرائض الجنازة.

**المطلب السّادس: محتوى المنظومة:**

احتوت المنظومة ٧٧ بيتًا. وأشار إلى هذا العدد في حاشيته على شرحه على المنظومة؛

فجاء في هامش الشّرح عند ذكر تاريخ تأليف هذه المنظومة، وأنّه كان عام ١٢٧٠هـ؛ فجاء ما يأتي: "قوله: عام سبعين. قال المؤلّف حفظه الله: قد كنت أشرت إلى تاريخها وعدد أبياتها بقولي: أبياتها عزّ وعامها شرع : مصلّيا على النّبيّ ومن تبع...".[1] فالعين تساوي ٧٠، والزّاي تساوي ٧، فكان المجموع ٧٧ بيتًا.

هذا عن المحتوى إجمالاً، أمّا تفصيلاً فاحتوى النّظم على ما يأتي:

- دعاء الاستفتاح
- الباب الأوّل: حول الطّهارة "أوصاف الماء، الوضوء، الغسل، التّيمّم".
- فصل: فرائض الوضوء.
- فصل: نواقض الوضوء.
- فصل: شروط الوضوء والغسل والتّيمّم.
- فصل: فرائض الغسل.
- فصل: فرائض التّيمّم وسننه ومبطلاته.
- الباب الثّاني: فرائض الصّلاة وسننها وشروطها ومبطلاتها.
- فصل: شروط الجمعة.
- فصل: فرائض الجنازة.
- فصل: السّنن.
- الباب الثّالث: في الزّكاة.
- الباب الرّابع: في الصّيام.
- الباب الخامس: في الحجّ.
- الباب السّادس: باب في فرائض الكفاية.

(١) شرح على نظم في الفرائض والسّنن، النّسخة [أ]، اللّوحة: [٢٠ظ].

**المطلب السابع: نسخ المخطوطة في مختلف الخزائن والمكتبات:**

على حسب ما وقفت عليه فإنّ هذه المنظومة توجد مخطوطة في خزانة مكتبة مكّة المكرّمة، تحت رقم: ٧٠٧؛ وهي التي اخترتها نسخة أولى، ورمزت لها بالرّمز [أ].

ونسخة أخرى بمعهد الثّقافة والدّراسات الشّرقيّة، بجامعة طوكيو، برقم: ١٤٤٩؛ ورمزت لهذه النّسخة بالرّمز [ب]. ولم أقف على من أشار إلى أماكن وجود نسخ أخرى للمخطوط.

## المبحث الثّالث: قسم التّحقيق:

**المطلب الأوّل: منهجيّة التّحقيق:**

- سرت في التّحقيق وفق المنهجيّة الآتية:
- كتبت المخطوط بالرّسم الإملائي الحديث.
- راعيت شكل الأبيات حتّى تُقرأ سليمة.
- قابلت بين النّسختين، وأحلت إلى فروقهما في الهامش.
- جعلت رموزًا في النّص المحقّق؛ فالرّمز [أ] أي النّسخة الأولى، و[ب] النّسخة الثّانية. و[و، ظ] أي وجه اللّوحة وظهرها. و[/] أي الانتقال من وجه اللّوحة إلى ظهرها.
- جعلت عناوين فرعيّة في صلب النّظم، زيادة لتقريبها وتوضيحها.

**المطلب الثّاني: مواصفات النّسخ المعتمدة:**

أوّلا- النّسخة [أ]:(1)

- مكان وجودها: مكتبة مكّة المكرّمة.
- الرّقم التّرتيبي: ٧٠٧.
- الرّقم على الرّفّ: فقه مالكي/٣.
- عدد الأوراق: ٠٣ لوحات، أي ٦ صفحات، من ٢ظ إلى ٥ظ.
- عدد الأسطر: ١٤ سطر.
- عدد الكلمات في السّطر: من ٨ إلى ٩ كلمات.
- نوع الخطّ: خطّ مغربي جيّد.
- نوع الحبر: كتبت بالمدادين الأسود والأحمر.

(١) وقد وقفت عليها مصوّرة آليا. وانظر هذه المواصفات في: فهرس مخطوطات مكتبة مكّة المكرّمة، ص٢٤٥.

- اسم النّاسخ: أحمد بن محمّد البليدي.
- تاريخ النّسخ: ١٣ ذو القعدة ١٢٧٧هـ.
- ملاحظات:
- يوجد بهذا المخطوط نظام التّعقيبة.
- بعض معلومات المخطوط كتبها: د. حمدي عبد المنعم شلبي، في: ١٤١٧/٦/٩هـ.
- هذه النّسخة المخطوطة مجلّدة، احتوت على النّظم زائد الشّرح، تجليد مطبعة النّهضة الحديثة، مكّة.

**ثانيًا: النّسخة [ب]:**

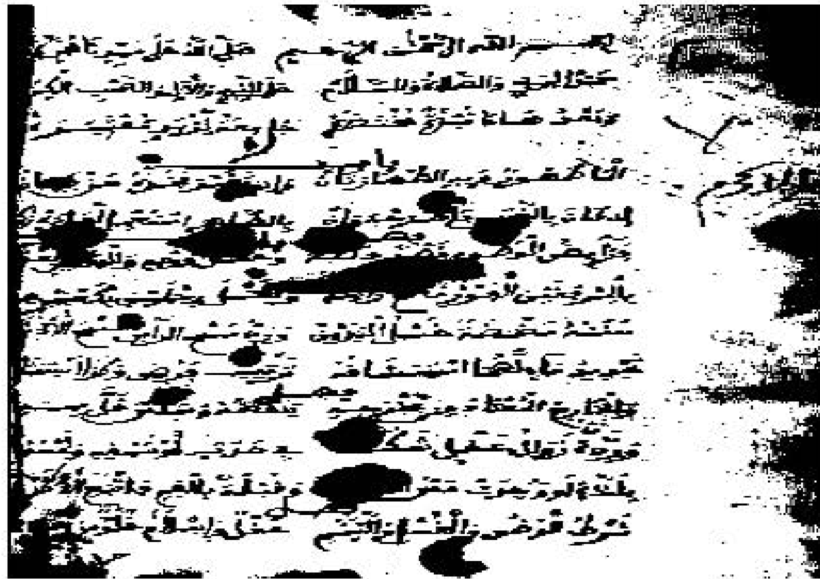
- مكان وجودها: معهد الثّقافة والدّراسات الشّرقيّة، جامعة طوكيو، اليابان.
- الرّقم التّرتيبي: ١٤٤٩.
- عدد الأوراق: ٧ صفحات.
- عدد الأسطر: ما بين ١٣ و١٤ سطرًا.
- عدد الكلمات في السّطر: من ٦ إلى ٨ كلمات.
- نوع الخطّ: رقعي مشرقي.
- نوع الحبر: أسود زائد أحمر للعناوين.
- اسم النّاسخ: غير موجود.
- تاريخ النّسخ: غير موجود.
- ملاحظات:
- يوجد بهذا المخطوط نظام التّعقيبة.
- اللّوحات غير مرقّمة.
- يوجد هذا النّظم متبوعًا بالشّرح لنفس المؤلّف، والنّاسخ فيهما واحد اعتبارًا من الخطّ؛ لكن يجهل اسم النّاسخ وتاريخ النّسخ؛ لأنّه بعد انتهاء النّظم شُرع في الشّرح، وفي الأخير يوجد بتر من الشّرح بمقدار ورقتين. ويغلب على الظّنّ أنّ اسم النّاسخ والتّاريخ مكتوب في آخر المخطوط.

**المطلب الثّالث: صور المخطوطات المعتمدة:**

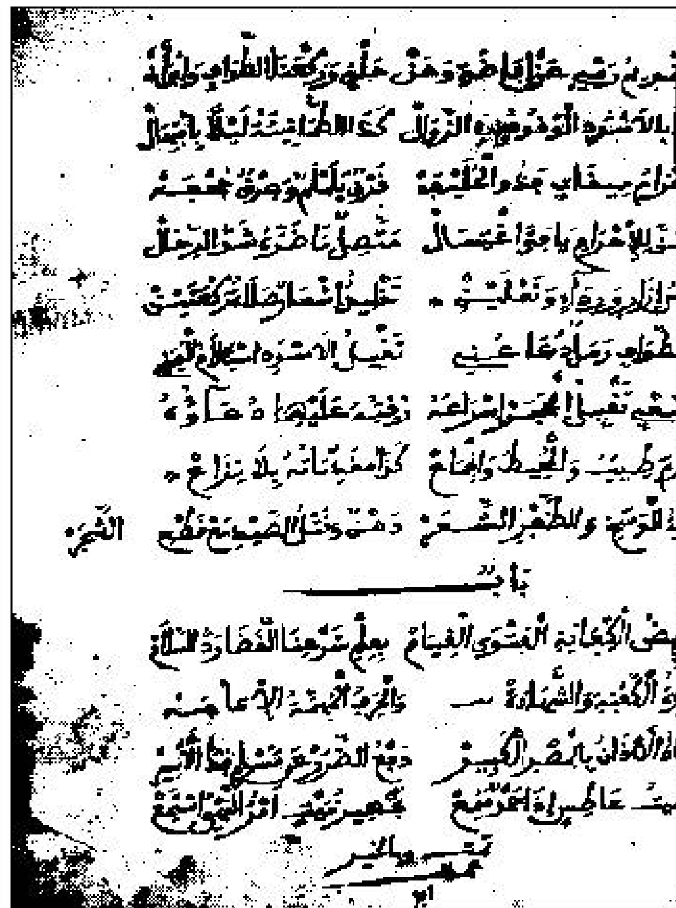
**١- صور مخطوط المنظومة الفقهيّة:**

النّسخة الأولى:

اللّوحة الأولى:



اللّوحة الأخيرة:



النّسخة الثّانية:

اللّوحة الأولى:

حمد الربي والصلاة والسلام ... على النبي والآل والصحب الكرام

وبعد هاك نبذة مختصرة ... جامعة لزيد معتبرة

باب

الماء طهور وبه الطهارة لأنه ... دالة تغير بجده عن بيان

الا كانت بالنجس فطرحوا به ... بالطاهر استعمل العادة ذلك

فصل

فرائض الوضوء قصد ذلك ... وغسل وجه واليدين بحده

بالمرفقين الغور مسح رأسه ... وغسل رجلين بكعبين عم

سنته مضمضة غسل اليدين ... ورد مسح الرأس مسح الأذنين

تجديدها بعدها استنشاقه ... ترتيب فرض وكذا استنشاء

فصل

والخارج المعتاد من مخرج ... تنقضه وسلس قل به

وردة زوال عقل شكه ... في حدث او سعة ولمس

اللّوحة الأخيرة:

## [النّص المحقّق]

[أ/٢و][ب/١] هذا مختصر لطيف نظم الفاضل الأديب،الكامل الأريب، الشّيخ محمّد صالح في العبادات، ويتلوه الشّرح له أيضا؛ حفظه الله تعالى،آمين؛ وطهّر سريرتنا وإيّاه. آمين.(١)

[أ/٢ظ] بسم الله الرّحمن الرّحيم

صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله.(٢)

### [دعاء الاستفتاح]

حَمْدًا لِرَبِّي وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمْ عَلَى النَّبِيِّ وَالآلِ وَالصَّحْبِ
وَبَعْدُ هَاكَ نُبْذَةً مُخْتَصَرَهْ الْكِرامْ جَامِعَةً لِزُبَدٍ مُعْتَبَرَهْ

### باب [أوصاف الماء]

الْمَا طَهُورٌ وَبِهِ الطَّهَارَتَانْ وَإِنْ تَغَيَّرَ فَخُذْهُ عَنْ بَيَانْ
إِنْ كَانَ بِالنَّجِسِ فَاطْرَحْهُ وَإِنْ بِالطَّاهِرِ اسْتَعْمِلْ لِعَادَةٍ زُكِنْ

### فصل [فرائض الوضوء]

فَرَائِضُ الْوُضُوءِ قَصْدٌ دَلْكُهُ بِالْمِرْفَقَيْنِ وَغَسْلُ وَجْهٍ وَالْيَدَيْنِ بَعْدَهُ وَغَسْلُ
الْفَوْرُ مَسْحُ رَأْسِهِ سُنَنُهُ مَضْمَضَةٌ غَسْلُ رِجْلَيْنِ بِكَعْبَيْنِ عِهِ وَرَدُّ مَسْحِ الرَّأْسِ
الْيَدَيْنْ تَجْدِيدُ مَاءٍ لَهُمَا اسْتِنْشَاقُهُ مَسْحُ الأُذُنَيْنْ تَرْتِيبُ فَرْضٍ وَكَذَا اسْتِنْثَارُهُ

---

(١) قبل بداية المخطوط في هذه النّسخة [أ] ورد بخطّ ابن صاحب النّظم، وهو الشّيخ طاهر بن صالح الجزائري ما يلي: [١/١و] قال العلاّمة والدي صالح الجزائري السّمعوني في حاشيته على شرح منظومته: قوله: «السّمعوني» نسبة إلى سمعون، اسم قرية من قرى بني وغليس من عمالة الجزائر، طهّرها من الكفر، وأعادها للإسلام بجاه النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام.ثمّ لمّا دهم بلادهم ما دهمها من حادثة الكفَرة الفرنسيس -دمّرهم الله تعالى- خرج منها فارّا بدينه مع شيخه ووسيلته إلى ربّه، شيخ الطّريقة وإمام الحقيقة، السّالك المسلك، الشّيخ المهدي الزواوي؛ لا زالت حضرته العليّة كعبة للفضائل يُطاف حولها، ومدينة للآداب والكرامات يهاجَر إليها. ثمّ صار استقرار الجميع بدمشق الشّام، أواخر عام ثلاثة وستّين ومائتين وألف (١٢٦٣هـ). هـ. كتبه ابنه طاهر». منظومة في الفرائض والسّنن، النّسخة [أ]، اللّوحة: [١و]. أمّا اللّوحة: [١ظ] فهي فارغة.

(٢) من أوّل المقدّمة كلّه غير ثابت في [ب].

## فصل [نواقض الوضوء]

وَالْــخَـارِجُ الْـمُعْتَادُ مِنْ مَـخْرَجِهِ     يَنْقُضُهُ وَسَلَسٌ قَلَّ بِهِ فِي حَـدَثٍ أَوْ
وَرِدَّةٌ زَوَالُ عَقْلٍ شَكُّهُ     سَبْقِهِ أَوْ لَمْسِهِ(١)

[ب/٢]

بِلَذَّةٍ أَوْ وُجِدَتْ مَسُّ الذَّكَرْ     وَقُبْلَةٌ بِالْفَمِ فَتَّبِعِ الأَثَرْ

## فصل [شروط الوضوء والغسل والتَّيمم]

شَرْطُ الْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ وَالتَّيَمُّمِ حَائِلٍ     عَقْلٌ وَإِسْلَامٌ خُلُوٌّ مِنْ دَمِ نَوْمٍ دُخُولُ وَقْتِهَا
إِكْرَاهٍ مُنَافٍ سَهْوِهِ ثُبُوتُ نَاقِضٍ بُلُوغُ الدَّعْوَةِ     فَانْتَبِه(٢) وَجْدُ(٣) طَهُورٍ وَبُلُوغُ قُدْرَةْ

[أ/٢و]

## فصل [فرائض الغسل]

فَرَائِضُ الْغُسْلِ عُمُومٌ دَلْكُهُ وَسُنَّ الاسْتِنْشَاقُ     وَنِيَّةٌ فَوْرٌ كَذَا تَخْلِيلُهُ مَضْمَضَةٌ مَسْحُ
غُسْلُهُ الْيَدَيْنِ مُوجِبُهُ حَيْضٌ مَغِيبُ كَمْرَةْ     صِمَاخِ الأُذُنَيْنِ بِفَرْجٍ إِنْزَالٌ نِفَاسٌ رِدَّةْ

## فصل فرائض التَّيمم(٤) [وسننه ومبطلاته]

قَصْدٌ مُوَالاَةٌ وَأُولَى الضَّرْبَتَيْنِ سُنَنُهُ التَّرْتِيبُ     وَمَسْحُ وَجْهِهِ وَلِلْكُوعِ الْيَدَيْنِ تَرْكُ الْغُبَارِ
ضَرْبَةُ الْيَدَيْنِ مُبْطِلُ الْوُضُوءِ مُبْطِلٌ لَهُ     مَسْحُهُ لِلْمِرْفَقَيْنِ وُجُودُ مَا قَبْلَ الأَدَا اعْلَمَنَّهُ

[ب/٣]

## فصل [فرائض الصَّلاة وسننها وشروطها ومبطلاتها]

فَرْضُ الصَّلَاةِ نِيَّةٌ تَرْتِيبُهَا تَكْبِيرَةُ الإِحْرَامِ ثُمَّ الْفَاتِحَهْ     وَالاعْتِدَالُ وَطُمَأْنِينَتُهَا مَعَ الْقِيَامِ لَهُمَا خُذْ فَائِدَةْ

---

(١) في [ب]: (ولمسه).

(٢) في [ب]: (فتبّه).

(٣) في [ب]: (وجدي).

(٤) في [ب]: (فرائض التَّيمم) فقط.

ثُمَّ الرُّكُوعُ الرَّفْعُ مِنْهُ وَالسَّلَامْ سُنَنُهَا ثُمَّ السُّجُودُ الرَّفْعُ جَلْسَةُ السَّلَامْ فِي الرَّكْعَةْ
السُّورَةُ بَعْدَ الْفَاتِحَهْ قِيَامُهُ لَهَا وَتَكْبِيرَاتُهُ الأُولَى كَذَا فِي الثَّانِيَهْ جَهْرٌ وَسِرٌّ وَكَذَا إِنْصَاتُهُ

وَزَائِدٌ عَلَى طُمَانِينَتِهِ تَسْمِيَةٌ وَسُتْرَةٌ(١) لِخَوْفِهِ رَدٌّ عَلَى مَنْ بِالْيَسَارِ
تَشَهُّدٌ جُلُوسُهُ جَهْرُ السَّلَامْ شُرُوطُهَا طَهَارَتَانِ وَالإِمَامْ بُلُوغُ دَعْوَةٍ وَعَقْلٌ وَاحْتِلَامْ عَدَمُ
إِسْلَامْ دُخُولُ وَقْتٍ وَالنَّقَا مِنَ الدَّمِ وَسَتْرُ نَوْمِ سَهْوٍ إِكْرَاهٍ تُومِي كَذَاكَ الاِسْتِقْبَالُ [أ/٣ظ]
عَوْرَةٍ وَوُجْدَانُ الطَّهُورْ وَبَطَلَتْ بِعَمْدِ نَفْخِ فَمِهِ فُزْتَ بِالسُّرُورْ أَكْلٍ وَشُرْبٍ قَيْئِهِ وَلَحْنِهِ

زَيْدِ(٢) كَسَجْدَةٍ كَلَامِ لِلْعَبَثْ وَمُشْغِلٍ عَنْ فَرْضِهِ قَهْقَهَةٍ وَزَيْدِ مِثْلِ مَا والْحَدَثْ سَابِقَةَ الْحَاضِرَتَيْنِ
وَذِكْرِهِ لِسُجُودِ قَبْلِيٍّ لِسُنَّةٍ(٣) فَقُلْ وَبِانْصِرَافِ فَادْرِهِ وَتَرْكِهِ عَنِ الثَّلَاثِ إِنْ يَطُلْ نَفْيٌ كَمَنْ شَكَّ
لِلْحَدَثِ ثُمَّ ظَهَرْ مُسَلِّمًا وَبَعْدَهُ بَانَ الْكَمَالْ التَّمَامَ وَابْتَدَرْ(٤) وَتَرْكِ شَرْطِهَا وَرُكْنِهَا وَطَالْ

[ب/٤]

سُجُودِ مَسْبُوقٍ وَلَمْ يُدْرِكْ رُكُوعْ(٥) ذِكْرِ(٦) نَجَاسَةٍ بِهَا ثُمَّ الْوُقُوعْ

فَتْحٌ عَلَى غَيْرِ الإِمَامِ رَفْضِهَا وَبِكَثِيرِ الْفِعْلِ تَصْوِيتٍ بِهَا
وَبَطَلَتْ بِالاِقْتِدَا بِالأُنْثَى(٧) مَجْنُونٍ أَوْ صَبِيٍّ أَوْ بِخُنْثَى

وَذِي كَبِيرَةٍ(٨) تَعَلَّقَتْ بِهَا وَمُحْدِثٍ وَكَافِرٍ وَجَاهِلٍ بِحُكْمِهَا ثُمَّ فَعَلْ
عَلِمَ أَوْ مُؤْتَمُّهُ وَقَارِئٍ مُخَالِفٍ شَيْئًا وَلَوْ نَسِيَهُ مَأْمُومٍ أَوْ عَبْدٍ وَذَا فِي [أ/٤و]
لِلْعَشَرَهْ وَعَاجِزٍ عَنْ رُكْنٍ أَوْ بِأُمِّي الْجُمُعَهْ مَعَ وُجُودِ غَيْرِهِ بِعِلْمِ

## فصل [شروط الجمعة]

شُرُوطُ جُمْعَةٍ وُقُوعُ كُلِّهَا بِخُطْبَتَيْنِ هَكَذَا(٩) فِي وَقْتِهَا

---

(١) في [ب]: (وستر).
(٢) في [ب]: (زيدي).
(٣) في [ب]: (ولسنّة).
(٤) في [ب]: (ونبدر).
(٥) في [ب]: (ولم يدري الرّكوع).
(٦) في [ب]: (ذكرى).
(٧) في [ب]: (بالاقتداء بأنثى).
(٨) في [ب]: (كثيرة).
(٩) في [ب]: (بخطبتيها كذا).

وَالْجَامِعُ اسْتِيطَانُ بَلْدَةٍ إِمَامْ[1] ذُكُورَةٌ ثُمَّ حُضُورُ اثْنَيْ عَشَرْ إِلَى السَّلاَمْ إِقَامَةٌ عَدَمْ

[ب/٥] حُرِّيَّةٌ وَخُطْبَتَانِ وَسُنَّ الاسْتِقْبَالُ[2] لِلإِمَامِ عُذْرٍ يُسْتَبَانُ فِي حَالِ خُطْبَةٍ إِلَى التَّمَامِ

جُلُوسُهُ بَيْنَهُمَا وَأَوَّلاً حُرِمَ فِي الْخُطْبَةِ كَذَا اغْتِسَالٌ بِالرَّوَاحِ اتَّصَلاَ وَرَدُّهُ الصَّلاَةَ

حصْبٌ وَالسَّلاَمُ تَشْمِيتُ عَاطِسٍ تَخَطٍّ[3] لِلرِّقَابِ بَيْعٌ وَالْكَلاَمُ أَكْلٌ وَشُرْبٌ وَبِوَقْتِهَا الذَّهَابُ

### فصل[4] [فرائض الجنازة]

فَرَائِضُ الْجَنَازَةِ الدُّعَا الْقِيَامُ وَالنِّيَّةُ التَّكْبِيرُ أَرْبَعًا سَلاَمُ

### فصل[5] [السُّنن]

سُنَّ سُجُودُ السَّهْوِ وَالتِّلاَوَةِ وَالْعُمْرَةُ الأَذَانُ لِلْجَمَاعَةِ[6]

[أ/٤ظ] جَمَاعَةٌ بِالْفَرْضِ غَيْرِ الْجُمُعَةِ إِقَامَةٌ ضَحِيَّةٍ لِذِي السَّعَةِ[7]

صَلاَةُ عِيدٍ وَكُسُوفٌ وِتْرٌ[8] خَوْفٍ وَالإِسْتِسْقَا صَلاَةُ قَصْرُ

### باب[9] [في الزَّكاة]

وَتَجِبُ الزَّكَاةُ فِي الْحَرْثِ النَّعَمْ وَالْعَيْنِ وَالنِّيَّةُ وَالْفَرْقُ انْحَتَمْ[10]

منظومة في الفرائض والسُّنن على مذهب الإمام مالك

---

(١) في [ب]: (إيمام).

(٢) في [ب]: (الاستنشاق).

(٣) في [ب]: (طحّي) ولا معنى لها.

(٤) كلمة (فصل) غير ثابتة في [ب].

(٥) كلمة (فصل) غير ثابتة في [ب].

(٦) في [ب]: (للجامعه

(٧) في [ب]: (الشاعه).

(٨) في [ب]: (وتري).

(٩) في [ب]: (باب نمّت).

(١٠) في [ب]: (المحتّم).

بِمَـوْضِــعِ الْــوُجُــوبِ[1] أَوْ بِـقُـرْبِــهِ فِي حَـرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ فَانْتَبِهِ دَفْـعٌ لِمُسْتَحِقِّهَا
شُـرُوطُـهَــا مِـلْـكُ نِـصَـــابٍ حَـوْلُــهَـا إِخْرَاجُهَا
مِـنْ جِنْسِهَا مَـجِـيءُ[2] سَـاعٍ فِـي النَّعَمْ حُـرِّيَّــةٌ إِسْــلاَمٌ أُشْـكُــرِ النِّــعَــمْ[3]

## بـاب [في الصّيام]

فَــرْضُ الـصِّـيَــامِ نِـيَّـةٌ وَالْـكَــفُّ عَـنْ شَــهْـوَتَـيِ الْـبَـطْـنِ وَفَــرْجٍ فَـاعْـلَـمَـنْ
شُـرُوطُــهُ الإِسْـــلاَمُ وَالإِطَــاقَــهْ عَـقْــلٌ بُـلُــوغٌ وَنَـقَــا إِقَــامَــهْ

## بـاب [في الحجّ]

فَرَائِضُ الْحَجِّ الطَّوَافُ الإِحْـرَامْ شُرُوطُـهُ سَعْـيٌ وُقُوفُ عَـرَفَـهْ لَيْـلاً يُـرَامْ وَالاِسْتِطَاعَـةُ
حُرِّيَّـةٌ إِسْلاَمُـهُ وَوَاجِبَـاتُـهْ طَـوَافُ قُدِّمَـا كَذَا تَكْلِيفُـهُ وَوَصْلُـهُ[4] بِالسَّعْـيِ مَشْـيٌ فِيهِمَـا [أ/٥و]
تَـجَرُّدُ الْمُحِيطِ حَلْقٌ تَلْبِيَـهْ تَقْدِيمُ رَمْـيٍ عَنْ رَمْـيٌ مَبِيتٌ بِمِنًـى مُزْدَلِفَـهْ حَلْقٍ وَرَكْعَتَـا
إِفَاضَـةٍ وَعَنْ لَـهُ بِالأَسْوَدِ الْوُقُوفُ فِي الزَّوَالْ الطَّوَافِ وَابْـدَأَنْ كَذَا الطُّمَأْنِينَةُ لَيْلاً بِابْتِهَالْ[5]

إِحْرَامُ مِيقَاتٍ[6] فَذُوا الْحُلَيْفَهْ وَسُنَّ لِلإِحْرَامِ قَـرْنٌ يَلَمْلَـمٌ وَعِـرْقٌ جُحْفَـهْ[7] مُتَّصِـلٌ[8] مَـا [ب/٦]
يَا فَتَـى اغْتِسَالْ لُبْسُ إِزَارٍ وَرِدَاءٍ وَنَعْلَيْنْ ضَـرَّهُ شَدُّ الرِّحَـالْ تَقْلِيدٌ إِشْعَارٌ صَـلاَةُ رَكْعَتَيْنْ

---

(١) حرف غير وارد في [ب].

(٢) في [ب]: زيادة بيت آخر، وقد ذكر في من قبل، وهو خطأ من النّاسخ؛ وهذا البيت هو:

فرائض الجنازة الدّعا القيام :: والنّيّة التّكبير أربعا سلام

(٣) في [ب]: (وتري).

(٤) في [ب]: (ووصاله).

(٥) في [ب]: (تبهال)، وفيها تحريف.

(٦) في [ب]: (لبقا)، ولا معنى لها.

(٧) في [ب]: (ركعتين) بدلا من تلك الكلمة، وهو خطأ.

(٨) في [ب]: (مبطل).

وَلِلطَّوَافِ[1] رَمَلٌ دُعَا عُنِي لِلسَّعْيِ تَقْبِيلُ تَقْبِيلُ الأَسْوَدِ[2] اسْتِلاَمُ الْيَمَنِي رُقِيُّهُ
الْحَجَرْ إِسْرَاعُهُ حَرْمٍ طِيبٌ وَالْمُحِيطُ وَالْجِمَاعْ عَلَيْهِمَا دُعَاؤُهُ كَذَا مُقَدِّمَاتُهُ بِلاَ نِزَاعْ
إِزَالَةُ الْوَسَخِ وَالظُّفْرِ الشَّعَرْ دَهْنٌ وَقَتْلُ الصَّيْدِ مَعْ قَطْعِ الشَّجَرْ

## باب [في فرائض الكفاية]

فَرَائِضُ الْكِفَايَةِ الْفَتْوَى الْقِيَامْ زِيَارَةُ بِعِلْمِ شَرْعِنَا الْقَضَا رَدُّ السَّلاَمْ وَالْحِرَفُ
الْكَعْبَةِ وَالشَّهَادَةْ جِهَادٌ الأَذَانُ بِالْمِصْرِ الْمُهِمَّةُ الإِمَامَةْ[3] دَفْعُ الضَّرَرْ عَنْ مُسْلِمِ
الْكَبِيرْ تَشْمِيتُ عَاطِسٍ إِذَا حَمَدْ سُمِعْ فَكُّ الأَسِيرْ تَجْهِيزُ مَيْتٍ أَمْرٌ النَّهْيُ اسْتَمِعْ

تمتّ وبالخير عمّت، وصلّى الله على سيّدنا محمّد[4]

(١) في [ب]: (والطّواف).
(٢) في [ب]: (أسو)، وفيها تحريف.
(٣) في [ب]: (إمامه).
(٤) هذا السّطر من [ب]، وهو غير ثابت في [أ].

## المصادر والمراجع


- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزّركلي خير الدّين، دار العلم للملايين، بيروت؛ لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- أعلام المكّيين من القرن التّاسع إلى القرن الرّابع عشر الهجري، عبد الله بن عبد الرّحمن المعلمي، مؤسّسة الفرقان للتّراث الإسلامي، فرع مؤسّسة مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت؛ لبنان، دون تاريخ.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثّالث عشر، عبد الرّزّاق البيطار (ت١٣٣٥هـ)، تحقيق: محمّد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩١م.
- شرح على مختصر في الفرائض والسّنن "شرح المنظومة"، صالح السّمعوني، مخطوط مكتبة مكّة المكرّمة، النّسخة [أ].
- الشّيخ الطّاهر الجزائري رائد التّجديد الدّيني في بلاد الشّام في العصر الحديث، حازم زكريّا محيي الدّين، دار القيم، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- فهرس المخطوطات العربيّة لمجموعة معهد دراسات الثّقافة الشّرقيّة بجامعة طوكيو، جمع وترتيب، أبو وردان العلوي الوهراني، د.ت.ط.
- فهرس مخطوطات مكتبة مكّة المكرّمة، إعداد: محمّد الحبيب الهيلة وغيره، إشراف: الشّيخ عبد المالك بن عبد القادر طرابلسي، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- فهرست معلمة التّراث الجزائري بن القديم والحديث، الشّيخ بشير ضيف الجزائري، مراجعة: د. عثمان بدري، مطبعة ثالة، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٧.
- تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- كنوز الأجداد، محمّد كرد عليّ، أضواء السّلف، دمشق، ١٣٩٦هـ/١٩٥٠م.
- مختصر في الفرائض والسّنن "منظومة"، صالح السّمعوني، مخطوط مكتبة مكّة المكرّمة، النّسخة [أ].
- مختصر في الفرائض والسّنن "منظومة"، صالح السّمعوني، مخطوط جامعة طوكيو، النّسخة [أ].
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة، بيروت؛ لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- معجم المؤلّفين، تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، عمر رضا كحّالة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- منتخبات التّواريخ لدمشق، محمّد أديب آل تقيّ الدّين الحصني، المطبعة الحديثة بدمشق، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

# رسالة في وصف القلم

# جَلَالُ الدِّينِ الدَّوَانِي المتوفى سنة ٩١٨هـ

رسالة في وصف القلم جَلَالُ الدِّينِ الدَّوَانِي المتوفى سنة ٩١٨هـ

تحقيق

د. إسلم بن السبتي

إنواكشوط - موريتانيا

## تقديم

كانت صلتي بالخط العربي قد بدأت منذ أن قمت بكتابة مقال عن مجموع نادر للخط العربي وقفت عليه في مكتبة أهل حبت بمدينة شنقيط وقد لاقى ذاك المقال ترحابًا من العلامة المرحوم هلال بن ناجي وكتب عنه مقالاً مفصلاً في مجلة "العرب". ومن نافلة القول أن أثني على المرحوم هلال بن ناجي لحبه للخط العربي، ولما قام به من جهد في إخراج نصوصه والتعريف بأعلامه. ولا شك أنني أعجبت بتلك الأعمال التي أعجب بها وبلا شك محبو الخط العربي.

وانطلاقًا من ذلك قمت بتحقيق شرح ابن بصيص على قصيدة ابن البواب، وهو ضمن المجموع المنوه به سابقًا. ومن ضمن تلك المجموعة هذا النص الذي أقدمه الآن، وهو لعالم من علماء المسلمين غير العرب، أحب العربية وألف فيها مؤلفات كثيرة، وكانت هذه الرسالة الجميلة من بين تلك الرسائل والكتب التي أتحف بها المكتبة العربية والإسلامية. فكان من حقنا عليه أن نُعلي من شأنه، ونضع بعض ما أنتجه أمام أعين قراء العرب والمسلمين. وقد حاولت التعريف به وبحياته الشخصية وبشيوخه وتلامذته ومؤلفاته الكثيرة. ثم أتبعت ذلك بتحقيق تلك الرسالة البليغة التي أشاد بها غيري، وجعلها لونًا بلاغيًا لما حملته من العبارات ذات الدلالة البليغة والمعبرة عن حمولات دلالية بعيدة، فلا يسمو إلى دَرَجها إلا من أوتي ملكة ودراية لخبايا اللغة العربية.

ونحن إذ نقول الكلمة الأخيرة في مشوار طويل كنا سلكناه ونحن نحقق هذه الرسالة النادرة، فإننا نهيب بالقارئ الباحث عن أساليب العربية أن يقرأ هذه الرسالة بتمعن، ولن يعود فارغ الوفاض، بل سينهل من معين سيرتوي منه ردها من الزمن، وسيتدبره كلما هم بكتابة رسالة، أو تدبيج إنشاء.

وأخيرًا أرجو أن أكون قد وفقت لإخراج نص جديد من نصوص العربية، راجيًا للجميع الإفادة، والاستفادة. وعلى الله القصد، وبه الاستعانة، والحمد لله أولاً وآخرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## التعريف بالمؤلف

هو محمد بن أحمد، وقيل أسعد، الصديقي البكري، جلال الدين الدواني. ولد بدوان سنة ٨٣٠هـ، وهي قرية من بلاد كازرون. كان مسكنه بشيراز. قاضي القضاة بفارس، كان ذلك بفضل السلطان يعقوب حين مكنه من كرسي القضاء[1]. وكان فقيهًا شافعيًا. وله القدمُ العليا في العلوم وبخاصة العلوم العقلية، حتى إن بعضهم عده من الفلاسفة[2]. وقد شُدت إليه الرحال من طرف خلق كثير وبخاصة من بلاد الروم وخراسان وما وراء النهر[3]. وذكره السخاوي في ضوئه فقال:" وسمعت الثناء عليه

(١) الضوء اللامع: ٣/ ٤٤٣، وشذرات الذهب: ٨/ ١٦٠، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر: ص: ٦٩

(٢) الأعلام للزركلي: ٢/ ٢٦٠

(٣) معجم المطبوعات: ١/ ٨٩١

من جماعة ممن أخذ عني".[1]

## صفاته:

وقد اشتهر ببعض الصفات الحميدة في شخصه وعلمه قال صاحب الضوء معلقًا على ذلك وذاكرًا لبعض تصانيفه:" وصنف الكثير من ذلك شرح على شرح التجريد للطوسي عم الانتفاع به وكذا كتب على العضد مع فصاحة وبلاغة وصلاح وتواضع"[2]. وقد كررت تلك الخصائل والصفات في بعض المصادر من دون أي تغيير، أو تبديل، أو زيادة أو نقص[3]. وهذه الصفات ولا شك هي صفات العلماء، أهل الفضل والعلم والتقى والورع. وقد برهنت على سعة علمه ما رصدناه في الفقرة اللاحقة من مؤلفات ورسائل طريفة. كما أن تنصيبه قاضيًا جعلت منه رجلاً يتصف بخصال القضاة التي قلما تتوفر إلا للمتبصرين بعلم الفقه ومعرفة أحوال المجتمعات وطبائعهم، ومخالطة لهم في الحياة العامة التي تكفل للقاضي بأن يحكم، بحكمه القاضي النافذ. وقد كان السلطان يعقوب محقًا في اختياره له وذلك لما امتاز به من علم وورع، وصلاحية لحكم القضاء.

ولقد كان الدواني صادقًا مع نفسه حينما قدم للسلطان يعقوب آيات الإكبار والثناء عندما دبج فيه من كلام بلاغته، قوله:" كَتَّبَه، وهو فِي يَدِ السُّلْطَانِ بْنِ السُّلْطَانِ أَبِي المُظَفَّرْ يَعْقُوبْ خَانْ.. اللَّهُمَّ خَلِّدْ نَفَاذَ أَرْقَامِ أَقْلَامِ خُدَّامِهِ عَلَى صَفَحَاتِ الأَقَالِيمِ مَا دَامَ القَلَمُ الأَعْلَى، وَأَيِّدْ أَمْدَادَ أَعْوَانِ دَوْلَته، وَامْتِدَادَ زَمَانِ شَوْكَتِهِ مَا دَامَتْ نُقُوشُ الأَنقاشِ فِي صَفَائِحِ القِرْطَاسِ تُتْلَى، وَمَآثِرِ آثَارِ السَّلَاطِينِ الكِبَارِ عَلَى صَفَحَاتِ الأَدْوَارِ تُرْوَى. بِحَقِّ مَنْ نَسَخَ الكُتُبَ السَّالِفَةَ، وَلَمْ يَرْكَبْ بَنَانُهُ القَلَمَ، وَهَدَى الحَائِرِينَ إِلَى أَقْوَامِ اللُّقَمِ، بَعْدَ مَا وَقَبَ غَواسِقَ".

## شيوخه:

وقد ذكر صاحب الضوء اللامع بعض شيوخه وهم[4]:

- المحيوي اللاري

- حسن بن البقال

## تلامذته

إن معرفة الرجل بكثير من العلوم جعلته قبلة الباحثين والمتعطشين للنهل من معين علمه ومعرفته، وكان من أدب تلامذته أنه إذا تكلم نكسوا رؤوسهم تأدبًا ولم يتكلم أحد منهم بشيء".[5] وقد وقفنا على

---

(١) الضوء اللامع: ٣/ ٤٤٣، وشذرات الذهب: ٨/ ١٦٠، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر: ص: ٦٩

(٢) الضوء اللامع: ٣/ ٤٤٣،

(٣) النور السافر عن أخبار القرن العاشر: ص ٦٩، وشذرات الذهب: ٨/ ١٦٠

(٤) الضوء اللامع: ٣/ ٤٤٣

(٥) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: ٢/ ١٢٤

بعض الأسماء وهم:

- أحمد بن نعمة الله بن عبد الكريم بن محمد، السيرافي الشافعي[1].
- إسماعيل الشرواني الحنفي توفي في دمشق سنة ٩٤٣هـ[2]
- الجلال أحمد بن محمد بن إسماعيل بن حسن الصفوي[3]
- المولى عبد الرحمن بن المؤيد الأماسي الرومي الحنفي المتوفى سنة ٩٢٢هـ في القسطنطينية[4]
- محيي الدين محمد اللاري الحنفي المتوفى في حدود سنة ٩٥١هـ[5]
- محمود بن محمد بن عبد الله بن محمود بن عبد الله بن محمود الشيرازي الطبيب المتوفي سنة ٩٣٢هـ[6]
- قاضي مير، حسين بن معين الدين الميبذي، المتوفى سنة ٩١٠هـ[7]
- محمد القزويني[8]
- المولى العالم الفاضل الكامل الشهير بابن الكتخدا الكرمياني المتوفى في حدود سنة ٩٤٠هـ[9]
- المولى الشيخ مظفر الدين علي الشيرازي المتوفى في مدينة بروسه سنة ٩٢٢هـ[10]
- محمد بن أحمد المبارك العالم الفاضل الشهير بحكيم شاه القزويني المتوفى سنة ٩٥٤هـ[11]

## مؤلفاته:

نبغ الدواني في ميدان الآتيف منذ نعومة أظفاره؛ وذلك بسبب استيعابه الفائق للعلوم التي درسها، وقد صرح بذلك حينما قال في مطلع إحدى رسائله بأنه: قد أفرد في عنفوان شبابه رسالة في هذا المطلب: أي رسالة في إثبات الواجب"[12] . ومَن هذا ديدنه في الشباب، فكيف سيكون إذا اشتد عوده،

---

(١) الضوء اللامع: ١/ ٤١٧

(٢) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: ص ٢١٤ ، والكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: ص ٢٧٢

(٣) الضوء اللامع: ٥/ ٤٥

(٤) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: ص ١٤٦

(٥) هدية العارفين: ٢/ ٧٣

(٦) هدية العارفين: ٢/ ١٦٤

(٧) الأعلام للزركلي: ٢/ ٢٦٠

(٨) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: ص: ٢٠٠

(٩) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: ص٢٨٠

(١٠) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: ص ١٩٩

(١١) طبقات المفسرين - الأدنروي: ص٣٨٤

(١٢) كشف الظنون: ١/ ٨٤٢

وبلغ من العلم الدرجة العليا؟ ولا شك أنه أجاب بما هو آت من جريدة طويلة لمؤلفاته التي ذكرها حاجي خليفة، وإسماعيل باشا، ووصفها قبلهم السخاوي بقوله:" وصنف الكثير من ذلك.."[1]. ونذكرها هنا كما وثقناها من تلك المصادر:

- أربعين السلطانية في الأحكام الربانية.
- الأسئلة الشريفة القرآنية
- الحجج الباهره في إفهام الطائفه الفاجره
- الرسالة الجلالية في مسألة اجتماع الناقضين
- الرسالة الخلخالية
- الرسالة العشرية
- **الرسالة القلمية**. وهي عملنا هذا[2]
- الطبقات الجلالية في حواشي شرح التجريد من الجديد.
- المسائل العشر في الكلام
- المسائل المنطقية
- أنموذج العلوم.
- بستان القلوب.
- تذكرة وتبصرة من الحكمة
- تعريف العلم
- تعريف علم الكلام
- تفسير الفاتحه
- تفسير بعض الآيات
- تفسير سورة الإخلاص.
- تفسير سورة الفلق
- تفسير سورة الكافرون

---

(١) الضوء اللامع: ٣/ ٤٤٣

(٢) وهذا العنوان ذكر له حاجي خليفة عدة مؤلفين هم: المولى محمد بن صاري كرز المتوفى: سنة ٩٩٠هـ، والمولى عبد الله بن طورسون الشهير: بفيضي، المتوفى: سنة ١٠١٩هـ ، سليسة اللفظ بليغة المعنى وهي معتبرة بين الكتاب والبلغاء، ونعمة الله الجونازي.

- تفسير سورة المعوذتين.
- ثبت في ذكر مشايخه
- حاشية على شرح القوسجي لتجريد الكلام
- حاشية الدواني على شرح الإشارات
- حاشية على الأنوار لعمل الأبرار للأردبيلي في الفروع.
- حاشية على الشمسية في المنطق.
- حاشية على المطالع في الحكمة.
- حاشية على تحرير القواعد المنطقية للقطب الرازي
- حاشية على حاشية الصدور لتجريد العقائد.
- حاشية على شرح آداب الفاضل للشرواني.
- حاشية على مباحث الأمور العامة
- رباعيات
- رسالة التسديد ريقه التقليد
- رسالة الحوراء والزوراء. (أتمها في سنة ٨٧٢هـ)[1]
- رسالة العشرية.
- رسالة الوضع
- رسالة صيحة وصدى
- رسالة في إثبات الواجب جديدة.
- رسالة في أصول الحديث
- رسالة في أفعال العباد
- رسالة في التشبيهات الواقعة في دعاء الصلاة.
- رسالة في التصوف
- رسالة في التوجيه التشبيه
- رسالة في العدالة

(١) كشف الظنون: ١/ ٨٦٢.

- رسالة في أن الصلاة على المصطفى أفضل الصلوات
- رسالة في إيمان فرعون موسى ( ضمن مجموع )
- رسالة في بيان فرض العين
- رسالة في تحقيق الإنسان
- رسالة في تحقيق نفس الأمر
- رسالة في تعريف الكلام من المواقف.
- رسالة في تقسيم العلم
- رسالة في خلق الأعمال.
- رسالة في خواص الحروف
- رسالة في علم النفس.
- رسالة في مسائل من الفنون
- رسالة في التشبيهات الواقعة في دعاء الصلاة.
- رسالة متعلقة بحقيقة الصلاة
- زوراء الفضل ثم شرحها.
- شرح إثبات الجوهر المفرق
- شرح التجريد للطوسي، وعن هذا الآتيف قيل بأنه:"عم الانتفاع به".(١)
- شرح العقائد العضدية (وهو: آخر آتيف الجلال كما قيل ).(٢)
- شرح العقائد للإيجي.
- شرح تهذيب المنطق والكلام(٣).
- شرح خطبة الطوالع
- شرح رسالة آداب البحث للسمرقندي
- شرح غزل خواجه حافظ شيرازي

---

(١) الضوء اللامع: ٣/ ٤٤٣، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر: ص٦٩، وشذرات الذهب: ٨/ ١٦٠

(٢) كشف الظنون: ٢/ ١١٤٤

(٣) معجم المطبوعات: ٢/ ١٩٨٣

- شرح هياكل النور للسهروردي.

- عجالة في شرح بعض أبيات لابن عربي

- عرضنامه

- عشر تنامة فارسي وغير ذلك.

- عين الحكمه

- لوامع الإشراق في الحكمة العملية والمنزلية والمدنية في مكارم الأخلاق.

- نبذ من الكلام على طرائف علم الكلام

- نور الهداية

### وفاته:

اختلف في سنة وفاته، فعند حاجي خليفة أنه توفي سنة ٩٠٧هـ[١]، وقد اتفق مع إسماعيل باشا في أنه توفي سنة ٩٠٨هـ[٢]، ومنهم من قال بأن وفاته كانت سنة ٩١٨هـ بفارس التي قضى بها آخر أيامه، وذلك إثر هجوم الأعداء عليه واغتياله في الثالث عشر من ربيع الأول للسنة المذكورة[٣]. وتذكر بعض المصادر الأخرى أنه توفي سنة ٩٢٨هـ[٤] وكان عمره إذ ذاك قد بلغ ثمانين سنة[٥] رحمه الله تعالى.

### وصف القلم في التراث العربي

لقد اهتم علماء التراث العربي بالكتابة وآلاتها وبخاصة القلم؛ حيث قالوا:" ليس شيء في الدنيا أفضل من القلم؛ لأن به يمكن إعادة التالف والماضي. ومن شرف القلم وفضله أن الله تعالى أقسم به فقال عز من قائل: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾[٦]. ومن هنا عكفوا على الآتيف فيه وكتابة الرسائل النادرة في فضله وشرفه. ومن ذلك هذه الرسالة المهمة التي ينساق مضمونها مع ما جاء في المجموع من رسائل الخط وأدواته، ويبدو جليًا من عنوانها أنها تركز على وصف القلم من دون أدوات الخط الأخرى المعروفة. وقد رأيت فيما جمعه كوركيس عواد رسالتان تهتمان بالقلم، أولاهما تلك التي ألفها علي بن هلال، المعروف بابن البواب، وجمعت إلى جانب القلم،

---

(١) كشف الظنون: ١/ ١٨٤، والتيمورية: ٣/ ١٠٣

(٢) كشف الظنون: ٢/ ١١٤١، وهدية العارفين: ٢/ ٦٦

(٣) الأعلام للزركلي: ٦/ ٣٣

(٤) النور السافر عن أخبار القرن العاشر: ص ٦٩، وشذرات الذهب: ٨/ ١٥٧، وفهرس مخطوطات الظاهرية، الأدب: ١/٢٦٤

(٥) معجم المطبوعات: ١/ ٨٩٢

(٦) انظر ديوان سمر لمؤلف مجهول، الظاهرية، الأدب، ١/٢٢١

الحبر والكتابة والورق. وجاء عنوانها كما يأتي: "رسالة في علم الخط والحبر والكتابة والورق" وهي في نسخة واحدة ضمن مجموع للخط[١].

وثانيتهما، رسالة في القلم، لعمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ، ذكرها ياقوت في معجم الأدباء[٢].

ولا نمتلك دلائل قوية على العلاقة الوطيدة التي قد تكون لهذه الرسالة مع الرسالتين السابقتين، فقد تكون أخذت منهما بحكم أصالتهما وتفردهما في موضوعهما، ومن حيث نسبتهما إلى مؤلفين كبيرين اشتهر أحدهما في علم الخط وتفرد الآخر في أغلب علوم اللغة والأدب.

ومن تلك الرسائل: كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، لأبي القاسم عبد الله بن عبد العزيز البغدادي من رجال القرن الثالث الهجري[٣].

أما ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ فنسبت له رسالة الخط والقلم[٤].

ودرج المؤلفون في ذكر القلم دون وصفه، ضمن لون خاص به وبأدبه، وهو ما يسمى بالمفاخرة، وهي ذكر ما لهذا وذاك من أفضال وأنعات طريفة، وما يتسم به من علو الكعب والفخر على الند. ونذكر هنا بعض النماذج التي وقفنا عليها، فمن ذلك:

"المفاخرة بين السيف والقلم"[٥]. لأبي حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي المتوفى نحو ٤٠٠هـ.

أما أبو حفص، أحمد بن برد الأكبر المتوفى سنة ٤١٨هـ فقد ألف رسالة في: "مفاخرة السيف والقلم"، وهي أول آتيف أندلسي في هذا الفن[٦].

وهناك رسالة في المغايرة بين السيف والقلم، لمحمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي المصري، أبي بكر جمال الدين ولأبي حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي المتوفى نحو ٤٠٠هـ نباتة المتوفى سنة ٧٦٨هـ.[٧]

---

(١) المورد: مج١٥، س١٩٨١، ص٣٩٨

(٢) المصدر السابق: ص٣٩٠

(٣) حققه هلال ناجي، ضمن العدد الثاني من مجلة المورد، السنة ١٩٧٣م

(٤) نشرها الدكتور صالح الضامن ضمن مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع ـ المجلد التاسع والثلاثون.

(٥) المخطوطات المصورة، الأدب، القسم السادس، ص٧٢

(٦) انظر تاريخ الأدب، لسزكين، ٨٣/٥

(٧) فهارس مخطوطات الظاهرية، الأدب، ١٧٠/١، و٢٤٨، والدرر المكنونة: ص٢٠٦، والمخطوطات المصورة، الأدب، القسم الخامس ص١٧٨، ضمن (مجموع). حقق الرسالة الدكتور هلال بن ناجي مع الرسالة المذكورة أدناه ونشرهما في مجلة المورد، المجلد١٢، العدد الرابع، ص١١٣

كما وقفت على نص لابن الوردي في مفاخرة السيف والقلم[1]. نقل عنه السيوطي في كتابه المحاضرات والمحاورات.

وألف أحمد بن علي القلقشندي رسالة موسومة بـ"حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم"[2].

والرسالة السيفية والقلمية: للمولى، علي بن أمر الله، الشهير بابن الحنائي المتوفى: سنة ٩٧٩هـ، ذكر فيها: مناظرة السيف والقلم بألفاظ رائقة وعبارات فائقة على طريقة الأدباء[3].

وهناك رسالة قلمية أخرى لمحيي الدين محمد بن بدر الدين محمود الحنفي الصاروخاني الشهير بالمنشي الأقصاري الرومي المتوفى بمكة سنة ١٠٠١ هـ[4]

كما وقفت على ذكر لثلاث رسائل هي: الرسالة القلمية والسيفية والثلجية نسبت على الغلاف إلى الكوراني، وهو صلاح الدين بن محمد الكوراني الحلبي المتوفى سنة ١٠٤٩هـ[5]. والمهم من تلك الرسائل ما له علاقة بموضوعنا، وهو الرسالة الأولى.

ورسالة في القلم إنشاء وفي أصل التوقيع، وقفت على هذا النص ضمن المجموع الذي وصفته في مقال خاص نشرته في مجلة العرب. والنص مجهول المؤلف.[6]

وقلمية مولانا قاضي القضاة[7]

والرسالة القلمية، لنعمة الله بن عثمان[8]

ومن المقامات التي جعلت السيف والقلم موضوعًا لها: مقامة المفاخرة بين السيف والقلم، لأبي حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الأندلسي المتوفى سنة ٤٤٠ هـ.[9]

## هذا النص:

هذا النص يدخل في فن الترسل الذي ابتدعه العلماء العرب والمسلمون في تثبيت بعض المعلومات

---

(١) فهرس مخطوطات الظاهرية، الأدب، ص١٦٩

(٢) مجلة العرب: ج٥،٦،ص٤٦ ذو القعدة وذو الحجة ١٤٣١هـ مقال: "أعلاق الخط العربي في شنقيط".

(٣) كشف الظنون: ٨٧٣/١، وانظر مجلة العرب، الجزء ١،٢ ص٤٤ رجب وشعبان ١٤٢٩هـ مقالنا تحت عنوان: "من نوادر المخطوطات في مكتبة آل حبت".

(٤) هدية العارفين: ٨٤/٢، وقد انتهينا من تحقيقها قبل فترة.

(٥) فهرس الظاهرية للأدب، ٢٦٥/١

(٦) مجلة العرب، الجزء ١،٢ ص٤٤ رجب وشعبان ١٤٢٩هـ مقالنا تحت عنوان: "من نوادر المخطوطات في مكتبة آل حبت".

(٧) وصفتها في المقال السابق.

(٨) المخطوطات المصورة، الأدب، القسم الرابع، ص٣٦

(٩) المخطوطات المصورة، الأدب، القسم السادس، ص٩٧

الطريفة في قالب أدبي بسيط، ينحو فيه الكاتب منحى بلاغيًا تميز بتركيز الوحدات وعرضها في تناغم داخلي ذو حمولة دلالية ومجازية. يقول ابن معصوم موضحًا لمضمون هذه الرسالة: " وعلى ذكر القلم فقد عن لي أن أورد هنا رسالة القلم... لما اشتملت عليه من المعاني الغريبة والأسجاع التي لا يعتري السامع من حسنها ريبة"[1]. وقد أوردها في باب التسجيع الذي قعد له بقوله:

تسجيع منتظمي والغرُّ منْ حِكَمِي ألْفَاظُها بِفَمِي درٌّ مِنَ الحِكَمِ[2]

وقد تنضم هذه الرسالة إلى الوصف الإنشائي[3] الذي يبسط القول في مجموعة من الصفات التي تقدم صورة واضحة لما يقوم به القلم بوصفه أداة لتوصيل الأفكار بكل لغات العالم على اختلاف أنواعها وتوصيل الأفكار مهما اختلفت منازعها. ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا بأن مثل هذه الرسائل تعد كُتبًا مفتوحة لقراء العربية الراغبين في التعرف على ألوان البديع في حسن التركيب مع سلاسة في العبارة وقرب للمأخذ.

وهذه الرسالة كانت موضع تقليد ومعارضة من طرف كثير من الكتاب المتأخرين، وقد بين ذلك ابن معصوم؛ حيث قال: "وقد عارضها غير واحد من المتأخرين، فلم يأت لقرينة منها بقرين"[4]. ولعل الرسالة الموسومة بـ "نشوء اليراعة في براعة البلاغة"[5] لمحمد بن بدر الدين المنشئ، المتوفى سنة ١٠٠١هـ والمشار إليها آنفًا، أصدق شاهد على ما قلناه سابقًا.

## وصف المخطوطة:

### أ- عنوانها:

في نسختنا هذه جاء عنوان النص كالآتي: "رسالة في وصف القلم"، غير أن العنوان قد يكون من وضع النساخ. وأما العنوان الأصلي هو: الرسالة القلمية. والدليل على ذلك أن النص ذكر بنفس الاسم عند صاحب هدية العارفين حين سرد مؤلفات الدواني. والشيء الآخر أن النسخة التي تمت فهرستها ضمن مخطوطات الأدب في المكتبة الظاهرية جاء في نهايتها: " تمت الرسالة الموسومة بالرسالة القلمية". وعليه يكون هذا الاسم هو الراجح في الاعتماد عندنا، وليس ما جاء في الأصل. كما أن النهاية التي جاءت في أنوار الربيع تعطي عنوانًا آخر هو "الرسالة الرافلة" ولا يظهر من ذلك إلا التخبط في ذكر العناوين دونما تريث وتدبر. فالعنوان المتكرر في المصادر هو ما اعتمدناه، ونعتقد أنه هو الصحيح، وإن كان ورد في الأصل من دون تسمية ظاهرة.

---

(١) أنوار الربيع: ٢٦٣/٦

(٢) المصدر السابق: ٢٤٩/٦

(٣) فهرس مخطوطات الظاهرية، الأدب: ٢٦٤/١

(٤) المصدر السابق: ٣٦٨/٦

(٥) فهرس مخطوطات الظاهرية(مجاميع): ١٢٦/١، ١٢٥، من هذه النسخة في فهرس الأدب(الظاهرية): ٢٦٠/١، والمجموع موافق لما كتبته عنه في مجلة العرب. هناك عدة نصوص في وصف القلم.

## ب- وصف النسخة المعتمدة

بداية المخطوط هي قول مؤلفها: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ إن هذه تذكرة لقوم يعقلون يا من فاق في البراعة، سألتني عن وصف البراعة، فاستمع لما يتلى عليك...

أما نهايتها فجاءت على النحو الآتي: " ولم يركب بنانه القلم وهدى الحائرين إلى أقوم اللقم، بعد ما وقب غواسق الظلم.. ".

أما عدد أوراقها فيبلغ خمس ورقات من مجموع عدد أوراق المجموع كله. ليس بنهايتها ما يشير إلى ناسخ معين، ولا تاريخ نسخ معلوم، ولا مكان النسخ. والراجح أنها بنفس خط الناسخ الذي نعتقد أنه نسخ المجموع كله أو غالبه[1].

كما وقفنا على النص مطبوعًا ضمن كتاب أنوار الربيع لابن معصوم فجعلناه نصًا مساعدًا وقارنا بينه وبين المخطوطة الأصل. ثم أثبتنا الفروق الكثيرة التي وقفنا عليها. وقد لاحظنا نقصًا في بعض الأماكن من المطبوعة مما يجعلنا نعدها ناقصة عما في أصلنا، وقد أثبتنا ذلك في الهوامش التي صنعناها. إلا أن المطبوعة قد امتازت بنسبة المخطوطة لمؤلفها؛ حيث نعتقد أن الناسخ للمخطوطة قد فاته ذكر اسم المؤلف مما نعده من أخطاء النساخ وما أكثرها في تراثنا المخطوط. وقد جاء النص في الجزء: ٢٦٣/٦ من الكتاب المطبوع في سبعة أجزاء.

وقد وقفت على ذكر لنصنا هذا في فهرس الظاهرية، ونهايته هناك هو: "تمت الرسالة الموسومة بالرسالة القلمية".[2] وعدد ورقاته، ثلاث ورقات. من دون ذكر للناسخ، ولا مكان النسخ، ولا تاريخه.

## منهجي في التحقيق:

قرأت النص قراءة تحقيق وتمحيص، أسلمتني إلى شرح ما يحتاجه من شرح وتوضيح للكلمات والجمل، ثم قمت بتخريج للآيات القرآنية والأبيات الشعرية، وقبل هذا وذاك كتبت مقدمة تحدثت فيها عن سيرة الكاتب اسمه ونسبه، شيوخه وتلامذته ومؤلفاته، بعدها تحدثت عن وصف القلم وما هو معلوم من تلك النصوص التي لها علاقة به. وأخيرًا وصفت النسخة الخطية المعتمدة في التحقيق مع مقارنة ما ورد بها مع النص المطبوع ضمن كتاب أنوار الربيع وأثبت الاختلافات الكثيرة في الهامش وأشرت إلى النقص البسيط الوارد في الكتاب مما هو موجود بنسختنا.

---

(١) انظر مجلة العرب، ج٢،١، س٤٤، رجب وشعبان١٣٢٩ هـ ، مقالنا تحت عنوان: من نوادر المخطوطات في مكتبة آل حبت. فقد وصفنا فيه مجموعًا من الخط العربي ضم نصنا المتحدث عنه.

(٢) فهرس مخطوطات الظاهرية، الأدب، ٢٦٤/١

## النص محققًا

﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ (١). إنَّ هَذِه تَذْكِرَةٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون. يَا مَنْ فَاقَ فِي البَرَاعَةِ سَأَلْتَنِي عَنْ وَصْفِ اليَرَاعَةِ(٢)، فَاسْتَمِعْ لِمَا يُتْلَى عَلَيكَ ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ ﴾(٣)، ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ (٤). إنَّهُ فَتًى مِنْ أَصْحَابِ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ(٥)، نَشَرَ لَهُ رَبُّهُ مِنْ رَحْمَته، وَهَيَّأَ لَهُ مَرْفِقًا(٦)، وَرَفَعَهُ إِلَيهِ بِخَطٍّ مُسْتَقِيمٍ(٧)، نَبِيٍّ بُعِثَ مِنْ سُرَّةِ البَطْحَاءِ(٨)، وَأُيِّدَ بِفَصَاحَةٍ أَبْكَمَتْ مَصَاقِعَ(٩) البُلَغَاءِ، كَلِيمٌ خُصَّ بِالطُّورِ وَالكِتَابِ المَسْطُورِ(١٠) وَالرَّقِ المَنْشُورِ، سَفِيرٌ بَلِيغٌ، بَشِيرٌ(١١) نَذِيرٌ، قَدْ جَاءَ بِالبَيِّنَاتِ وَالزَّبُورِ(١٢)، وَالكِتَابِ المُنِيرِ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِدْرَةِ الشَّرَفِ مُنْتَهَاه، وَمِنْ سَنَامِ المَعَالِي أَعْلاَهُ. يَنْتَمِي(١٣) فِي شَجَرَةِ النَّسَبِ إِلَى أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللهُ. ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾(١٤). يَقُولُ إِذَا بَرَزَ مِنْ

---

(١) القلم: الآية١

(٢) وهذا القسم الذي ذكر المؤلف جسَّده الشاعر أبو الفتح البستي بقوله:

**إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم ... وعدّوه ممّا يكسب المجد والكرم**

**كفى قلم الكتّاب مجداً ورفعةً ... مدى الدّهر أنّ اللـــه أقسم بالقلم**

انظر: التمثيل والمحاضرة: ص ٣٧

(٣) آل عمران: الآية ٤٤ ، هود: الآية ١٠٠ ، يوسف: الآية ١٠٢

(٤) الكهف: الآيتان٩و١٠

(٥) الرقيم: الدواة.

(٦) ومنه: ويهَيِّىءْ لَكُم من أَمرِكمْ مِرْفَقاً بالوَجْهينِ؛ أَي: ما تَرْتَفِقُون به. تاج العروس من جواهر القاموس (رفق)

(٧) في المطبوعة:" ورفع له بخط مستقيم".

(٨) سُرَّةُ اَلْبَطْحَاءِ: أي وسطها. وجاء في شرح نهج البلاغة: ص٢٠٣٨

"مِنْهَا فِي ذِكْرِ اَلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، اِخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ اَلْأَنْبِيَاءِ وَ مِشْكَاةِ اَلضِّيَاءِ وَ ذُؤَابَةِ اَلْعَلْيَاءِ وَ سُرَّةِ اَلْبَطْحَاءِ وَ مَصَابِيحِ اَلظُّلْمَةِ وَ يَنَابِيعِ اَلْحِكْمَةِ".

(٩) قال قتادةُ ، يقال: خطيبٌ مِصقَعٌ ، ومِسقَع. والجَمْعُ مَصاقِعُ .

قال قيس بنُ عاصِمِ المِنقَرِيُّ، رضي الله عنه:

**خُطَباءُ حينَ يقومُ قائلُنا ... بِيضُ الوُجوهِ مَصاقِعٌ لُسْن**

تاج العروس من جواهر القاموس (صقع)

(١٠) في الأصل" وكتاب مسطور" والتصحيح من المطبوعة.

(١١) كلمة "بشير" ساقطة من المطبوعة. وفي الأصل"سر بليغ" وأثبتنا ما في المطبوعة.

(١٢) في المطبوعة:" والزبر. وفي الأصل " وكتاب منير"

(١٣) في المطبوعة:"ينمي" بدل ما هنا.

(١٤) الأنبياء: الآية٨٦

بَطْنِ النُّونِ[1] وَشَرَعَ فِي الزَّبُورِ، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[2]، أَلِفٌ يُقَارِنُ نُونًا، إنْ شَدَدْتَ بِهِ أَنَّ[3]، وَإنْ لِنْتَ بِهِ اطْمَأَنَّ. عَالِمٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، عَلاَ كَعْبُهُ فِي الأَخْبَارِ، وَمَرَّ عَلَى سَائِرِ الكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ مِنَ الصُّحُفِ (وَالأَسْفَارِ)[4]، وَالأَسَنُّ ذُو القَرْنَينِ يَسِيرُ الشَّرْقَ وَالغَرْبَ فِي أَقْصَرِ سَاعَةٍ اسْتَوْلَى عَلَى الأَقَالِيمِ كُلِّهَا وَمَدَّ فِيهَا بَاعَهُ[5]، فَصِيحٌ جَزْلُ الكَلاَمِ لَكِنْ لاَ يَنْفَكُّ كَلاَمُهُ عَنِ الإِبْهَامِ[6]، إشْرَاقِيٌّ فِي طَرِيقِ التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ، لَكِنَّهُ مِنَ المَشَّائِينَ بِنَمِيمٍ[7]، مُسْتَقِيمُ القَامَةِ[8] بَادِيُ البَشْرَةِ، أَسْوَدُ الرَّأْسِ، نَاطِقٌ فَصِيحٌ، مَاشٍ عَلَى قَدَمِيهِ[9] وَلَكِنَّهُ لَيسَ مِنَ النَّاسِ، مِنْشَارِيُ[10] النَّبْضِ مَا بِهِ مِنْ وَرَمٍ، نَاحِلُ الجِسْمِ مَا عَلَيهِ مِنْ سَقَمٍ، أَرَى قَدَمَه، أَرَاقَ دَمَهُ[11]، وَلِسَانُهُ مَهْدُ عُدْمِه، كَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الرَّاحَةِ، وَزَاحَمَ بِالرُّكَبِ أَهْلَ الفَصَاحَةِ حَتَّى صَارَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ بَينَ الأَمَاثِلِ، وَيُذْعِنُ لِنَظْمِهِ وَنَثْرِهِ الأَفَاضِلُ. ذُو اللِّسَنَينِ[12] وَاللِّسَانَينِ[13] قَدْ هَدَى النَّجْدَينِ، وَحَوَى المَجْدَينِ، وَاقْتَحَمَ العَقَبَتَينِ[14]، وَجَمَعَ بَينَ العِلْمِ وَالعَينِ. مُهَنْدِسٌ يَنْقُشُ الخُطُوطَ عَلَى السُّطُوحِ لِلتَّعَالِيمِ. مُنَجِّمٌ يُصْلِحُ

---

(١) بَطْنِ النُّونِ ، وهو الحوتُ.

(٢) البقرة: الآية ٢٥٦

(٣) "أَنَّ" هنا من فعل: أَنَّ، يَئِنُّ، أنِينًا: صوت

(٤) زيادة من المطبوعة.

(٥) أي أظهر فوته.

(٦) في المطبوعة" الالهام" بدل ما هنا.

(٧) أي الذين يمشون بالنميمة. وفي تفسير عبدالرزاق الصنعاني: ٣/ ٣٣١
"عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الْكَلْبِيِّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ قَالَ: هُوَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ أَصْلُهُ مِنْ ثَقِيفٍ , وَعِدَادُهُ فِي بَنِي زُهْرَةَ".

(٨) ناقص من المطبوعة.

(٩) في الأصل "قدمه" والتصحيح من المطبوعة.

(١٠) في المطبوعة: "نشازي".

(١١) وكأنه أخذ هذا المعنى من قول أبي الفتح البستي:

**إلى حَتْفِي مشَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي**

انظر أنوار الربيع: ١/١٢٩

(١٢) ذو اللِّسانين: المنافق والمرائي، المخادع، الغشّاش، مزدوج التعامل. معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/ ٢٠٠٩.
القلم أحد اللسانين، والخال أحد الأبوين. المساعد:١/٣٩

(١٣) في المطبوعة: " وذو البيانين". بدل ما هنا.

(١٤) في التحرير والتنوير: ١١/ ١٧ " وَالسَّابِقُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ هُمُ الَّذِينَ سَبَقُوا قَوْمَهُمْ بِالْإِيمَانِ، وَهُمْ أَهْلُ الْعَقَبَتَيْنِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ".

الزِّيجَاتِ[١] والتَّقاوِيمِ، يَنْقُشُ[٢] بِالأَصَابِعِ ظِلَّ الأَقْدَامِ، وَيُرَقِّمُ عَلَى الرُّخَامَاتِ دَقَائِقَ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، لاَ يَأْبَى السَّلاَطِينُ مَا رَسَمَه، ولاَ يَتَجَاوَزُ الأَسَاطِينُ عِمَادَتَهُ[٣]، أَعْجَمِيٌ[٤] يَعْرِفُ اللُّغَاتِ كُلَّهَا، أَدْهَمُ قَدْ وَطِئَ المَقَامَاتِ جُلَّهَا، يَقُولُ حِينَ يَبْرُزُ فِي نَادِي البَيَانِ: عِنْدَ الامْتِحَانْ يُكْرَمُ المَرْءُ أَوْ يُهَانْ[٥]. صُوفِيٌّ إِذَا[٦] قَطَعَ المَنَازِلَ وَبَلَغَ النِّهَايَاتِ رَجَعَ[٧] القَهْقَرَى لِتَصْحِيحِ البِدَايَاتِ. إِنْ لَمْ يُقْطَعْ لِسَانُه لَمْ يُفْصِحْ بَيَانُه، وَإِنْ لَمْ يُشَقَّ رَأْسُهُ[٨] لَمْ يَنْطِقْ لِسَانُهُ. عَرَبِيٌّ وَاسِطِيٌّ، أَصْلُهُ هِنْدِيٌّ زَنْجِيٌّ[٩]، نَسْلُهُ طُوطِيٌّ[١٠]. أَسْوَدُ المِنْقَارِ كُلُّ مِنْقَارِهِ مِنْ قَارٍ[١١]. ذُو ذُؤَابَةٍ[١٢]، يَعْلَمُ مِنْ مَسِيرِهِ حُلُولَ الآجَالِ، وَيُفْهَمُ مِنْ ظُهُورِهِ انْتِقَالَ الدُّوَلِ[١٣] وَتَدَاوُلَ الإِقْبَالْ، وَتَحَوُّلَ الأَحْوَالْ. أَحْرَزَ قَصَبَ[١٤] السَّبْقِ فِي مِضْمَارِ البَيَانْ حَتَّى صَارَ بِحَيْثُ يُشِيرُ إِلَيْهِ المَهَرَةُ فِي ذَلِكَ الفَنِّ بِالبَنَانْ، كَأَنَّهُ عَصَا مُوسَى قَدْ[١٥] أُلْقِيَتْ

---

(١) " الزايدجات "هذا ما ورد في المخطوطة. والتصحيح من المطبوعة. والمقصود الزِّيجات في الحساب: وهو: الجداول الفلكية، وأشهر الزيجات العربية (زيج الصابي) للبتاني، و (الزيج الكبير الحاكمي) لابن يونس، و (الزيج الشاهي) للطوسي، و (زيج الخوارزمي) و (الزيج الشامل) لأبي الوفاء. وغيرها- انظر الموسوعة العربية: ٢/ ٩٣٧.

(٢) في المطبوعة: "ينقص" بدل ما هنا.

(٣) في المطبوعة: " عما رقمه" بدل ما هنا.

(٤) في المطبوعة: " أعجم " بدل ما هنا.

(٥) انظر الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية: ص ٦١، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/ ٢٠٧٣، وهو مثل يُضرب في الحثّ على الاستعداد للامتحان، أو التَّعبير عن التّحدي لمن يُكثر مدح نفسه.

(٦) "إذا" ناقصة من المطبوعة.

(٧) في المطبوعة: " ورجع" بدل ما هنا.

(٨) في المطبوعة: " سنانه" بدل ما هنا. ولعلها أجود مما في الأصل.

(٩) وردت هذه النسبة في شعر السَّريّ الرَّفَّاء الموصلي حيث قال:

**كلُّ زَنْجِيَّة كأَنَّ سَوادَ الْـ ... ...لَيْل أَهْدى لها سَوادَ الإِهَابِ**

(١٠) وقفت على ملك تركي يدعى طوطى بك لعل هذه النسبة إليه. انظر آثار البلاد وأخبار العباد: ص٢٤٢

(١١) القار: الزفت. قال النابغة:

**فَلاَ تترُكَنِّي بالوَعِيدِ كأنَّني إلى الناسِ مَطْلِيٌّ بِهِ القارُ أجربُ**

الديوان: ص ٧٣

(١٢) في الأصل " ذو أذوابة ". وهو تحريف. والصحيح ما أثبتناه.

(١٣) في المطبوعة: " الدولة" بدل ما هنا.

(١٤) في المطبوعة: " قصبات " بدل ما هنا.

(١٥) في المطبوعة: " وقد " بدل ما هنا.

فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى. أَبُو قَلَمُونَ[1] يَتَقَلَّبُ فِي الأَطْوَارِ وَيَتَحَوَّلُ مِنْ شِعَارٍ إِلَى شِعَارٍ[2]، طَوْرًا تَرَاهُ[3] يَنْظُمُ القَوَافِي وَالأَشْعَارَ، وَتَارَةً (تَلْقَاهُ)[4] يَنْثُرُ لآلِئَ الحِكَمِ وَالأَسْرَارِ. (سَاعَةً) تُبْصِرُهُ أَنِيسُ الأَعْلامِ ذَوِي البَرَاعَةِ، وَكَرَّةً تُصَادِفُهُ سَمِيرَ أَهْلِ المُجُونِ وَالخَلاعَةِ، سَحَّارٌ يَأْتِي بِالغَرَائِبِ، مَكَّارٌ يُرِي النَّاظِرِينَ العَجَائِبَ، يَبُثُّ فِي سَمَاءٍ مُشْرِقَةٍ كَوَاكِبَ مُظْلِمَه، وَيَنْثُرُ عَلَى صَفْحَةِ النَّهَارِ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُدْلَهِمَّةً[5]، كَاتِبٌ شَهِيدٌ، حَاسِبٌ عَتِيدٌ[6]. تَجَرَّعَ مَرَارَةَ مَذَاقِ الكَدِّ حَتَّى تَضَلَّعَ مِنْ فُنُونِ العُلُومِ، وَتَحَمَّلَ الصَّبْرَ عَلَى اسْتِنْشَاقِ دُخَانِ السِّرَاجِ[7] حَتَّى بَرَعَ بَيْنَ الفُضَلاءِ ذَوِي الفُهُومِ[8]. لا يَزَالُ رَطْبَ اللِّسَانِ فِي شُكْرِ بَارِيهِ، عَذْبَ البَيَانِ فِي ذِكْرِ أَيَادِيهِ[9]، مُحَدِّثٌ يُؤْثَرُ[10] عَنْهُ الآثَارُ، وَيُنْقَلُ عَنْهُ الأَخْبَارُ فِي الأَقْطَارِ، بَازِيٌّ يَمْتَطِي أَيْدِي الصَّنَادِيدِ[11] الصَّيدِ، لا يَطِيرُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَصِيدُ. لَهُ إِشَارَةٌ مُبْهَمَةٌ وَعِبَارَةٌ مُفْهِمَةٌ. انْقَطَعَ عَنْ عِتْرَتِهِ[12] لِطَلَبِ الكَمَالِ، حَتَّى بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ، وَنَالَ مِنَ الشَّرَفِ مَا نَالَ. وَلَقَدْ حُقَّ أَنْ يُنْشَدَ فِيهِ قَوْلُ مَنْ قَالَ[13]: (الكامل)

وَرِثَ النَّجَابَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ    كَالرُّمْحِ أُنْبُوبًا عَلَى أُنْبُوبِ(14)

حَكِيمٌ يَطْوِي[15] إِشَارَاتِهِ عَلَى تَلْوِيحَاتٍ إِلَى قَانُونِ الشِّفَاءِ[16]، وَيَحْتَوِي[17] تَعْلِيقَاتِهِ عَلَى تَنْبِيهَاتٍ

---

(1) أبو قَلَمُون طائر من طير الماء يُتراءى بألوان شَتَّى فشُبِّه الثوبُ به. لسان العرب: (قلم).

(2) و " شِعَار القَوْم في الحَرْب " بالكسر. و " الشِّعارُ " ما وَلِيَ الجِلْدَ من الثياب بالكسر أيضاً. و " أرض كثيرة الشَّعارِ " أي: كثيرة الشجر، بفتح الشين. أدب الكتاب لابن قتيبة: ص: ٦٧

(3) " تراه " ناقصة من المطبوعة.

(4) زيادة من المطبوعة.

(5) مُدْلَهِمَّة: أي مُظْلِمة. وفي المطبوعة: " معتمة ". والمعنى واحد.

(6) عتد: العَتِيدُ الحاضِرُ المُهَيَّأُ. وقولُه تعالى: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ قيل: حاضِرٌ ، وقيل: قَرِيبٌ. تاج العروس: (عتد).

(7) السراج: المصباح.

(8) من الفهم وهو الفطنة والذكاء، وحسن النظر، ودقة الدراية. والفهوم: قد يقصد بها المذاهب، فيكون المقصود هنا أن القلم قد صاحب أرباب الفكر والتبصر بالأمور حتى جعلهم مذاهب شتى يضربون في كل فن ومذهب.

(9) في المطبوعة: بذكر باريه" بدل ما هنا.

(10) في المطبوعة: تحدث" بدل ما هنا.

(11) صنديد من الصناديد: وهو السيد الضخم. أساس البلاغة: (صند) وجاء الوصف عند المحبي في وصف أمير: " وخضعت الصناديد الصيد لعتبة عزه الملكية. وشدت فحول الرجال، نحو سدته الرحال، وكحلت بتراه أعينها بلا منة الكحل والكحال. وأصبح للآمال ركناً ركيناً، وكهفاً تأوي إليه العفاة مسكيناً" انظر نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: ٤/ ٢٤١

(12) في المطبوعة: "عبرته" تصحيف.

(13) في المطبوعة: "فحقّ أن ينشد فيه" بدل ما هنا.

(14) من دون عزو في زهر الأكم في الأمثال و الحكم: ص ١٠٦

(15) في المطبوعة: " تنطوي" بدل ما هنا. وهي صحيحة.

(16) وفي الأصل: "الشفا".

(17) في المطبوعة: " تحتوي" بدل ما هنا.

رسالة في وصف القلم جلال الدين الدواني المتوفى سنة ٩١٨هـ

إِلَى مَنَاهِجِ النَّجَاةِ عَنْ دَرَكِ الجَهْلِ وَالشَّقاءْ. لَهُ مَوَاقِفُ يُحَقِّقُ فِيهَا مَقَاصِدَ الكَلاَمِ وَعَوَارِفَ مَعَارِفِ[1] يُفِيضُهَا عَلَى طَبَقَاتِ الأَنَامِ مِنَ الخَوَاصِ وَالعَوَامْ، وَمَبَاحِثُ يَكْشِفُ فِيهَا عَنْ وُجُوهِ خَرَائِدِ[2] الفَرَائِدِ[3] اللِّثَامْ. تَقْرِضُ[4] ذَاتَ الشِّمَالِ[5]، وهو مِنْ أَصْحَابِ[6] اليَمِينْ، وَيَصْدُقُ فِي أَكْثَرِ الأَقْوَالِ لَكِنَّهُ قَدْ يَمِينُ[7]. لاَ تَنْتَظِمُ[8] مَصَالِحُ الأَنَامِ إِلاَّ بِحُسْنِ مَسَاعِيهِ، وَلاَ تَنْضَبِطُ حَوَادِثُ الأَيَّامِ إِلاَّ بِيُمْنِ مَرَاعِيهِ. أَجْوَفُ هُوَ[9] مَصْدَرُ المِثَالِ، مَهْمُوزٌ سَالِمٌ مِنَ الاعْتِلاَلِ، لَفِيفٌ مَفْرُوقٌ مِنْ إِخْوَانِهِ مَقْرُونٌ بِأَقْرَانِه، خَفِيفٌ[10] نَاقِصٌ مِنْ أَوْزَانِهِ. أَصْلٌ وَاحِدٌ تَصْدُرُ[11] عَنْهُ الأَمْثِلَةُ المُخْتَلِفَةُ لِمَعَانٍ مَقْصُودَةٍ لاَ تَحْصُلُ إِلاَّ بِهَا[12]. نَصْلٌ[13] شَاحِذٌ[14] لاَ يُصَابُ غَرَضُ المَطَالِبِ وَالمَآدِبِ إِلاَّ بِنَابِهَا[15]. نَمُومٌ[16] يَسْعَى

---

(١) في المطبوعة نقص لعدة كلمات.

(٢) الخَريدَةُ من النساء: الحَيِيَّةُ؛ والجمع خَرائد وخُرُدٌ. وربما قالوا جارية خَرودٌ: أي خَفِرَةٌ. ابن الأعرابي: لُؤْلُؤَةٌ خَريدةٌ: لم تُثقَبْ. قال: وكلُّ عذراءَ خريدةٌ. الصحاح في اللغة: (خرد)

(٣) الفرائد: جمع الفريدة وهي الدرة الكبيرة وفرائد الدر كبارها. انظر دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: ٣/ ٢١

(٤) في المطبوعة: " يعرض" بدل ما هنا.

(٥) أخذه من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ ﴾ الكهف: الآية ١٧

(٦) في المطبوعة: " أهل" بدل ما هنا.

(٧) يقصد الكذب، فالمين الكذب، وجاءت مترادفاته كالآتي: المين، والزور، والتخرص، والإفك، والباطل، والخطل، والعند، والتزيد، واللغو، والانتحال، والولع، والبهت، وفجر، ووكع. انظر الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة: ص: ١٢٨

وقال عديُّ بن زيد:

**فَقَدَّمَتِ الأديمَ لِراهِشَيْهِ وأَلفى قولها كذباً ومَيْنا**

(٨) في المطبوعة: " تنظم" بدل ما هنا.

(٩) في المطبوعة: " وهو" بدل ما هنا.

(١٠) يقصد بحر الخفيف، وهو من دائرة المجتلب، مع السريع، والمنسرح، والمضارع، والمقتضب، والمجتث.

(١١) في الأصل: " يصدر" خطأ. والتصحيح من المطبوعة.

(١٢) في المطبوعة: " به" بدل ما هنا.

(١٣) النصل: حديدة السيف ونحوه من الأسلحة.

(١٤) في المطبوعة: " شاهد" بدل ما هنا. وهو تحريف.

وشحَذ السِّكِّينَ ونحوَه: أحدَّ سِنانَه بالمِسَنّ وغيره "شحَذ فأسًا- سيف شحيذ" المِحن تشحذ الهِمَم: تُنشِّطها وتقوّيها. انظر معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/ ١١٧٠

(١٥) في المطبوعة: " بنابه" بدل ما هنا.

(١٦) نَمومٌ من النَّمّ: التَّوْريشُ والإغراء ورَفْعُ الحديثِ إشاعَةً له وإفساداً وتَزْيينُ الكلام بالكَذب، يَنِمُّ ويَنُمُّ فهو نَمومٌ ونَمَّامٌ. القاموس المحيط (نمم).

فِي هَتْكِ الأَسْتَارِ، غَشُومٌ[1] تعوّد[2] كَشْفَ الأَسْرَارِ، بغِيٌّ[3] لاَ يَزَالُ (مُولَعًا)[4] فِي افْتِضَاضِ أَبْكَارِ بَنَاتِ الأَفْكَارِ.

خَضِرٌ خَاضَ فِي الظُّلُمَاتِ حَتَّى ارْتَوَى مِنْ مَاءِ الحَيَاةِ، مُسْتَوْفٍ قَدْ أَحَاطَ بِأَبْوَابِ[5] خَوَاصِلِ الأَقَالِيمِ جَمْعًا وَخَرْجًا، وَزِيرٌ قَدْ نَظَّمَ غَوَامِضَ أُمُورِ المَمَالِكِ هَرَجًا وَمَرَجًا[6]، مُشِيرُ ذَوِي النُّهَى[7] فِي النَّوَائِبِ، وَمُؤَانِسِهِم[8]:( مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ)[9]، رَشِيقُ القَدِّ، أَسِيلُ الخَدِّ[10]، أَلِيفُ الكَدِّ، طَوِيلُ المَدِّ، قَدْ جَاوَزَتْ[11] شَمَائِلُهُ حَدَّ العَدِّ، أَلِفٌ مَمْدُودٌ، لاَ يَمْنَعُ الصَّرْفَ. سَالِكٌ مُرْتَاضٌ[12] لَكِنْ يَعْبُدُ البَارِي عَلَى حَرْفٍ. تَعَمَّمَ بِشِعَارِ آلِ العَبَّاسِ[13]، وَأَقَامَ أَمْرَ

---

(١) الغشوم: الذي يخبط الناس ويأخذ كلَّ ما قدر عليه، والأصل في هذا من غشم الحاطب: وهو أن يحتطب ليلاً فيقطع كل ما قدر عليه بلا نظر ولا فكر. ومن كلام الناس: رجل ظَلومٌ غَشومٌ. الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/ ٢٧.

(٢) في المطبوعة: "نفوذ". بدل ما هنا.

(٣) في المطبوعة: "نفي". بدل ما هنا.

(٤) زيادة من المطبوعة.

(٥) في المطبوعة: "أبواب". بدل ما هنا.

(٦) قال الأخفش: ويقول قوم: أَمْرَجَ البَحْرَين مثل مَرَجَ، فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنًى. والمَرَجُ بالتحريك: مصدر قولك مَرِجَ الخاتَمُ في إصبعي بالكسر، أي قَلِقَ، مثل جرج. ومَرِجَتْ أماناتُ الناس أيضاً: فَسَدَتْ. ومَرِجَ الدين والأمرُ: اختلط واضطرب. قال أبو دُوَاد: (دراسات: ص٣٠٤)

**مَرِجَ الدينُ فأعْدَدْتُ له مُشْرِفَ الحارِكِ مَحْبوكَ الكَتَدْ**

ومنه الهَرْجُ والمَرْجُ. يقال: إنما يُسَكَّنُ المَرْجُ لأجل الهَرْج ازدواجاً للكلام. وأمر مَرِيجٌ، أي مختلط. وأَمْرَجَتِ الناقةُ: أَلْقَتْ وَلَدَها بعد ما يصير غِرْساً ودَماً. ومارِجٌ من نار: نارٌ لا دُخان لها خُلِقَ منها الجانُّ. والمَرْجان: صغار اللؤلؤ. الصحاح في اللغة: ٢/ ١٦٥

(٧) النُّهى: مقصور بضمِّ أوله جمع نهية يقال إنّه لذو نهية أي ينتهي إلى أمره ورأيه. والنهاء: بضمِّ أوله والمدّ الزجاج. المقصور والممدود لابن ولاد: ص ١٢٣

(٨) في المطبوعة: "مؤنسهم". بدل ما هنا.

(٩) المجادلة: الآية٧

(١٠) ورجلٌ أسيلُ الخدِّ، إذا كان ليِّن الخدّ طويلَه. الصحاح في اللغة: (أسل)

(١١) في الأصل: "جاوز". خطأ.

(١٢) ارتاضَ/ ارتاضَ لـ يرتاض، ارْتَضْ، ارتياضًا، فهو مُرتاض، والمفعول مرتاض له. وارتاض المهرُ: مُطاوع راضَ: ذلَّ. انظر معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/ ٩٥٩

(١٣) أما بنو العباس فشعارهم السواد، وقد اختلف في سبب اختيارهم السواد فذكر القاضي الماوردي في كتابه الحاوي الكبير في الفقه أن السبب في ذلك أن النبي في يوم حنين ويوم الفتح عقد لعمه العباس رضي الله عنه راية سوداء.

وحكى أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل أن سبب ذلك أن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية حين أراد قتل إبراهيم بن محمد العباسي أول القائمين من بني العباس بطلب الخلافة قال لشيعته: لا يهولنكم قتلي فإذا تمكنتم من أمركم فاستخلفوا عليكم أبا العباس يعني السفاح، فلما قتله مروان لبس شيعته عليه السواد، فلزمهم ذلك وصار شعارًا لهم. انظر صبح الأعشى: ٣/ ٢٩٢

النَّجَدَةِ وَالبَاسْ[1]، فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسْ:(الوافر)

**أَنَــا ابْــنُ جَــلَا وطَــلَّاعُ الـثَّـنَـايَـا      مَـتَـى أضَـعِ الـعِـمَـامَـةَ تَـعـرِفُـونـي[2]**

أَخْرَقُ لاَ يَحْفَظُ السِّرَّ فِي قَلْبِهِ[3]، لاَ فَرْقَ فِي لُغَةِ العَجَمِ بَينَ اسْمِهِ وَقَلْبِه، لَهُ أَسْمَـاءٌ فِي (لُغَةِ)[4] العَرَبِ. تَقَالِيبُهَا كُلُّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ وَذَلِكَ مِنْ خِصَالِهِ التِي قَلَّمَا يَتَّفِقُ الشَّرِيكُ فِيهَا، لَهُ آلَةٌ تَعْصِمُ مُرَاعَاتُهَا الذِّهْنَ عَنِ الخَطَأ وَالنِّسْيَانْ، تَنُوبُ عَنِ اللِّسَانِ فِي البَيَانْ وَعَنِ السِّنَانِ المُحَدَّدِ بِالسِّنَانْ، إِذْ هُوَ فِي[5] البَنَانْ، هُوَ مُلْكُ اليَمِينِ لَكِنَّهُ يَسْتَكْتِبْ، فَإِذَا أَدَّى نُجُومَ الكِتَابَةِ خَلَّى سَبِيلَهُ أَيْنَ يَذْهَبْ؟. نَسْخٌ، مُحَقَّقْ[6]، تَوْقِيعَاتُهُ عَلَى الرِّقَاعِ أَدْرَاجَ اليَاقُوتْ، قَدْ قَرَّ[7] بِرَيْحَانِ[8] أَرْقَامِهِ عُيُونَ ابْنِ مُقْلَه[9] وَيَاقُوتْ[10]. شَكْلُهُ أُسْطُوَانِيٌّ، وهو مَخْرُوطٌ شَابٌّ مُتَرَعْرِعٌ لَكِنَّهُ مَخْطُوطٌ[11]. يُحِبُّهُ النَّاسُ وَيُرَاوِدُونَه، لَكِنْ إِذَا ظَهَرَ

---

(١) يقصد به أهل القوة والبأس من الأشداء في حالة الحرب والسلم.

(٢) الأصمعيات: ص ٣٢

(٣) أي أنه أخرق: لا يُحسن صنعته، ولا يشتد في كتم السر في قلبه. فيبوح به سريعًا على شكل كتابة على الورق والصحف الكثيرة.

(٤) زيادة من المطبوعة.

(٥) في المطبوعة: " إذا رقي البنان" . بدل ما هنا.

(٦) يقصد قلم المحقق الذي ابتكره الخطاط البارع قطبة المحرر، وسمي هذا الخط بجلي الثلث، وقد وصل درجة من الرقي على عهد ياقوت المستعصمي. وهو شبيه بقلم الثلث بطمسه وترويسه وتدويره. انظر الخط العربي تاريخه وحاضره: ص٨٨

(٧) في المطبوعة: " أقر" . بدل ما هنا.

(٨) يقصد به الخط الريحاني وهو خط يشبه الخط الديواني ولكن حروفه متشابكة ومتداخلة. انظر معجم المخطوط العربي: ص١٤٩

(٩) هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، أبو علي: وزير، من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل. ولد في بغداد سنة ٢٧٢ هـ ، وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس. ثم استوزره المقتدر العباسي سنة ٣١٦هـ ولم يلبث أن غضب عليه فصادره ونفاه إلى فارس سنة ٣١٨ هـ واستوزره القاهر بالله سنة ٣٢٠ هـ فجيئ به من بلاد فارس، فلم يكد يتولى الأعمال حتى اتهمه القاهر بالمؤامرة على قتله، فاختبأ سنة ٣٢١ هـ ، واستوزره الراضي بالله سنة ٣٢٢ ثم نقم عليه سنة ٣٢٤ هـ فسجنه مدة، وأخلى سبيله. ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به، فقطع لسانه سنة ٣٢٦ هـ وسجنه، فلحقه في حبسه شقاء شديد حتى كان يستقي الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفمه. ومات في سجنه. قال الثعالبي: من عجائبه أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات، لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمره ثلاث سفرات اثنتان في النفي إلى شيراز والثالثة إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاث مرات. توفي سنة ٣٢٨ هـ. انظر الأعلام للزركلي: ٦/ ٢٧٣

(١٠) هو ياقوت بن عبد الله المستعصمي الرومي، جمال الدين: كاتب، أديب، له شعر رقيق، اشتهر بحسن الخط. من موالي الخليفة المستعصم بالله العباسي. من أهل بغداد. أخذ عنه " الخط " كثيرون. وصنف كتبا عدة. انظر الأعلام للزركلي: ٨/ ١٣١

(١١) في المطبوعة: " محظوظ" تصحيف.

الشَّعرُ علَى عِذارِه[١] طَوَوْا الكَشْحَ[٢] دُونَهُ. مُسافِرٌ يُسْفِرُ عَنْ أَخْبارِ المَشارِقِ والمَغارِبِ، عارِفٌ، مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الأَذْوَاقِ والمَشَارِبِ، لِسانُهُ نَضْناضٌ[٣]، وبَيَاضُهُ فَضْفاضٌ، وحُكْمُهُ مَاضٍ فِي السَّوادِ والبَيَاضِ، يَقْضِي فِيهِمَا مَا هُوَ قاضٍ. جارِيَةٌ[٤] تَجْرِي فِي البَحْرِ بِإِذْنِ البَارِي، فَيَأْتِي[٥] بِدُرَرِ مَعانٍ، كَأَنَّهُ غُرَرُ الدَّرَارِي[٦]. ولَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ فِي وَصْفِهِ مُلْغِزًا ولِبَعْضِ أَوْصافِهِ (العَرِيبَةِ)[٧] مُبْرِزًا.

شعر :(السريع)

وَمَا غُلامٌ رَاكِعٌ سَاجِدٌ ... أَخُو نُحُولٍ دَمْعُهُ جَارِ

مُلازِمُ الخَمْسِ فِي وَقْتِهَا ... مُعْتَكِفٌ فِي خِدْمَةِ البَارِي[٨]

كَأَنَّه، وهو فِي يَدِ السُّلْطَانِ بْنِ السُّلْطَانِ أَبِي المُظَفَّرِ يَعْقُوبَ خَانْ قَصبُ السُّكَّرِ وقَدْ نَبَتَ عَلَى سَاحِلِ عُمَانْ، عُمَانْ[٩] عَمَّ الوَرَى نَائِلُه، وَيُوْدِي[١٠] السَّائِلِينَ سَاحِلُه، كَلاَّ إِنَّ نَوالَ البَحْرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى فَيضِ كَفِّهِ نَزْرٌ، ولَيْسَ لَهُ قَدْرٌ، وكَيْفَ لاَ؟ ولَهُ مَدٌّ يَعْقُبُهُ جَزْرٌ. {قال الشاعر}[١١] (البسيط)

فَلَنْ أُشَبِّهَهُ بِالبَحْرِ إِنَّ لَهُ ... مَدًّا يُعَاقِبُهُ جَزْرًا بِأَرْجَاءِ[١٢]

أَوْ هُوَ - والحَالَةُ هَذِهِ - خَطٌّ تَخَيَّلَ فِي نَوَاظِرِ[١٣] الأَوْهَامِ مِنْ قَطْرَةٍ نَازِلَةٍ مِنْ غَمَامٍ، غَمَامٌ وأَيُّ غَمَامٍ، غَمَامٌ يَدُرُّ نَوالُهُ عَلَى طَوَائِفِ الأَنَامِ مِنَ الخَوَاصِّ والعَوَامِّ، ويَغْمُرُ[١٤] مِنَحُه الجِسَامُ رِيَاضَ آمَالِ

(١) العِذار: استواء شعر الغلام، يقال: ما أَحْسَنَ عِذَارَه أي خط لحيته، والعِذاران: جانبا اللحية. والعذاران من الفَرَسِ كالعارضين من وجه الإنسان. لسان العرب: ( عذر).

(٢) الكشح: منقطع الأضلاع، والجمع كشوح. القاموس: (كشح).

(٣) النَّضْنَضَةُ: تحريك الحيَّةِ لسانَها. ويقال للحيَّة: نَضْناضٌ ونَضْناضَةٌ. قال عيسى بن عمر: سألتُ ذا الرمّة عن النَّضْناضِ، فلم يزدْني أن حرَّكَ لسانَه في فيه. الصحاح في اللغة (نضنض).

(٤) الجارية هنا: السفينة.

(٥) في المطبوعة: " فتأتي" . بدل ما هنا.

(٦) الدَّرارِي اللواتي يَدْرَأْن عليك من مَطالِعِها وكوكَبٌ دُرِّيٌّ من ذلك وقد دَرَأَ دُرُوأً وقيل هو الذي يَدْرأُ من المشرق إلى المغرب وهو مُضِيئُه ومَدُّه. المخصص ـ لابن سيده (باب الدراري)

(٧) هذه الكلمة إضافة من المطبوعة.

(٨) لموفق الدين علي بن الجزار في الكشكول: ١/ ١١٢ ، بدون عزو في أنوار الربيع: ٤١/٦ مع اختلاف في الرواية. وصبح الأعشى: ٣/ ٤١ من دون عزو وبرواية مغايرة لما هنا. وقد علق القلقشندي على الخمس الموجودة في البيت الأخير بقوله: " يريد بالخمس: الأصابع الخمس ، فإنه على سبيل المجاز من باب مجاز المجاورة".

(٩) خارج من المطبوعة.

(١٠) في المطبوعة: " وآوى" . ولعله أضبط مما هو في الأصل.

(١١) زيادة يقتضيها السياق.

(١٢) لم أقف على قائله في المراجع التي رجعت إليها.

(١٣) في المطبوعة "(نواطر)" بدل ما هنا.

(١٤) في المطبوعة: " وتغمر" . بدل ما هنا.

أَفَاضِلِ(1) الأَعْلَامِ بِكُلِّ مَقَامٍ. بَلْ أَيْنَ جُودُ الغَمَامِ مِنْ جُودِهِ العَمِيمِ؟ أَمْ أَيْنَ مِدْرَارُهُ(2) مِنْ إِدْرَارِ كَرَمِهِ الجَسِيمِ؟ شعر: (الخفيف)

**مَا نَوالُ الغَمَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ ... كَنَوالِ الأَمِيرِ وَقْتَ سَخَاء**

**فَنَوالُ الأَمِيرِ بَدْرَةُ عَيْنٍ ... وَنَوالُ الغَمَامِ قَطْرَةُ مَاء(3)**

اللَّهُمَّ خَلِّدْ نَفَاذَ أَرْقَامِ أَقْلَامِ خُدَّامِهِ عَلَى صَفَحَاتِ الأَقَالِيمِ مَا دَامَ القَلَمُ الأَعْلَى، وَأَيِّدْ(4) أَمْدَادَ أَعْوَانِ دَوْلَتِه، وَامْتِدَادَ زَمَانِ شَوْكَتِهِ مَا دَامَتْ نُقُوشُ الأَنْقَاشِ(5) فِي صَفَائِحِ القِرْطَاسِ تُتْلَى، وَمَآثِرِ آثَارِ السَّلَاطِينِ الكِبَارِ عَلَى صَفَحَاتِ الأَدْوَارِ(6) تُرْوَى. بِحَقِّ مَنْ نَسَخَ الكُتُبَ السَّالِفَةَ، وَلَمْ يَرْكَبْ بَنَانُهُ القَلَمَ، وَهَدَى الحَائِرِينَ إِلَى أَقْوَامِ اللُّقَمِ، بَعْدَ مَا وَقَبَ(7) غواسِقَ(8) الظُّلَمِ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

نَجَزَتِ الرِّسَالَةُ المُبَارَكَةُ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى وَعَوْنِهِ.(9)

---

(1) في المطبوعة: " الأفاضل" . بدل ما هنا.

(2) يقال: ديمةٌ مِدرارٌ، إذا كانت ديمةً غزيرة. قال جرير:

**أمسَتْ زيارتُنا عليكِ بعيدةً ... فسقى ديارك ديمةٌ مِدرارُ**

المذكر والمؤنث: ٢/ ٩٨

(3) البيتان لرشيد الدين الوطواط في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: ٢/ ٣٠٠، من دون عزو في جواهر الأدب: ٢/ ٦٢، وشرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: ص١٦٧وما بعدها، وأنوار الربيع: ٢٥٩/٤، والإيضاح في علوم البلاغة ص: ٣٣٤، وفي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٢/ ١١١، " وفيها توفي حماد بن منصور البزاعي الحلبي ويعرف بالخراط. كان أديباً شاعراً فصيحاً. ومن شعره في كريم". ثم ذكر البيتين. والبيتان فيهما التفريق:" وهو أن يقصد الشاعر إلى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تبيانا". انظر شرح الكافية: ص١٦٧، وفيه: "يوم" بدل ما هنا. وفيه أيضًا: "تبر". بدل ما هنا.

(4) في المطبوعة: " ونفذ" بدل ما هنا.

(5)- في الأصل: "دام" خطأ. وفيها: " الأنفاش" تصحيف.

(6) في المطبوعة: " الأوراق" . بدل ما هنا.

(7) ووقَبَ الشيء يَقِبُ وَقوباً، أي دخل. تقول: وَقَبَتِ الشمسُ، إذا غابت ودخلت موضعها. ووقَبَ الظلامُ: دخلَ على الناس. ومنه قوله تعالى: " ومن شَرِّ غاسقٍ إذا وَقَب " . قال الحسن: إذا دخلَ على الناس. وأوقبت الشيء، إذا أدخلته في الوَقْبَةِ. وأَوْقَبَ القومُ: أي جاءوا. والوقيب: صوتُ قُنْبِ الفرس. الصحاح في اللغة: ٢/ ٢٨٨

(8) الغَسَقُ: أول ظلمة الليل. وقد غسَق الليل يَغْسِقُ؛ أي أظلم. والغاسقُ: الليلُ إذا غاب الشفق. وقوله تعالى: " ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ قال الحسن: الليل إذا دخل، ويقال إنه القمر. وغَسَقَتْ عينه غَسْقاً: أظلمت. وغَسَقَ الجرح غَسَقاناً، إذا سال منه ماء أصفر. وأغْسَقَ المؤذن، أي أَخَّر المغرب إلى غَسَقِ الليل. والغَسَّاقُ: البارد المنْتِنُ، يخفف، ويشدد. الصحاح في اللغة: ٢/ ١٩

(9) وجاءت نهاية الرسالة في المطبوعة على النحو الآتي:" انتهت الرسالة الرافلة من حلل البلاغة في غلالة".

## _ المصادر والمراجع

- آثار البلاد وأخبار العباد

آتيف: زكريا بن محمد بن محمود القزويني

- أدب الكتّاب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى: ٢٧٦ هـ

شرحه وكتب هوامشه وقدم له: الأستاذ علي فاعور.

دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان.

- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله أساس المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

تحقيق: عبد الرحمن محمود.

القاهرة: ١٩٥٣م

- الأصمعيات، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي المتوفى سنة ٢١٦هـ

تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون.

طبع دار المعارف.

- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي المتوفى: ١٣٩٦هـ

الناشر: دار العلم للملايين. الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م

- الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، لمحمد بن عبد الملك بن مالك الطائي الجياني أبو عبد الله

تحقيق: د. محمد حسن عواد

الناشر: دار الجيل - بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ

- الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية

المؤلف: الدكتور علاء إسماعيل الحمزاوي

- أنوار الربيع في أنواع البديع

آتيف السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني المتوفى ١١٢٠هـ

حققه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر

الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م

- الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني

الناشر: دار إحياء العلوم - بيروت. الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م

- البحث العروضي والبلاغي في لسان العرب

مع معجم بمصطلحات العروض والبلاغة

آتيف: د. عامر مهدي صالح

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

المؤلف: محمد بن علي الشوكاني

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي

تحقيق: مجموعة من المحققين

الناشر: دار الهداية

- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)

الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

- تفسير عبد الرزاق الصنعاني

المؤلف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١ هجرية

الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى

- التمثيل والمحاضرة

المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي

- جواهر الأدب

المؤلف: أحمد الهاشمي

- زهر الأكم في الأمثال والحكم

المؤلف: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي

_ الخط العربي، تاريخه وحاضره

بلال عبد الوهاب الرفاعي

طبعة: دار ابن كثير، دمشق_ بيروت.ط١، ١٩٩٠م

الدرر المكنونة

- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون

المؤلف: القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري

تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص

دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م الطبعة: الأولى

ديوان النابغة الذبياني.

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

طبعة: دار المعارف بمصر.

- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ه.

تحقيق: حاتم صالح الضامن. دار الرشيد للنشر م.

- زهر الأكم في الأمثال والحكم

المؤلف: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ

تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط

الناشر: دار بن كثير، سنة النشر: ١٤٠٦هـ مكان النشر: دمشق.

- شرح الكافية الشافية لابن مالك

آتيف: جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني

دراسة وتحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي

الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة

الطبعة: الأولى

- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع

آتيف صفي الدين الحلي

تحقيق: الدكتور نسيب نشاوي

طبعة: دار صادر - بيروت.

- شرح نهج البلاغة، لأبي حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي

تحقيق: محمد عبد الكريم النمري

دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. الطبعة: الأولى.

- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية

المؤلف: طاشكبري زادة - سنة الوفاة ٩٦٨هـ

الناشر: دار الكتاب العربي سنة النشر: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م مكان النشر: بيروت

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأحمد بن علي القلقشندي

تحقيق: د. يوسف علي طويل

الناشر: دار الفكر - دمشق. الطبعة الأولى، ١٩٨٧م

- الصحاح في اللغة، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي

- الضوء اللامع

المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي

- فهرس الظاهرية، الأدب،

وضعه: رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس

دمشق سنة ١٩٨٢م، مطبوعات مجمع اللغة العربية.

- القاموس المحيط، المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي

_ كشف الظنون، لحاجى خليفة

طبعة: مكتبة المثنى ببغداد

- الكشكول - موافق للمطبوع، للشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي

تحقيق: محمد عبد الكريم النمري

دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ -١٩٩٨م الطبعة: الأولى

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

المؤلف: ابن تغري بردي

- الكتاب: لسان العرب

المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري

الناشر: دار صادر - بيروت. الطبعة الأولى

- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده

تحقيق: خليل إبراهيم جفال

دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م الطبعة: الأولى.

- فهرس الظاهرية، (مجاميع)

وضعه: رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس

دمشق سنة ١٩٨٣م، مطبوعات مجمع اللغة العربية.

- المخطوطات المصورة، الأدب، القسم الرابع

إعداد: عصام محمد الشنطي

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٤م

- المخطوطات المصورة، الأدب، القسم الخامس

إعداد: عصام محمد الشنطي

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٥م

- المخطوطات المصورة، الأدب، القسم السادس

إعداد: عصام محمد الشنطي

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٦م

- المذكر والمؤنث، لأبي بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري المتوفى: ٣٢٨هـ

المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة

مراجعة: د. رمضان عبد التواب

الناشر: جمهورية مصر العربية - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث

- المساعد على تسهيل الفوائد

تحقيق: محمد كامل بركات

دار الفكر - دمشق. ١٩٨٠م

- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص

المؤلف: الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي - سنة الوفاة ٩٦٣هـ

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد

الناشر: عالم الكتب. سنة النشر: ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م مكان النشر: بيروت

- معجم اللغة العربية المعاصرة،

د أحمد مختار عبد الحميد عمر المتوفى: ١٤٢٤هـ، بمساعدة فريق عمل

الناشر: عالم الكتب. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م

- معجم مصطلحات المخطوط العربي(قاموس كوديكولوجي)

آتيف أحمد شوقي بنبين، ومصطفى طوبي

الطبعة الثالثة

- معجم المطبوعات

جمعه ورتبه: يوسف اليان سركيس

- المقصور والممدود، لابن ولاد أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد التميمي المصري المتوفى سنة ٣٣٢هـ

تحقيق: بولس برونله

الناشر: مطبعة ليدن، ١٩٠٠ م

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

المؤلف: ابن تغري بردي

- النور السافر عن أخبار القرن العاشر

المؤلف: محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس

- هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي، منشورات مكتبة المثنى، بغداد.

- المجلات:

- مجلة العرب: ج٦،٥،س٤٦ ذو القعدة وذو الحجة ١٤٣١هـ.

- مجلة العرب، ج٢،١، س٤٤، رجب وشعبان١٣٢٩هـ

- مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع - المجلد التاسع والثلاثون

- مجلة المورد، العدد الثاني، السنة ١٩٧٣م

- مجلة المورد: مج١٥، س١٩٨١م،

- مجلة المورد، المجلد١٢، العدد الرابع